الجامعـــــة الإســـــلامية - غـــــزة

شـــؤون البحـــث العلمـــي والدراســـات العليـــا

كليـــــة أصــــول الـــــدين

قســــم الحــــديث الشـــريف



سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم

- دراسة موضوعية -

إعداد الطالبة:

أنسام جمال حسن النجار

صاحبة الرقم: 20110296

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:

نعيم أسعد الصفدي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه من كلية أصول الدين في - الجامعة الإسلامية - بغزة.

1436هـ -2015 م

نموذج رقم (1)

إقـــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

سؤالات أم المؤمنين عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم - دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: أنسام جمال حسن النجار

Signature: التوقيع: أنسام

Date: التاريخ: 2015 -12 -31

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم ...ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2015/06/13 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **أنسام جمال حسن النجار** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم الحديث الشريف وعلومه** وموضوعها:

سؤالات أم المؤمنين عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 26 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/06/13م الساعة العاشرة والنصف صباحاً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. نعيم أسعد الصفدي	مشرفاً و رئيساً	....
د. رأفت منسي نصار	مناقشاً داخلياً	....
د. محمد بيلر	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم الحديث الشريف وعلومه.**

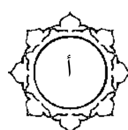
واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى وصية الرحمن بالحب والإحسان

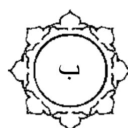
إلى تاج الرأس ودُرَّة العمر، والدي العزيز: المهندس جمال حسن النجار

وإلى زنبقة الدنيا وعبير الآخرة، أمي الغالية: أم علاء

وإلى الشهداء جميعاً، وطلبة العلم منهم خاصة، وعلى رأسهم عمي العالم المحدِّث المجاهد: نزار ريان، وآله الشهداء الكرام..

أُهدي جهدي هذا..

والله الهادي و الموفق



الشكر والتقدير

لأن النسيان من شيم الإنسان، والكفران طبع قد جُبل عليه الثقلان، كان لابد من وقفة شكرٍ خجلى لمن ساهم في وصولي لهذا الميدان، والتحاقي بركب أهل العلم الكرام.

ولا يطيب القلب إن لم أبدأ شكري وامتناني لجامعتي العريقة، الجامعة الإسلامية، العصيَّة على الانكسار مهما تناوبتها يد الاحتلال بالقصف والدَّمار، الغرَّاء بطاقمها المتكامل من مدرِّسين وعاملين وطلبة مجتهدين، وأخصُّ منهم مشرفي القدير، الدكتور: نعيم الصَّفدي – حفظه الله –، الذي أرشد ووجَّه، ولم يُقصِّر في إبداء النصح وبيان المليح من القبيح، وقد كان له الفضل وزملائه أساتذتنا الأفاضل في زرع أصول العلم فينا مذ التحقتُ بهذه الجامعة.

ولا يفوتني أن أشكر مناقشيَّ الكريمين؛ الدكتور الفاضل: رأفت نصَّار – حفظه الله ورعاه– (رئيس قسم الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بغزة).

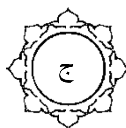
والشكر الجزيل للدكتور: محمد بيلار– حفظه الله– (رئيس قسم الحديث بكلية العلوم الإسلامية بجامعة يالوة بتركيا) ، على تشريفي بمناقشة رسالتي فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أشكر والدي المجتهد المُثابر، الذي غرس فينا حب العلم منذ نعومة أظفارنا بجدِّه وتفانيه في خوض غمار المعارف وفق تخصصه، وأرى نجاحي في حياتي العلمية حلماً أحققه لوالدي وقد سعى لإكمال دراسته العليا فيما سبق، و إن كانت كل فتاةٍ بأبيها معجبة فأنا أشدُّهن إعجاباً.

أمَّا أنتِ يا أمي الحبيبة، فقد أرهقتك و أتعبتك بحضانتي وأولادي، ورعايتنا طيلة أيام دراستي، فقد كنت خير سندٍ ومعين، والله يشهد أنِّي لم أَر أمَّاً قدَّمت لأولادها كما بذلتِ أنت يا طيِّبة رزقني الله برَّكما و حسن طاعتكما.

والشكر موصول لإخوتي الأحبة: علاء، محمد، بهاء، أسامة وأنس، وأخواتي الغاليات: هالة، سناء وإسلام، وكلٌّ قد ناله حظٌّ من الوقوف بجانبي وأنا المُدلَّلة عندكم، فكل الامتنان لكم، أدعو الله أن يحفظكم ويزيِّن دنيايَ بكم.

ولكل من ساعدني في رحلتي المعرفية كل الشكر والتقدير.



أما شكري الخاص فهو لشقيق الروح، ورفيق الصبا والدراسة، زوجي الكريم ابن الكرام: براء نزار ريان، قرة العين ومستقر الفؤاد، الآخذ بيدي دومًا نحو التميز، والذي يعتبرني أهم مشاريع حياته فنجاحي نجاحه، والرفعة لنا مناصفة، ينصحني حين أحتاج، ويسندني ويدفعني للمواصلة كلما تملكني التعب والنصب، فأكرم به وأنعم من زوج حبيب وصاحب قريب.

وأُردف شكري بامتناني له إذ ساهم في اختيار هذا الموضوع المليء بالمثوبات والحسنات.

أمَّا زهرات عمري وعبير دهري أولادي الأحبة، فلهم مني كل التحية، على دعمهم الكبير وحبهم الوافر واحتضانهم لمشروع التعلم بلا تأفف أو انزعاج، علاوة على هدوئهم وجميل صحبتهم.

فيا إبراهيم و يا نزار، هذا درب العلم قد خضناه أنا وأبوكم وأجدادكم من قبل فاسلكوه.

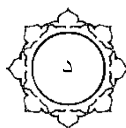
وأنتنَّ يا توأم روحي: هيام وآية، وبهجة فؤادي: ريم ومريم، لقد شرفتن بالانتماء لسلالة العلماء؛ فلتسرن على ذات الدَّرب، مشتملات بالفخر و العز والإباء.

ولتعلموا يا قطعة من فؤادي، يا إبراهيم، ونزار، وهيام، وآية، وريم، ومريم؛ لتعلموا أنَّ ستَّتكم قد نُفِخَت فيكم الروح وأنا أتنقل بين جنبات هذه الجامعة الشامخة؛ طلباً للعلم وابتغاءً لمرضاة الله، فكنتم ثمار حبٍ وعلمٍ، أمانة حُمِّلتموها وأنتم لها أهل.

وأودُّ أن أفرد امتناناً خاصاً جليلاً مهيباً يليق بصاحبه، إلى روحٍ أنقى من المطر غادرت لله بعد أن خدمت هذا الدين حتى آخر رمق، فلروح عمي نزار ريان الطاهرة كل الإجلال، فقد كان مثالاً للرقي في كل حياته، بداية بمشواره العلمي والجهادي الحافل، و مروراً باحتوائه لي كطالبة بين يديه، وابنة من بناته، وهو مما شرفت به حقاً، مشجعاً وداعماً، فاتحاً مكتبته العامرة على مصراعيها لأهل العلم وسدنته، وانتهاءً بشهادته النادرة هو و ستة عشر إنساناً من أحب الناس لقلبه من أهله، لتحيا هذه الأمة بعزة وكرامة.

وكم كنت أتمنى أن يشاركني لحظات فرحة عمري بأول إنجاز علمي حقيقي لي على تواضعه، وهو الأب الحاني والمعلم الذي رباني، فلله دره من عالم عامل.

ولأزواجه الشهيدات الكريمات كل المحبة والتقدير، وقد كنُ السباقات دوماً للخير في شتى ضروبه، ولي محبات صديقات ناصحات، والله يعلم أنَّ الفرحة بغيابهم منقوصة لكنه حال الدنيا ولله وحده الكمال، فلأرواحهن السلام.



المقدِّمة

الحمد لله الواحد المنان، العظيم الإحسان، أهل الثناء و صاحب الآلاء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، مبلِّغ الرسالات ومؤدي الأمانات، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أمَّا بعد:

فإنَّ للحديث عن رسول الله ﷺ وأزواجه الكرام رهبة ومهابة، يلزم معها الوقار والتزام الأدب والدِّقة في نقل الآثار والأخبار.

ولمَّا كان لُبُّ بحثي يخص أعلم نساء أهل الأرض؛ وأحبّهن إلى فؤاد نبي الأمة محمد ﷺ؛ السيدة عائشة بنت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أنجب السائلات والمسئولات ﵂، لفَّتني اللهفة وشملني الفضول لمعرفة ما كان يدور بخلدها ﵂ وهي تسأل رسول الله ﷺ، وبنفس اللهفة كنت أنظُر إجابات المصطفى ﷺ لتلك السؤالات الذكية المتعددة، فيتلقاها عقلي وفؤادي بالرضا والحبور.

وكان سحر الحديث الشريف يمسني كلَّما ذاكرت كتب أهل العلم وأقوالهم وتحليلاتهم المتعلقة بأم المؤمنين عائشة ﵂، مرورًا بشخصيتها الفريدة الجامعة لصفات الخير والأرب، فكانت الشمس تشرق إيذانًا بيوم جديد، واللب مأخوذ بصحبة رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه، لا أفارق تلك الكتب إلا لغلبة النوم أو لأشغال الحياة.

ولم تكن هذه الدراسة مجرد أطروحة أثيرها كي أنال بها الدرجة العلمية المرجوة، بل ويشهد ربي أنها من أوسع أبواب الخير المفتوحة لي، وهل هناك أشرف وأحظى من مجالسة الأنبياء والصحابة والعلماء!

وإنَّ الفائدة التي تحصَّلت لي من هذه الدراسة والسعادة التي شرحت صدري وملأته إيمانًا لا أظن المرء يجنيها إلا إذا لزم أسبابها، والدنيا دومًا شاغلة أهلها وملهية إلا المستبصرين.

أسأل الله الكريم أن ييسِّر لنا الخير أينما حلّ، ويرزقنا حُسن العمل وصحة الاتباع، وأن يمُنَّ علينا بصحبة المصطفى ﷺ و أزواجه أمهات المؤمنين وعائشة منهن خاصة رضي الله عنهن في الفردوس الأعلى، في حياض النعيم على سرر متقابلين.

أهمية البحث:

- تمسُّ هذه الدراسة شخصية مُبدعة صادقة، كانت من دعائم الإسلام خلال وبعد وفاة نبي الأمة محمد ﷺ، وشرف البحث من شرف موضوعه.

- أثيرت الكثير من الهالات حول أم المؤمنين عائشة ﵅؛ والكثير من الافتراءات أيضاً، فانبرى أهل العلم في كل عصرٍ للدفاع عن السيدة المصونة عائشة ﵅، وكان من جميل الأقدار أن أكون ممن يحمل لواء سبر الحقائق إثبات الوقائع مركزةِ على الأسانيد الداعمة المقبولة.

- تختلف هذه الدراسة عمَّا سبقها من أبحاثٍ؛ إذ موضوعها ينفرد بكونه جمع للكثير من السؤالات لأم المؤمنين عائشة ﵅ للنبي ﷺ في التفسير و الفقه و العبادة وسائر أمور الحياة، مما يصلح أن يكون فيما بعد مُسنداً للسيدة عائشة ﵅ فيما روته عن رسول الله ﷺ؛ مُرتَّبًا حسب الموضوعات المتعددة.

- يمثل مادة دسمة ترصد آراء السيدة عائشة ﵅ في المسائل التي سألت عنها، أو سُئلت عنها، فغالباً ما كانت تُعلِّق مستشهدة بما دار بينها وبين رسول الله ﷺ.

- دِقَّة السيدة عائشة ﵅ وفكرها الواعي في الطرح يجعل الاستفادة منها عظيمة في حل مشكلات زمننا المعاصر، خاصة وهي ناجمة عن سوء الفهم والتطبيق لسنة رسول الله ﷺ.

- وقد عاصرت السيدة عائشة ﵅ فتنة لاتقل ضراوة عن الفتنة التي يعيشها وطننا العربي المكلوم، بين متشددٍ غالٍ ومُقصرٍ مُفرِّط، وقد كان دورها دومًا التذكير بوصايا رسول الله ﷺ؛ التي غابت عن العقول وذهلت عنها الأذهان.

- دُرَّة هذا البحث سيدة فريدة، حملت لواء الحرية والإنصاف للمرأة في زمن وأد البنات وبيعهن في الأسواق كالسلع الرخيصة، فهي نبراس للمرأة في كل العالم وكل زمان، نصرت المرأة بضعفها في مجتمع الرجل القوي، فحازت على التكريم من قِبل الرجال قبل النساء، بذكائها وفهمها وصدقها وحُسن تكوينها و تدبيرها، وكانت في سؤالاتها دوماً نصيرة لبنات جنسها ﵅ وأرضاها وأكرمني برؤياها.

أسباب اختيار الموضوع:

1- تجلية مكانة المرأة العلمية في الإسلام ، وحقها الشرعي في التعلم ودورها الفاعل في الأمة من خلال السيدة المتميزة عائشة رضي الله عنه، لظلم المجتمع الدائم للمرأة سواء من أعداء الدين الحاقدين، أو أبنائه الجاهلين الذين أساؤوا فهم الدين.

2- ولا أنسى فضل زوجي البراء في اختيار هذا الموضوع ، فقد ساهم حفظه الله في إنارة الفكرة لدي، وحبّبني في خوض غماره إذ قل طارقوه.

أهداف البحث:

- الوقوف على أسئلة السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم، على اختلافها وتنوعها، وتجلية أدبيات السؤال، و صيغته ومناسبته للأوقات، و الاستفادة من الإجابات الواضحة والنافعة لكل زمان.

- التحقق من صحة المرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و تتبع الأسانيد و الحكم عليها، مع مراعاة صحة المتن، فهو دين تسير وفق نهجه أجيال المسلمين.

- استشعار الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمييزها عن ما دونها في دائرة القبول، من أحاديث متعلقة بفضائل الأعمال والترهيب والترغيب ، و إقران الفوائد الحديثية بفوائد فقهية ، من خلال سؤالات أم المؤمنين رضي الله عنها في الفقه والتفسير والعقيدة وسائر شؤون الحياة، وهي أمور هامة ينبغي على المسلم أن يعلمها.

- بيان مكانة المرأة العلمية من خلال سيدة العلماء، السيدة عائشة رضي الله عنها، وإنصافها في ظل ما تتعرض له المرأة كل يوم من تسفيه لرأيها وتجهيل لفكرها، من أعداء الأمة وجهلتها على السواء.

الدراسات السابقة:

1- مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، لابن أبي داود السّجستاني:

2- ذكر فيه ما أسندته السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ذكره للموقوفات

3- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي:

تعرَّض فيه لاستدراكات المحدثة الفقيهة عائشة ك على الصحابة في رواياتهم، وما فيه من توثيق للسنة ومناقشات لها غير مكذبة ولا متهمة، وقد رُتب على أسماء الصحابة واستدراك عائشة عليهم بحسب اسم الصحابي.

4- أم المؤمنين عائشة، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية:

وهو كتاب غني وافر الفائدة.

5- عين الإصابة في استدراك عائشة ﵂ على الصحابة، لجلال الدين السيوطي:

تحدَّث فيه عن فضائل عائشة ﵂ مرتباً على أبواب الفقه.

6- موسوعة عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين)، للدكتور: عبد المنعم الحفني:

وهي أول موسوعة عن أم المؤمنين منذ بداية الإسلام إلى الآن، وهو كتاب جامع لكل ما روته أمنا عائشة من أحاديث ومجريات الأمور منذ البعثة وحتى وفاتها، وما رواه الآخرون عنها، وفتياها وتفسيراتها وسعة علمها حتى وفاتها ك.

7- موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين –حياتها وفقهها– ، للشيخ سعيد الدخيل:

تناول فيها حياة عائشة وتكوين شخصيتها، وعرض آراءها الفقهية مرتبة حسب المعجم، وقد أفادتني جدا هذه الموسوعة إذ ان فقه عائشة ﵂ مستوحى من سؤالاتها لرسول الله ﷺ.

8- عائشة معلمة الرجال والأجيال، لمحمد قطب:

كتبه صاحبه دفاعا عن عائشة ﵂ وتوسع في إبراز سعة علمها.

9- موسوعة الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي المعاصر من نبع السنة النبوية، لخديجة النبراوي:

وقد أفردت فيه مبحثا عن مرويات عائشة ﵂ وطلبها للعلم.

كل الكتب والموسوعات السابقة تطرقت إلى سعة علم عائشة ﵂ وفهمها واستدراكاتها وأثرها في المجتمع، لكن أيا منها لم يفرد سؤالاتها لرسول الله ﷺ بالدراسة والتحليل، مما حدى بي إلى المبادرة بدراسة سؤالات عائشة ﵂ لرسول الله ﷺ دراسة موضوعية وتحليلها والاستفادة منها، مما يجعلها الدراسة الأولى إذ لم تطرق من قبل، أسأل الله التوفيق.

منهج البحث:

ارتأيت أن يكون منهجي في البحث:

1- جمع عدد من سؤالات أم المؤمنين عائشة ﵂ من الكتب الستة، والاستفادة من المسانيد تحديداً في هذا الباب لسهولة التعامل معها في مثل هذا البحث، واستخلاص كل ما يمكن أن يدل على منهجها في السؤال، وآدابه، وموضوعه، وأسلوبها فيه.

2- توظيف هذه المرويات حسب مطالب البحث، وتصنيفها موضوعياً، والربط بينها وفق الطابع الموضوعي.

3- تخريج ما يمر من أحاديث في الدراسة، فما كان في الصحيحين فالعزو إليهما فقط، وإن كان الحديث في غيرهما فالتوسع والدراسة حسب ما يقتضي البحث خاصة ما كان في إسناده مقال، مع الاكتفاء بتخريج الأحاديث تخريجًا وافيًا دون الشواهد إلا لحاجة، وتقديم بقية الكتب الستة في العزو، مع الترتيب حسب وفيات المؤلفين، فيما بقي إن وجد.

4- الاكتفاء بذكر الراوي الأعلى في متن الرسالة، والإشارة إلى الأسانيد حسب الحاجة من خلال التخريج في الحاشية، والترجمة للمغمورين من الصحابة الكرام دون مشاهيرهم، ولمن كان فيه مقال من الرواة دون المتفق على صحة حديثهم.

5- شرح الحديث موضوعيًا، وذلك بالرجوع إلى كتب شروح الحديث، وغريب الحديث، والاستفادة مما كُتب من مؤلفات حول عائشة ﵂ قدر الإمكان، لبيان المراد من الحديث ودلالته على الموضوع.

6- التعريف ببعض المصطلحات بالرجوع إلى الكتب المختصة في هذا الفن.

7- ذكر المرجع وتوثيقه كاملًا في الفهارس مع الاكتفاء بذكر اسم الكتاب والمؤلف وموضع الشاهد منه عند وروده.

8- ترجمة الأعلام وبيان غريب الألفاظ والأماكن والقبائل وما شابه بالرجوع إلى مظانها.

9- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتيسر الوصول إلى محتوياته.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة

وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث و الدراسات السابقة والمنهج المتبع في البحث.

الفصل الأول: **ترجمة لأم المؤمنين عائشة ﵂ وبيان مكانتها العلمية**.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة للسيدة عائشة ﵂.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها ونَسبُها وكُنيتها وألقابُها ﵂.

المطلب الثاني: مولدها ونشأتها ووفاتها ﵂.

المطلب الثالث: فضلها ومناقبها ﵂.

المبحث الثاني: المكانة العلمية للسيدة عائشة ﵂.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سَعة عِلم عائشة ﵂.

المطلب الثاني: تواضعها وأمانتها العلمية وسبقها في السؤال.

المطلب الثالث: شخصية عائشة ﵂ المؤثرة في حياتها العلمية.

الفصل الثاني: السؤالات والاستشكالات

ويحتوي على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: فيه تعريف بالسؤالات لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: دواعي السؤال عند أم المؤمنين عائشة ﵂.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلب المعرفة المبدئية.

المطلب الثاني: الرغبة في العمل على علم.

المبحث الثاني: استشكالات أم المؤمنين عائشة ﵂.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الاستشكال.

المطلب الثاني: بعض الأمور التي أُشْكِلت على عائشة ﵂.

الفصل الثالث: الموضوعات التي سألت فيها أم المؤمنين عائشة ﵂ النبي ﷺ.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضايا العقيدة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يُسأل عنه من أمور المعتقد، وما يُكَف عنه.

المطلب الثاني: سؤالات السيدة عائشة ﵂ في قضايا العقيدة.

المبحث الثاني: المسائل الفقهية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في وجوب التفقّه في الدين، والحثّ عليه من أقوال أم المؤمنين وأفعالها.

المطلب الثاني: سؤالات السيدة عائشة ﵂ للنبي ﷺ في القضايا الفقهية .

المبحث الثالث: سؤالات عائشة ﵂ لرسول الله ﷺ في التفسير.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تدبّر الكتاب العزيز، وفهمُه في حياة أم المؤمنين.

المطلب الثاني: سؤالات عائشة ﵂ في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الرابع: سؤالات أم المؤمنين عائشة ﵂ في شئون الحياة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فقه الحياة، وبراعة أمّ المؤمنين فيه.

المطلب الثاني: سؤالات عائشة ﵂ في شئون الحياة.

الفصل الرابع: أدب السؤال عند أم المؤمنين عائشة، وعملها بعلمها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مُراعاة أحوال المُعلِّم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختيار الظرف المناسب، زمانًا ومكانًا.

المطلب الثاني: عدم الإثقال في المسألة.

المبحث الثاني: التأدّب مع المعلم، والعمل بالعلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسلوب المهذّب في سؤال عائشة النبي ﷺ.

المطلب الثاني: حسن فهمها واستيعابها عن النبيّ ﷺ.

والله أسأل التوفيق والسداد والأجر والمثوبة

الفصل الأول
ترجمةٌ لأم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، وبيان مكانتها العلمية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمةٌ للسيدة عائشةَ رضي الله عنها.

المبحث الثاني: المكانة العلمية للسيدة عائشة رضي الله عنها.

المبحث الأول
ترجمةٌ للسيدة عائشة رضي الله عنها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها ونسبها وكُنيتها وألقابُها رضي الله عنها.

المطلب الثاني: مولدُها ونشأتها ووفاتها رضي الله عنها.

المطلب الثالث: فضلها ومناقبها رضي الله عنها.

المطلب الأول

اسمها ونَسَبها وكُنيتها وألقابُها رضي الله عنها

اسمها رضي الله عنها:

هي الصِّدِّيقة عائشة[1] بنت الصِدِّيق أبي بكر رضي الله عنه، زوجة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين المُبرَّأة، كان يناديها رسول الله ﷺ بعائش[2] على التَّرخِيم[3].

فائدة: اسم عَائِشَة مشتق من العيش أي الحياة[4]، ولفت الزَّبِيدي[5] في تاج العروس إلى أنه عَلَمٌ للرِّجَالِ وللنِّسَاءِ[6]، كما أن هناك مثلاً معروفاً: " أضبط من عَائِشَةَ بن عَثْم[7]".

---

(1) عائشة مهموزة، ولا تقل: عَيْشة كما قال ابن السِّكِّيت، انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة عيش 387/6. (وابن السِّكِّيت هو: يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، والسِّكِّيت: لقب أبيه، له العديد من المصنفات، مات لخمس خلون من رجب، سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقيل: سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة ست وأربعين انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي 643/5).

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما: البخاري في كتاب فضائل الصحابة؛ باب فضل عائشة رضي الله عنها؛ ح (3768)، وفي كتاب الأدب ؛ باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً؛ ح (6201)، ومسلم في كتاب الجنائز؛ باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها؛ ح (974)، وفي كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم؛ باب في فضل عائشة رضي الله عنها؛ ح (2447).

(3) الكلام الرَّخيم: هو الرقيق، والأصلُ رخم يدل على رِقَّةٍ وإشفاق، ومن هذا الباب قول أهل العربية: "الترخيم"، وذلك إسقاط شيءٍ من آخر الاسم في النِّداء، كقولهم: يا مالك، يا مالِ؛ كأنّ الاسمَ لما ألقي منه ذلك رَقّ، انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة رخم، 500/2 .

(4) انظر: لسان العرب لابن منظور 387/6 تحت عيش .

(5) هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزّبيدي (بفتح الزاي و كسر الباء و سكون الياء والدال غير منقوطة)، أصله من واسط بالعراق، وولد بالهند في بلجرام، و نشأ في زبيد باليمن وتوفي في مصر بالطاعون عام : 1205هـ، انظر: الأنساب للسمعاني 264/6.

(6) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي 285/17.

(7) وعائشة هذا: رجل من بنى عبد شمس بن سعد، كان يسقي إبله يوماً، فأنزل أخاه في الرَّكِيَّة (البئر وجمعها رَكِيٌّ، الصحاح للجوهري، مادة ركا 2361/6) ليَميحَه (المَيْحُ: أَن يدخل البئر فيملأ الدلو وذلك إذا قلَّ ماؤها، لسان العرب؛ مادة ميح 722/2)؛ فازدحمت الإبل، فهَوَت بَكْرة في البئر فأخذ بذَنَبها، فصاح به أخوه: يا أخي الموت فقال ذلك؛ إلى ذَنَب البَكْرة، ثم اجتذبها فأخرجها(فذهبت مثلاً)، انظر: جمَهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ص374 وهو في تفسير الأمثال المضروبة في المبالغة، وقد ضَبط أبو القاسم الزَّمخشري الاسم في كتابه: المُسْتقصى في أمثال العرب 214/1 باب الهمزة تحت الهمزة مع الضاد.

نَسبُها ﵂:

والدها: أبو بكر بن أبي قُحافَة[1]، واسمه: عَبْدُ الله بن عُثْمَانَ بن عَامِرِ بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ القُرَشِيّ التيمي[2] بن غالب بن فهر[3]، وقيل: عتيق بن عثمان[4]، فهو في قُعدَد النَّسب[5]، مثل رسول الله ﷺ[6] .

وأمه أم الخير؛ سلمى بنت صخر بن عامر[7] ابنة عم أبيه، وقيل: ليلى بنت صخر بن عامر والأول أصح[8].

ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر[9]، ولقِّب بالصدِّيق[10]، فقد روى الإمام البخاري ﵀ من

---

(1) انظر: الكنى والأسماء؛ للدُّولابي 17/1.

(2) أُسد الغابة؛ لابن الأثير 309،/3 باب العين والباء.

(3) الآحاد والمثاني؛ لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني68/1.

(4) انظر: التاريخ الكبير؛ للبخاري 1/5 في باب العين، والتاريخ الصغير له 32/1 في: "من مات في خلافة أبي بكر ﵁ أو قريبًا منه"، وأسد الغابة لابن الأثير310/3، والإكمال لابن ماكولا 176/5 في الكنى والآباء، لكن النّسائي اختار أنه عبد الله بن عثمان أبو بكر الصِّدِّيق؛ انظر: السنن الكبرى 102/5 في فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق.

(5) يقال: رجل ذو قُعْدد؛ إذا كان قريباً من القبيلة والعدد فيه قلة،و يقال: هو أَقْعَدُهم أَي أَقربهم إِلى الجد الأَكبر وأَطْرَفُهم وأَفْسَلُهم أَي: أَبعدهم من الجد الأَكبر، انظر: لسان العرب؛ لابن منظور 444/3، مادة قعد.

(6) الجوهرة في نَسَب النبي وأصحابه العشرة؛ للبَرِّي 105/2، في نسب العشيرة الكرام ولحاقهم بالنبي ﷺ.

(7) الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البَر249/1.

(8) أسد الغابة؛ لابن الأثير310/3.

(9) الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني 145/4.

(10) سُمِّي بذلك لأنه صدَّق رسول الله ﷺ وقد كذَّبه الناس، في معجزة الإسراء والمعراج، فقد روى البيهقي في دلائل النبوة: أن رسول الله ﷺ رجع إلى مكة فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه، فتجهز ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوقال ذلك ؟ قالوا: نعم . قال: فأشهد، لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال: نعم، إني أُصدِّقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: فبها سمي أبو بكر الصديق ﵁ (انظر: دلائل النبوة 360/2، باب الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وانظر: الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة للبري105/2)، وعن أبي الدرداء ﵁ أن النَّبِيُّ ﷺ قد قال لأصحابه: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟، مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ [أبو بكر] بَعْدَهَا" وذلك حين غاضب عمر بن الخطاب أبو بكر م، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ وقال مقالته (صحيح البخاري كتاب باب قول النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، ح(3661).

حديث أنس بن مالك ﵁ قَالَ:" صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ[1]".

وكذلك بالعَتيق[2]، وكان أَنسَبَ قريشٍ لقريش، وأعلمَ قريش بها وبما كان فيها من خير وشر[3]، وكان تاجراً. وهو أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ، مات بالمدينة في جمادي الآخر سنة ثلاث عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب[4] ﵄.

والدتها:

أم رومان، يُقال: بفتح الراء وضمها[5]، بنت عَامِر الكنانية[6]، جدُّها عُويمر بن عبد شمس ابن عَتَّاب بن أُذَيْنَة بن سُبَيع بن دُهمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة، والخلاف من أبيها إلى كنانة كثير جداً، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة[7].

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب مناقب عمر بن الخطاب ، ح (3686)، وباب (لم يُسمِّه)؛ بعد باب قول النبي ﷺ: لو كنتُ مُتَّخذا خليلاً؛ من نفس الكتاب ح(3675)، وعند الإمام مسلم شاهد له بنحوه عن أبي هريرة ﵁، غير أن فيه:" أنه ﷺ كان على جبل حِراء فحرَّك؛ فقال: "اسكُن حِراء" بدلاً من: "جبل أُحد"، والحديث أخرجه في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابةباب من فضائل طلحة والزبير م، ح (2417).

(2) قيل: لحسن وجهه؛ انظر: الكنى والأسماء؛ للدولابي 17/1، وقيل: لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، أو لأنه له أخوان من قبله مات أحدهما فسمي باسمه، وقال آخرون :لأن رسول الله ﷺ قال: "من سَرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا"، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البر963/3 باب عبد الله، ولا يصحّ هذا الحديث، فيه صالحُ بن موسى متروك (انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص274، في ذكر من اسمه صالح).

(3) السيرة النبوية؛ لابن هشام 89/2.

(4) الطبقات؛ لابن خياط 1748/1 في بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

(5) الاستيعاب؛ لابن عبد البر 128/2 في ترجمة أم رومان.

(6) المقتنى في سرد الكنى؛ للذهبي 169/2 تحت ومن كنية النساء، وانظر: المتفق والمفترق؛ للخطيب البغدادي 1476/3 في باب الطاء، وقيل: أم رومان بنت الحارث بن الحويرث، وذلك خطأ كما قال البَلاذُرِي في أنساب الأشراف 99/10 .

(7) الاستيعاب؛ لابن عبد البر 128/2 في ترجمته لأم رومان.

واختُلِف في اسمها كما قال ابن حجر، فقيل: زينب، وقيل: دَعد، ونَقَل عن ابن إسحاق قوله: أم رومان اسمها زينب بنت عبد بن دهمان؛ أحد بني فِراس بن غنم.

ثُمَّ عَقَّب: أنه ثَبت في صحيح البخاري[1] أن أبا بكر ﵁ قال لها في قصة الجَفْنَة التي حَلَف عليها أنه لا يأكل منها من أضيافه: "يا أخت بني فِراس"[2].

وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ في ذي الحجة سنة ست من الهجرة، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة خمس[3].

قال ابن الأثير[4]: من زعم أنها توفيت سنة أربع أو خمس، فقد وهم، فإنه قد صح أنها كانت في الإفك حيَّة، وكان الإفك سنة ست في شعبان، أما ابن حجر فقال[5]: أقرب ما قيل في وفاتها أنها كانت في ذي الحجة سنة ست؛ وفصَّل القول في المسألة وأسهب.

كُنْيَتها ﵂ :

هي أمُّ عبد الله، ذلك أنها سألت رسول الله ﷺ أن يَكْنِيَها كبقية نسائه رضوان الله عليهن فاستجاب لها؛ إكراماً وتطييباً لخاطِرها، قالت عائشة ﵂: أتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، كَنَيْتَ نساءك، فاكْنِنِي، فقال: "تكَنَّيْ بابن أختك عبد الله"[6]، وفي رواية: "اكْتَنِي بابنك[7]"، يعني: عبد الله ابن الزبير، فكانت تُكنى: أم عبد الله.

---

(1) انظر الحديث وهو طويل: في صحيح البخاري؛ قد أخرجه في عدة مواضع عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، في كتاب الأذان ؛ باب السمر مع الضيف والأهل ح(602)، وكذا في كتاب المناقب؛ باب علامات النبوة في الإسلام ح(3581)، وكتاب الأدب؛ باب قول الضيف لصاحبه لا آكل حتى تأكل ح(6141).

(2) الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني391/8 في حرف الراء.

(3) انظر: أسد الغابة؛ لابن الأثير320/7 في ترجمته لأم رومان بنت عامر.

(4) المصدر السابق 320/7.

(5) الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني 393/8 في حرف الراء.

(6) أخرجه البخاري في الأدب المفرد459/2، باب كنية النساء، ح (850).

(7) المصدر السابق،459/2، باب كنية النساء، ح (851)، وقد رواه عن محمد بن سلام عن أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن يحيى بن عباد بن حمزة عن عائشة ﵂.

وهناك رواية أخرى أكثر تفسيراً؛ تقول فيها أم المؤمنين عائشة ﵂: " لما وُلد عبد الله بن الزبير أتيت به النبي ﷺ، فتَفَل في فِيه، فكان أول شيء دخل جَوفه، وقال: " هو عبد الله، وأنت أمّ عبد الله، فما زلت أكنى بها وما ولدت قط "[1].

ألقاب السيدة عائشة ﵂:

كان لعائشة ﵂ عدة ألقاب وُسِمت بها، إما بإيحاءٍ من رب العالمين في القرآن الكريم، أو أطلقه عليها رسول الله ﷺ، أو أعلام المسلمين واشتهرت بها، منها: أم المؤمنين، الصِّدِّيقة، المُبرَّأة الحُميْراء، حبيبة حبيب الله ﷺ، المُوفَّقة، والعَتيقة .

ولكلٍّ لقب منها إشارة لطيفة ومغزىً جميل، سأُشير إليها على عُجالة إذ معظمها مشتهر.

- **أم المؤمنين (رضي الله عنها) :**

قال الله تعالى: (**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**)[2]، وبه اعتُبِرت كل أزواج رسول الله ﷺ أمهات للمؤمنين وضِمنهن أمّنا عائشة رضوان الله عليهن جميعاً، تعظيماً لحقوقهن وتأكيداً لحرمتهن[3].

وهذا الحديث اختلف فيه على هشام بن عُروة على سبعة أوجه، أصحّها أنه من طريق: هشام عن عبّاد بن حمزة عن عائشة، والطرق المذكورة مخرجة –مفرّقة طبعًا– عند: الإمام البخاري في الأدب المفرد، واللفظُ له(باب كنية النساء؛ حديث (850) و(851)، وأبو داود في سننه (كتاب الأدب؛ باب في المرأة تكني؛ حديث(4970) و(4972)، وابن وهب (في جامعه في باب الأسماء، ح (73) والإمام أحمد في مسنده (في مسند النساء؛ مسند الصدِّيقة عائشة ﵂ ح (24619) و(24756) و(25181) و(25531) و(25780) و(26242)، وابن سعد في الطبقات (في ذكر أزواج النبي ﷺ في ترجمته لأم المؤمنين عائشة ﵂ 8/ 61) والطبراني في المعجم الكبير؛ ح (36)، والحاكم في المستدرك ح (7738) والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الضحايا؛ باب المرأة تكنى وليس لها ولد؛ ح (19335)، وفي كتابه الآداب؛ باب من تكنى وليس له ولد؛ ح(388).

وقد استوفى الدارقطني كثيرًا من هذه الطرق في العلل (48/15 و49)، كما حكم الدارقطني على معظمها بالوهم وصحّح قول من قال: هشام عن عبّاد بن حمزة عن عائشة، وهم الأكثر.

والحديث صحيح بغضّ النظر عن الاختلاف على هشام بن عروة في روايته، إذ المختلف عليهم ثقاتٌ معروفون، فأي هذه الوجوه كان صوابًا صحّ الحديث.

(1) صحيح ابن حبان؛ لمحمد بن حِبَّان البُستي، في ذكر السبب الذي من أجله كانت عائشة تكنى بأم عبد الله، ح(7117)، وقد رواه عن الحسن بن سفيان عن عُقبة بن مُكْرَم عن بُكيْر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة﵂.

(2) سورة الأحزاب، آية 6.

(3) انظر: قول أبي الحسن الماوردي؛ في تفسيره النكت والعيون 372/3.

وكان المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ ينادونها بأم المؤمنين، قال مجاهد: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، وَإِذَا نَاسٌ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الضُّحَى، قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ، فَقَالَ: بِدْعَةٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، قَالَ: أَرْبَعًا إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ، فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ[1] عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُجْرَةِ، فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا أُمَّاهُ، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟!، قَالَتْ: مَا يَقُولُ؟، قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ؛ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ .

قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةً إِلَّا وَهُوَ شَاهِدُهُ، وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ[2].

أراد عروة بيا أماه: المعنى الأخص، لكون عائشة رضي الله عنها خالته، وأراد بقوله يا أم المؤمنين: المعنى الأعم؛ لكونها أم المؤمنين[3].

- الصِّدِّيقة (رضي الله عنها) :

الصِّدْق نقيض الكَذب[4]، قال ابن فارس[5]: الصاد والدال والقاف أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشيء، والصِّدِّيق: الملازم للصِّدْق[6]، الدائم التصديق، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل[7].

وكان مسروق إذا حدَّث عن السيدة عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني المُبرَّأة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق حبيبة حبيب الله[8].

(1) الاسْتِنانُ: اسْتعمال السِّواك وهو افْتِعال من الأسْنان: أي يُمِرُّه عليها، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري 662/2 تحت حرف السين، باب السين مع النون، مادة سَنَن.

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب العمرة، باب كَمِ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ ح (1775) وح (1776)، وكتاب المغازي؛ باب عمرة القضاء؛ ح(4253)، ومسلم في كتاب الحج، باب عدد عُمَر النبي ﷺ وزمانهن، ح (1255) بمثله غير اخلاف يسير في الألفاظ.

(3) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري؛ للعيني 111/10، في أبواب العمرة، بابٌ كم اعْتَمَرَ النبيُّ ﷺ .

(4) انظر: لسان العرب؛ لابن منظور 231/10، حرف القاف، مادة صدق.

(5) ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني،اختلف في تاريخ وفاته ما بين سنة تسع وستين وثلاث مئة، وبين إحدى وتسعين وثلاث مئة. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي 412/1 في حرف الألف.

(6) انظر: مقاييس اللغة؛ لابن فارس339/3، كتاب الصاد، مادة صدق.

(7) الصحاح؛ للجوهري 1505/4.

(8) المعجم الكبير للطبراني، في ذكر أزواج رسول الله ﷺ ح (289).

وهو دأب المحدِّثين أصحاب المسانيد كأحمد بن حنبل[1] وعبد بن حُميد[2] في مسنديهما والحاكم أبو عبد الله في مستدركه[3]، وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة[4]؛ كلهم كانوا يلقبونها بالصِّدِّيقة رضوان الله عليها.

وقد قامت الدلائل على صدقها حتى وصفت بالصّدّيقة رضي الله عنها [5].

- **المُبرَّأة (رضي الله عنها) :**

أي: البريئةُ من البراءة، قال ابن منظور[6]: البريء المُتَفضّي من القبائح، المتنجي عن الباطل والكذب البعيد من التهم.

وذلك أن الله ﷻ أنزل براءتها من فوق سبع سماوات في حادثة الإفك المشهورة، تقول السيدة عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ قال لها: "يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ[7]".

وفي براءتها أوحى الله تعالى لنبيِّهﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[8] العشر آيات من سورة النور.

وقد أسلفتُ ذكر صنيع مسروق إذا ذَكر عائشة ﵂ وحَدَّث عنها، وقوله: حدَّثتني البريئة، المُبرَّأة من فوق سبع سماوات بنت الصديق[9].

- **الحُمَيْراء (رضي الله عنها) :**

تصغير الحمراء، ومعناها: البيضاء، والعرب تقول: امرأة حمراء؛ أَي: بيضاء[10].

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، 29/6 في مُسْنَدِ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ ك.

(2) المنتخب من مسند عبد بن حميد؛ لعبد بن حميد بن نصر ص428، في مسند الصديقة عائشة أم المؤمنين ك وعن أبيها.

(3) المستدرك على الصحيحين؛ للحاكم أبي عبد الله 5/4 في ذكر الصحابيات من أزواج رسول الله ﷺ وغيرهن – رضي الله عنهن– .

(4) معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم الأصبهاني 3208/6.

(5) انظر: موسوعة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي من تأليف عدد من الباحثين المعاصرين، إشراف د: علوي بن عبد القادر السّقّاف، ومراجعة القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية ، الطبعة الأولى لعام 1434هـ.ئ

(6) لسان العرب؛ لابن منظور 40/1 مادة برأ.

(7) انظر القصة كاملة، أخرجها الشيخان في صحيحيهما عن عائشة ﵂، البخاري في كتاب الشهادات ،باب تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا، ح (2661) واللفظ له، ومسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف؛ ح(2770) بنحوه.

(8) سورة النور، الآيات 11– 20 .

(9) المعجم الأوسط؛ للطبراني 313/5 في باب الميم؛ من اسمه محمد.

(10) انظر: لسان العرب؛ لابن منظور 244/4 مادة حمر، تاج العروس للزبيدي 76/11 مادة حمر.

اختلف العلماء في ثبوت هذا اللقب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد قال ابن القيم في المنار المنيف:" وكل حديث فيه يا حميراء أو ذكر الحميراء فهو كذب مُختلق[1]"، وقد تعقّب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه للمنار المنيف ابن القيم، ونقل عن المزِّي قوله[2]:" كل حديث فيه الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي".

ثم أضاف أن الزركشيّ ذكر حديثًا آخر في سنن النسائيّ صحّ فيه ذكرُ الحميراء، وهو حديث: "يَا حُميْراء، أتُحِبيّنَ أنْ تَنْظُرِي إليْهِم؟!"[3].

لكن الحاكم أورد في مستدركه حديثًا فيه:" ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ خُرُوجَ بَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ: " انْظُرِي يَا حُمَيْرَاءُ، أَنْ لَا تَكُونِي أَنْتِ"؛ وأعقبه بالتنبيه إلى أنه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[4]، والعراقي قال عنه:" فيه قال أي: في الحديث]: يا حميراء" وسنده صحيح[5]، كما حسَّنه ابن عساكر[6] بعد ذكره لرواية البيهقي[7]، إلا أن ابن كثير استغربه قائلاً: حديث غريب جداً[8].

---

(1) المنار المنيف في الصحيح والضعيف؛ لابن القيّم60/1.

(2) سأل الزركشيّ شيخه ابن كثير، فنقل له كلام المزّي هذا، انظر: الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة ص85.

(3) أشار الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه للمنار المنيف إلى أنه لم يجد حديثَي عائشة ﷺ (الحديث الذي ذكر المزي أنه في كتاب الصوم من سنن النسائي، وحديث جاء فيه: يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟)؛ لم يجدهما في السنن الصغرى، قال رحمه الله: "ولعلَّ حديثَي عائشة المشار إليهما في سننه الكبرى، فإني لم أجدهما في سننه الصغرى المطبوعة، ولا أشار إليهما النابلسي في ذخائر المواريث ".

تقول الباحثة: وجدت أحدهما (حديث: أتُحبِّين أنْ تَنظُري إليهم؟) في سنن النسائي الكبرى، في كتاب عشرة النساء باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب52/1؛ ح (7717)، أما الآخر فقد أحصيت أحاديث عائشة ﷺ في كتاب الصوم من سنن النسائي فكانت مئة وثمانية وستين حديثًا خلت كلها من ذكر الحميراء.

(4) مستدرك الحاكم أبي عبد الله 119/3، من حديث أم سلمة ﷺ.

(5) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للحافظ العراقي 393/1.

(6) الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين؛ لعبد الرحمن هبة الله ابن عساكر الشافعي ص71.

(7) دلائل النبوة؛ للبيهقي 411/6، باب ما جاء في إخباره بأن واحدة من أمهات المؤمنين تنبح عليها كلاب الحوأب، ح (2702).

(8) البداية والنهاية؛ لابن كثير 237/6.

واستثنى ابن حجر في الفتح حديثاً صح عنده، ذَكَره الإمام النسائي[1] فيه: " فَقَالَ لِي: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ"، قال ابن حجر: إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذِكر الحميراء إلا في هذا[2].

وقد قال الزُّرقاني في شرح المواهب اللَّدنية؛ بعد ذكر القسطلَّاني حديث أم سلمة هذا من رواية الحاكم والبيهقي: "حديث صحيح؛ فيه: يا حميراء، فيُرد به على كل زاعم أن كل حديث فيه موضوع[3]".

وبذلك يترجّح للباحثة صحّة إطلاق النبي ﷺ لقب الحُميراء على عائشة رضي الله عنها، وفيه إشارةٌ إلى جمالها، وحُسنها في عيني النبّي ﷺ .

حبيبة حبيب الله ﷺ **(رضي الله عنها) :**

وذلك أن عائشة رضي الله عنها كانت أحب الناس لقلب رسول الله ﷺ، سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه:

أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ:" عَائِشَةُ[4]".

و كان مسروق يلقبها بحبيبة حبيب الله ﷺ[5]، وكذا لقبها الإمام النسائي صاحب السنن حين تحدَّث عن فضلها؛ قال: حبيبة حبيب الله وحبيبة رسول الله ﷺ[6].

- **المُوفَّقَة (رضي الله عنها) :**

من التوفيق، والمُوفَّق: الرشيد[7]، وقد كان المصطفى ﷺ ينادي زوجه عائشة رضي الله عنها بالموفَّقة.

(1) السنن الكبرى؛ للنسائي، كتاب عشرة النساء في إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب52/1؛ ح(7717).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري444/2.

(3) شرح المواهب اللدنية؛ للزُّرقاني 145/10.

(4) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري في كتاب المناقب، قال: (بَاب) ولم يذكر شيئًا، وقبله باب قول النبيﷺ: لو كنت متخذا خليلاً، ح (3662)، وفي كتاب المغازي؛ بَاب غَزْوَة ذَاتِ السُّلَاسِلِ وَهِيَ غَزْوَةُ لَخْمٍ وَجُذَامَ ح (4358)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (2384).

(5) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف؛ لابن المنذر319/2 في كتاب الصلاة؛ ضمن كتاب المواقيت.

(6) سنن النسائي الكبرى 102/5 في فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق.

(7) لسان العرب؛ لابن منظور461/4 في مادة وفق.

فعن ابن عباس ﵄ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانِ[1] مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ ؟، قَالَ: وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ يَا مُوَفَّقَةُ، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟، قَالَ: فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي[2]".

- **العتيقة:**

ذكره أبو نعيم الأصبهاني في ترجمة أم المؤمنين عائشة ﵂، قال[3]: الصديقة بنت الصديق العتيقة بنت العتيق حبيبة الحبيب عائشة أم المؤمنين ﵂.

ويبدو أنّه سماها به تشبيها لها بأبيها، ولم أجده عند غيره.

---

(1) الفَرَط: هو المتقدم السابق؛ وفَرَطَ الرَّجُلُ وَلَدَه: تَقَدَّمه إِلى الجَنَّةِ؛ انظر: لسان العرب مادة فرط 414/7، وتاج العروس للزبيدي؛ مادة فرط؛ 526/19.

(2) أخرجه الترمذي في سننه واللفظ له؛ في كِتَاب الْجَنَائِزِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ بَاب مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ قَدَّمَ وَلَدًا ح (1062)، وقد رواه عن نَصْر بن عَلِيّ الْجَهْضَمِيُّ وَأَبي الْخَطَّابِ زِيَاد بْنُ يَحْيَى الْبَصْرِيّ عن عَبْد رَبِّهِ بْنُ بَارِقٍ الْحَنَفِيُّ عن جدِّه لأمِّه سِمَاكَ بْنَ الْوَلِيدِ الْحَنَفِيِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

وكذلك أخرجه أحمد في مسنده(في مسند عبد الله بن عباس ح (2934) وأبو يعلى في مسنده (أول مسند ابن عباس ح(2752)، والبيهقي في شُعب الإيمان(بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَعَمَّا تَنْزِعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ ح (9295)، كلهم من طرقٍ كثيرة عن عبد ربه بن بارق الحنفي، عن جده لأمه سِمَاك بن الوليد الحنفي؛ عن ابن عباس ﵄.

تقول الباحثة: الحديثُ مداره على عبد ربه الحنفي، وحديثه يحتملُ التحسين، قال أحمد بن حنبل: ما به بأس (سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل 357/1)، وأثنى عليه أبو حاتم الرازي خيراً (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 43/6)، وذكره ابن حبان في الثقات (154/7)، وذكر البخاري روايته عن جده في ترجمته له (التاريخ الكبير للبخاري 78/6)، فيما قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ (التقريب لابن حجر ص335)، أمَّا قول ابن معين عنه: ليس بشيء (الكامل في الضعفاء لابن عدي287/5) فلا يُحمل على التضعيف، إذ قد يريد به قلة أحاديثه؛ وقد ذكر أبو الحسن ابن قَطَّان الفاسيُّ أن مراد ابن معين بقوله في بعض الروايات: ليس بشيء؛ يعني أن أحاديثه قليلة جداً (نقله ابن حجر في هدي الساري 419)، وقد قال عنه ابن عدي: وعبد ربه هذا هو قليل الحديث (الكامل لابن عدي288/5)، وكذلك قول النَّسائي: ليس بالقوي (المغني في الضعفاء للذهبي370/1)، ليس بجرح مفسد كما ذكر الذهبيّ في (الموقظة 19 ص 82)، وقال أيضًا: وقد قيل في جماعاتٍ: ليس بالقويِّ واحتُجَّ به، وهذا النَّسائيُّ قد قال في عِدَّةٍ: ليس بالقويّ، ويُخرجُ لهم في كتابه.

وعليه فالرجل صدوق في الجملة، وكذلك جده لأمه سِماك بن الوليد الحَنفي صدوق، وترى الباحثة حديث مثلهما محتملًا، خاصة في الترغيب والترهيب والمناقب.

وقد حَسَّن الإمام الترمذي الحديث، وقال عن عبد ربه بن بارق هذا: وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، مما يُشعر بميله إلى توثيقه.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ لأبي نعيم الأصبهاني 43/2.

المطلب الثاني
مولد عائشة ونشأتها ووفاتها ﵂

مولدها ﵂:

ولدت أم المؤمنين عائشة ﵂ بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست؛ وقيل: سبع، ويُجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة، ودخل بها ﷺ وهي بنت تسع وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى[(1)].

فقد قالت عائشة ﵂: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وأنَا بنتُ تِسْعِ سِنِين[(2)].

وذُكر أن عمرها حين توفي عليه الصلاة والسلام كان ثمانية عشر عامًا[(3)].

فإذا طرحنا مُقام النبيّ ﷺ بالمدينة عشر سنين من عمرها، فإنها تكون قد وُلدت قبل الهجرة بثماني سنين، وهو موافق لقول من قال: إنّ النبيّ ﷺ عقد عليها بمكة قبل الهجرة بسنتين وهي بنت ستّ سنين، والله أعلم.

نشأتها ﵂:

ترعرعت السيدة عائشة ﵂ في مجتمعٍ عربيٍ قَبَلِيّ ؛ سادته الكثير من الطباع التي تُحْمد أو تُنكر، والإنسان بطبعه يتأثَّر ببيئته والأعراف السائدة فيها، فتُصقل الشخصية وتتبلور، لتكشف عن شخص ذي كيان مستقل.

---

(1) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر العسقلاني، في العين المهملة، في ترجمته لعائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق27/4، وانظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي؛ لعبد الملك بن حسين العصامي، في ذكره لأمهات المؤمنين وسراريه ﷺ؛ 441/1.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، في كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، ح (1422)، والبخاري أخرجه في صحيحه بزيادة كبيرة فيه في كتاب المناقب، بَاب تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا الْمَدِينَةَ وَبِنَائِهِ بِهَا، ح (3894).

(3) أسد الغابة؛ لابن الأثير، في حرف العين 195/6، و انظر: تذكرة الحفاظ؛ للذهبي في الطبقة الأولى عنده؛28/1.

وكانت أم المؤمنين عائشة ﵂ قد عاشت في كنف الكثير من التقلبات المعيشية من تربية في ظل أهل وزوج ومكانة ومسؤولية، لذا رأيتُ تسليط الضوء على هذه الجوانب الحياتية في نشأتها ضرورة؛ لاستخلاص أثرها على سيرتها لبقية حياتها ﵂.

ومن هذه الجوانب المؤثِّرة: الجانب الاجتماعي، والاقتصادي، والعقائدي، والفكري، والعاطفي والتي سأذكرها على الترتيب ضمن ملامح نشأتها، في موازنة بين ما كانت عليه في بيت والدها ﵁، وما آلت إليه في بيت النبوة، وأثر ذلك عليها ﵂.

من أهم ملامح نشأتها ﵂:

أولاً: الجانبُ الاجتماعي:

- **من مجتمع جاهليٍّ ظالم إلى مسلم رحيم:**

نشأت السيدة عائشة ﵂ في مجتمع ظالم يئد البنات؛ وينتهك حقهن في الحياة، حتى جاء الإسلام برسالته الخالدة وأعاد للإناث حقهن المشروع في الحياة، قال الله تعالى: ﴿**وإذا المَوْؤودَةُ سُئِلتْ * بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾[1].

وعن جهل المجتمع العربي قال ابْن عَبَّاسٍ ﵄: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ... إِلَى قَوْلِهِ: قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾، وقد صَدقَ الله تعالى، إذ حَرَّموا بجهلهم ما رزقهم الله افتراءً على الله[2].

وبالرغم من عموم الإسلام، إلا أن النفوس البشرية ظل فيها بعض جاهلية، وبقي التمييز في المعاملة وأداء الحقوق والواجبات بين الذكر والأنثى قائماً عند الكثير من العرب، فلم يسعهم أن ينسلخوا بسرعة مما تربوا عليه من أعراف وأفكار.

---

(1) سورة التكوير، الآيات 8-9.

(2) رواه البخاري في الصحيح، كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب ح (3524).

لكن عائشة ﵂ كانت جريئةً في رأيها، مُطالبةً بحقوقها على السَّواء مع الرجل؛ فيما منحها الشرع الحنيف، شامخةً في حياتها، وقد وهبها الشارع مساحةً واسعةً من الحرية ؛ لتنافس الرجال وتتقدمهم في ريادة الأمة.

شاركت في الجهاد؛ فشهدت مع النبي ﷺ غزوة بني المصطلق[1]، كما كانت تَنْظِم الشِّعر وتحفظه، وتَفْصِل بين الشعراء، فتقول لعبد الله بن الزبير: " إن لمروان[2] في الشِّعْر إرثاً ليس لك[3]".

طلبت العِلم فتقدَّمت الرجال وغَدَت مُعلِّمتهم، قال الزُّهريّ: " لو جُمِع عِلمُ الناس كلهم ثم عِلمُ أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم عِلما[4]".

كما كانت تُعتق وتَهَب وتُنفق، فلَمَع نجمُها، وكانت سيِّدة مجتمعها، إذ أحسنت الاستفادة مما مُنِحته المرأة من ربها من تكريم بعد أن كانت مظلومة مُضطهَدة.

- **بيت حَسَبٍ ونَسَب[5]:**

حظيت السيدة عائشة ﵂ بالانتماء لبيتٍ شريف من أعرق بطون العرب، فهي ابنة أبي بكر الصِّدِّيق ﵁ سليل قريش، وتزوجها أشرف خلق الله؛ محمد ﷺ؛ وكفى به رفعةً وفخرا.

---

(1) انظر: المغازي للواقدي؛ في غزوة المريسيع426/2، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر؛ في غزوة بني المصطلق من خزاعة 57/1.

(2) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية القُرشي الأموي، مات في صدر رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين، وقيل: ابن ثمانية وستين، وقيل: ابن أربع وستين، انظر: الاستيعاب؛ لابن عبد البر، باب مروان 1387/3.

(3) تهذيب الآثار؛ للطبري، في ذكر بعض ما حضرنا ذكره ممن روى، أو قال الشعر من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين، ومن كان منهم يسمعه ويأمر بروايته أو قيله675/2 .

(4) المصدر السابق، في ذكر الصحابيات من أزواج رسول الله ﷺ وغيرهن –﵅–، ح (6812).

(5) الحَسَبُ: أن يُعَدَّ من الإنسان آباءً أشرافاً؛ انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة حسب 59/2، وهو الشَّرَفُ الثابِتُ في الآباءِ؛ وما يَعُدُّه الإنسانُ مِن مَفاخِرِ آبائهِ، انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة حَسَبَ 366/1، أما النَّسَبُ فهو نَسَبُ القَراباتِ، وقيل: هو في الآباء خاصَّة، كما في لسان العرب لابن منظور؛ مادة نَسَبَ 889/1 وهو أَن تذكُرَ الرَّجُلُ فتقولَ: هُو فُلانُ بْنُ فُلانٍ أَو تَنْسُبَه إِلى قبيلة أَو بلَدٍ أَو صنَاعَة؛ كما في تاج العروس للزَبيدي مادة نَسَبَ 261/4.

فالتقى نسبها الشريف بنسب رسول الله ﷺ في مُرَّة بن كعب القرشي التَّميمي، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى فضل ذلك النَّسَب؛ عن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ[1] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ[2]".

وكان لنُبل نسب سيدتنا عائشة ﵂ أثر واضح في تعاملها كسيدة حُرَّة شريفة، تزن الأمور بعقلها الراجح وتُقدِّر المصالح، جديرةً بأن تَخلُف رسول الله ﷺ مع حملة العلم؛ فتُعلِّم الأجيال دينهم، محافظة على قدرها كزوج رسول الله ﷺ، وقد عاشت بعد رسول الله ﷺ دهرا.

- **في بيتٍ له مكانةٌ اجتماعيةٌ مرموقة:**

انتقلت السيدة عائشة ﵂ من بيت أبي بكر الصدِّيق ذي المكانة الاجتماعية العالية، إلى بيت قائد الأمة وقدوتها محمد ﷺ، مما جعلها امرأة قيادية ناجحة على صغر سنِّها، شاركت الأمة في خُطُوبها في اتخاذ قراراتها في الشِّدَّة والرَّخاء.

وكان من علوِّ مكانة أبي بكر ﵁ أن شَهِد له القريب والبعيد، فها هو ابن الدَّغِنَة[3] وهو سيد

---

(1) وَاثِلة بن الأسقع بن عبد العُزَّى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر الليثي؛ وقيل: إنه واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر والأول أصح وأكثر (الاستيعاب؛ باب الأفراد في حرف الواو رقم(2738)، كنيته أبو شَدّاد، وقيل: أبو الأسقع وأبو قِرْصافة، أسلم والنبي يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النبي ثلاث سنين، وكان من أصحاب الصُّفَّة، توفي سنة ثلاث أو خمس وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين، قيل: توفي بالبيت المقدَّس، وقيل: بدمشق، انظر: أسد الغابة؛ 399/5.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل؛ بَاب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، ح(2276).

(3) بِضَمّ المُهملة والمُعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة، وعند الرواة: بفتح أوَّله وكَسر ثانيه وتخفيف النُّون، قال الأَصِيليُّ: وقرأه لنا المروَزي (نسبة لمرو، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 131/5): بفتح الغين، وقيل: إنَّ ذلك كان لاسترخاء في لسانه والصواب الكسر، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق، وهي أُمُّه، وقيل: أُمُّ أبيه، وقيل: دايَّتُه، ومعنى الدَّغِنَة: المُسْتَرخِية، وأَصلها الغَمامة الكثيرة المطر، واختُلِف في اسمه: فعند البَلاذُري من طريق الواقدي عن معمر عن الزهري أنه: الحارث بن يزيد، (و البَلاذُري: بفتح الباء الموحدة وبعدها اللام ألف وضم الذال المعجمة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى البَلاذُر، قاله: السَّمعاني في الأنساب423/1، وهو ثمرٌ كما في معجم الأدباء لياقوت الحموي531/2)، وحكى السهيلي: أن اسمه مالك، انظر: فتح الباري لابن حجر، في باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة 233/7.

القَارَة[1]؛ يقول لأبي بكر حين رآه مهاجراً بدينهِ قِبَلَ الحَبَشَة:" إنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ[2]".

قال ابن حجر: وفي موافقة وصف ابن الدَّغنة لأبي بكر بمثل ما وَصفت به خديجة النبي ﷺ ما يَدُلُّ على عظيم فضل أبي بكر، واتِّصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال[3].

وكان لأبي بكر ﵁ الأشْنَاق في الجاهلية، والأشناق: الديات، كان إذا حمل شيئاً صدقته قريش وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه.

فلما جاء الإسلام سَبَق إليه، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له، وميلهم إليه، حتى إنه أسلم على يده خمسة من العشرة المبشَّرين بالجنَّة[4].

وبعد أن تزوج نبي الأمة محمد ﷺ بعائشة ﵂ سَمَت مكانتها، وعلا نجمُها، وغدت السيدة الكبيرة المشاركة برأيها، الحازمة في قرارها.

ثانياً: الجانب الاقتصادي:

- من بيت الغِنى والعِز إلى العيش على الكَفاف:

كان أبو بكر الصِّديِّق والد سيدتنا عائشة ﵂ من أغنى قريش، وأكثرهم مالًا وعِزًّا، ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر؛ لعِلمه، وتجارته وحُسن مُجالسته[5].

---

(1) القَارَة: من ولد الهون بن خزيمة، والقارة جُبَيلٌ صغير، وقد اشتهروا بالرمي، وكانوا حلفاء بني زُهرة، انظر: أنساب الأشراف للبَلاذُري19/1-33.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، في موضعين عن عائشة ﵂: في كتاب الكفالة؛ باب جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقْدِهِ؛ ح (2297)، وفي كتاب المناقب، باب هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ ح (3616).

(3) فتح الباري؛ لابن حجر، في شرحه لباب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، 233/7.

(4) أسد الغابة؛ لابن الأثير 310/3 في ترجمته لأبي بكر الصديق.

(5) سيرة ابن إسحاق،ص 140.

وكان لعائشة ﵂ حظوة عند والدها أبي بكر ﵁، يُحب أن يُغنيها ويُغدِق عليها؛ فكان مما قاله لها أبو بكر الصِّدِّيق ﵁ قُبيل وفاته:" أما بعدُ يا بُنيَّة، فإنَّ أحبَّ الناس غنى إليّ بعدي أنتِ، وإن أعز الناس عليَّ فقرًا بعدي أنت[1]".

وكانت حين تزوجها رسول الله ﷺ قد انتقلت إلى بيت النُّبوة الخالي من مظاهر التَّرَف، تقول عَائِشَةُ ﵂:" مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ[2]".

كانت تَمُرُّ الليالي والأيام ورسول الله ﷺ طاوٍ لا يجد ما يأكل، تُحدِّث أم المؤمنين عائشة ﵂ عُروة ابن أختها عن عيش رسول الله ﷺ فتقول:" إنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَات رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟، قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ؛ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ[3]، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ[4]".

انتقلت بعد الترفيه إلى بيتٍ متواضعٍ، فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ، يدعو رسول الله ﷺ ربه قائلاً: " اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا[5]"، ثم يتوفى عنها ﷺ وما في رفِّها من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير[6].

---

(1) الطبقات الكبرى؛ لابن سعد، في ذكر وصية أبي بكر الصِّدِّيق 145/3.

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له، في كتاب الأطعمة، بَاب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ؛ ح (4996)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، (بابٌ)، ح (2970) بمثله غير أن فيه: "خُبز البُر"، "حتى مضى لسبيله".

(3) المَنَائح: العطايا، والمنيحة: مَنِيحة اللبن، كالنَّاقة أو الشّاةِ يُعطِيها الرّجلُ آخَرَ يحتلبُها ثم يردُّها، مقاييس اللغة لابن فارس، مادة منح 278/5، والمَنيحَة: المِنْحَة، كما قال ابن الأثير في النهاية، مادة منح 1341/4.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح في موضعين: كتاب الرِّقاق، بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، ح (6459)، وكتاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا؛ الباب الأول ولم يُسمِّه؛ ح(2567).

(5) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري في كتاب الرقاق؛ بَاب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا؛ ح (6460) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق؛ (باب)؛ ح (1055) بنحوه.

(6) صحيح البخاري؛ كتاب الرِّقاق؛ باب فضل الفقر؛ ح (6451)، وصحيح مسلم؛ كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ؛ (باب) ح (2973).

ومع ذلك تكيَّفت عائشة ﵂ مع أجواء بيت النبوة، فلم تَشْكُ ولم تتذمَّر، ولم تُرهق زوجها بما اعتادت عليه في بيت والدها من متاع الدنيا، بل عوَّدت نفسها على التَّصدُّق، تَقْسم ما يأتيها من الأموال على الفقراء والمساكين؛ لا تدَّخر منه شيئاً، فهذا معاوية ﵁ بعث إلى عائشة ﵂ بمائة ألف فوالله ما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فَرَّقتها، قالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً، فقالت: لو قلت قبل أن أفرقها لفَعلْت[1]!.

وتتصَّدق بقوت يومها، تقول عائشة ﵂:" دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّار[2]".

كانت السيدة عائشة ﵂ مثالاً راقياً للمرأة المسلمة المثالية؛ التي تتعالى على كل الظروف والشدائد، فتتصدَّر القوم بجودها وكرمها وحُسن عِشرتها .

ثالثاً: الجانب العقائدي:

- من بيت يَدين لله إلى بيت النبوة:

تربَّت عائشة ﵂ على يد أبوين يدينان لله ﷻ ، قالت ﵂:" لمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ[3]"

أي: يتديَّنان بدين الإسلام[4]، فكان مُناسباً أن يختار النبي ﷺ زوجه من بيتٍ أساسه العقيدة.

---

(1) حلية الأولياء؛ لأبي نعيم الأصفهاني، في حديثه عن عائشة زوج رسول الله ﷺ؛47/2.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب الزكاة؛ بَاب اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنْ الصَّدَقَةِ؛ ح (1418)، ومسلم في الصحيح في كتاب البر والصلة والآداب؛ بَاب فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ؛ ح (2692) بصيغة: "جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ ... فَسَأَلَتْنِي"، وزيادة " تمرة واحدة".

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع: في كتاب الصلاة؛ بَاب الْمَسْجِدِ يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ مِنْ غَيْرِ ضَرَرٍ بِالنَّاسِ؛ ح (476)، وكتاب الحوالات؛ بَاب جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقْدِهِ؛ ح (2297)، وكتاب مناقب الأنصار؛ بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ ح (3905)، وكذلك في كتاب الأدب؛ بَاب هَلْ يَزُورُ صَاحِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ ح (6079).

(4) عمدة القاري للعيني 256/4 في شرحه لكتاب الإيمان، باب المَسْجِدِ يَكُونُ في الطريقِ منْ غَرِ ضَرَرٍ بِالنَّاسِ ح(135).

وكانت من المُصدِّقين لرسول الله ﷺ، المؤمنين برسالته منذ صغرها، حريصة كل الحرص على فهم دينها والسؤال عمَّا يُخالجها من أمور العقيدة حتى تعبد الله على بَيِّنة، ولقد أَفردتُ المطلب الثاني في المبحث الأول من الفصل الثالث لسؤالات أم المؤمنين عائشة ﵄ لرسول الله ﷺ في أمور العقيدة على وجه الخصوص.

خاضت أم المؤمنين عائشةُ ﵄ حرب العقيدة ضد الكُفر والطغيان، وشاركت منذ صباها في نصرة الإسلام، فكانت على صِغرها تساعد أختها الكبيرة أسماء في تجهيز الطعام للنبى ﷺ وأبيها وهما في الغار عند الهجرة، قَالَتْ عَائِشَةُ: " فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ[1] الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[2] فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[3]".

وكانت من أوائل النساء اللائي شاركن في حروب الذَّود عن المُعتقد، والحول دون استئصال الدعوة الإسلامية، يقول أنس بن مالك ﵁ عن معركة أُحُد: "وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ، وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا[4]، تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ[5]".

---

(1) أَحَث: من الحَث، وهو الإسراع، كذا في العمدة للبدر العيني، في شرحه للحديث، من كتاب الإيمان، باب هجرة النبيﷺ وأصحابه، ح (3906).

(2) أي: طعاماً لمَّا هاجرا، والسُفْرة: طعامٌ يتَّخذه المُسَافر، وأكثُر ما يُحمل في جلد مُسْتدِير، فنُقِل اسمُ الطَّعام إلى الجِلْدِ، النهاية لابن الأثير، مادة سفر من باب السين مع الفاء 634/2.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب؛ بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، ح (3905)، وفي كتاب اللباس؛ باب التَّقنُّع، ح (5807).

(4) الخَدَم: جمع خَدَمة، وهي موضع الخَلْخَال من السَّاق، وكذا تجمع على خِدام، انظر: مقاييس اللغة؛ مادة خدم162/2، ولسان العرب؛ مادة خدم195/12.

(5) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم؛ وقد رواه في كتاب الجهاد والسِّير؛ بَاب غَزْوَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ؛ ح (1811)، أمَّا البخاري فقد رواه في عدة مواطن بنحوه غير أن فيه: " تُنْقِزان القِرَب"؛ في كتاب الجهاد والسِّير؛ بَاب غَزْوِ النِّسَاءِ وَقِتَالِهِنَّ مَعَ الرِّجَالِ؛ ح (2880)، وكتاب المغازي؛ بَاب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية 122 من سورة آل عمران ؛ ح (4064)، وكتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي طلحة ﵁؛ ح (3811) .

رابعاً: الجانب الفكري:

- **من بيتٍ يحترمُ العَقلَ؛ لبيتٍ يدعو للعلمِ النافعِ وحُرِّية الفِكر:**

كانت عائشةُ ﵂ مستظلة ببيتٍ يُقدِّر العقل، فوالدها أبو بكر الصِّدِّيق ﵁ كان يُفكِّر ومن ثَمَّ يُقرِّر، فلم يسجد لصنم قط[1]؛ والناس يومها مشركون؛ يعبدون الأصنام، يُصدِّق بنبوة محمد ﷺ وقد كذَّبه الناس؛ مُخالفاً لقومه في دينهم وهو أكبر ما يُخالِف المرء فيه قبيلته، خرج عن صَفِّهم احتراماً لعقله وإيماناً بوعد الله؛ وما فيه من الفلاح في الدنيا والآخرة، ثم يُعتِق بلالاً ويَفُكُّه من إساره، فتقف قريش ذاهلةً من صنيعه؛ وقد ضَرب بدناءة فِكرهم عرض الحائط.

ومن ثَمَّ انتقلت لكنف النبوة، لتعيش حياتها في بيت يُقدِّس الحرية الفكرية ويُشجِّعها ويكسوها بشعار الإسلام فيدعمها.

وفي سؤالاتها المتعددة والمتنوِّعة لرسول الله ﷺ دليلٌ جَليٌّ على حرية فِكرها، إذ لم يَحجُر على عقلِها أحد، فأبدعت وتميَّزت.

وفي سبقها للاستفسار عمَّا غَمَّ عليها، وعدم مبالاتها بالصورة المتحجرة التي رسمها المجتمع العربي القَبَلي للمرأة خير دليل على ما تمتَّعت به من حرية فكرية، أوصى بها الشارع الحنيف؛ كحق مشروع للذكر والأنثى على السواء، فهمت دينها فنقلت الصورة الصحيحة له، سِيَّما في حقوق المرأة المسلمة .

خامساً: الجانب العاطفي:

- **اختيار رسول الله ﷺ لها زوجة صغيرة مُقرَّبة:**

تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بسنتين وقيل: ثلاث، وهي بِكْر[2]، وقيل: سنة هاجر، وقيل: سنة اثنتين من الهجرة في شوال بمكة، وكانت حين عقد عليها بنت ست سنين، وقيل: بنت سبع سنين[3]، وابتني بها ﷺ بالمدينة وهي ابنة تسع[4]، كما تقدَّم.

---

(1) السيرة الحلبية؛ لعلي بن برهان الدين الحلبي 384/1.
(2) أسد الغابة؛ لابن الأثير الجزري، في ترجمته لعائشة بنت أبي بكر ﵄ 191/6.
(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البر 45/1.
(4) المصدر السابق1881/4.

قالت أم المؤمنين عائشة ﵂[1]: " تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ؛ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي؛ فَوَفَى جُمَيْمَةً[2]، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي، فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ[3] حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي؛ ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي؛ ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ؛ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ".

أقامت في صحبة رسول الله ﷺ ثمانية أعوام وخمسة أشهر، فكانت أحب نسائه إليه[4].

وقد كان رسول الله ﷺ يُراعي صِغر سِنِّها، تركها تأخذ معها بعض ألعابها وجواريها؛ فقد تزوَّجها ﷺ "ولُعَبُها معَها[5]"، فالزوج مُكمِّل أساسي في حياة زوجته، لا يَسْلبها ما تحتاجه وتُحبه.

كما لم يحرمها زوجها ﷺ من اللَّهو المباح؛ والترويح الذي تحتاجه النَّفس، تقول السيدة عَائِشَةَ ﵂ :" دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ؛ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، البخاري واللفظ له رواه في عدة مواضع،و القصة بتمامها في كتاب المناقب؛ بَاب تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا الْمَدِينَةَ وَبِنَائِهِ بِهَا؛ ح (3894)، وباختصار في كتاب النكاح؛ بَاب الدُّعَاءِ لِلنِّسَاءِ اللَّاتِي يَهْدِينَ الْعَرُوسَ وَلِلْعَرُوسِ؛ ح (5156)، وبَاب الْبِنَاءِ بِالنَّهَارِ بِغَيْرِ مَرْكَبٍ وَلَا نِيرَانٍ؛ ح (5160) من نفس الكتاب، ومسلم رواه في كتاب النكاح؛ باب تَزْوِيجِ الْأَبِ الْبِكْرَ الصَّغِيرَةَ؛ ح (1422) بنحوه.

(2) الجُمَيْمَةُ: تَصْغير الجُمَّةِ (النهاية في غريب الحديث والأثر، تحت جمم 224/1)، والجُمَّة من الإنسان: مُجتمعُ شَعْر ناصيته (مقاييس اللغة؛ مادة جمم356/1)، والمقصد: أنه كثُر ما يتساقط من شعر رأسها على منكبيها انظر: عمدة القاري، في شرحه لباب تزويج النَّبِيِّ ﷺ عائِشَةَ وقُدُومِها المَدِينَةَ وبِنائِهِ به 34/17.

(3) النَّهِيجُ: الرَّبْوُ وتواتُرُ النَّفَس من شدَّةِ الحركةِ، كما في لسان العرب، مادة نهج 448/2.

(4) تقدمت الإشارة إليه في المطلب الأول من هذا الفصل في ألقابها، تحت عنوان: حبيبة حبيب الله ﷺ، كذا في تذكرة الحفاظ للذهبي في الطبقة الأولى عنده25/1.

(5) الحديث كاملاً عن عائشة ﵂ أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة؛ ح (1422).

بُعَاثَ[1]، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟!، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا[2]".

وفي رواية أخرى للبخاري عن عَائِشَةَ ﵂:" أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﵁ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنَى؛ تُدَفِّفَانِ[3] وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ[4] بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ؛ فَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى[5]".

كان النبي ﷺ حريصاً على إسعادها، يدعوها لتنظر للأحباش وهم يلعبون في المسجد يسترُها بجسده، لا يمَلُّ حتى تمَل، يُلبِّي حاجة نفسها للَّعِب المُحبَّب، فتُعلِّم الأجيال من بعدها كيف يكونُ الرفق في معاملة حُدثاء الأسنان اقتداءً بصنيع رسول الله ﷺ.

لم يُغفِل النبي ﷺ جانب الترفيه الذي تحتاجه الزوجة من وقت لآخر، وأنها تحتاج إلى بعضٍ من اللهو والمرح[6].

(1) قال ابن كثير: كان يوم بعاث – وبعاث موضع بالمدينة – فيه وقعة عظيمة، قُتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكُبَرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل (البداية والنهاية 181/3).

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري، أخرجه في كتاب العِيدَين؛ بَابُ سُنَّةِ الْعِيدَيْنِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ح (952)، ومسلم أخرجه بنحوه في كتاب صلاة العيدين؛ باب الرخصة في اللعب الذي لامعصية فيه في أيام العيد ح (892) وح (893).

(3) تُدفِّفان: أي تضربان بالدّف وهو بالضم ويُفتح، وهو الذي يُضرب به في الأعراس (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، فصل دفّ 117/1)، وقال ابن منظور: الدَّفُّ والدُّفُّ بالضم: الذي يَضرب به النساء (لسان العرب، مادة دفف 128/9).

(4) مُتغشٍّ بثوبه: أي تغطى بثوبه (عمدة القاري؛ للبدر العيني، في شرحه لكتاب المناقب باب قِصَّةِ الحَبَشِ من صحيح البخاري، 94/16.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العيدين، بَابٌ إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وكذلك النساء ومن كان في البيوت والقرى؛ ح (987).

(6) نبي الرحمة؛ لعبد الرحمن بن عبد الله 41/1.

فعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:" رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ؛ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ؛ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ[1]".

والنّفْسُ إذا شَغَلت فراغها العاطفي من تعلُّق للقلب كان أدْعى لأن ترقى وتنصرف إلى أمور الحياة الأخرى، فكان لنشأتها ﵂ صغيرةً في كنف بيت النبوة الزاخر بالتقدير والاحترام والعاطفة تأثير هام على حياتها، إذ كانت ﵂ من أحْمل الناس لحديث رسول الله ﷺ فهماً وتطبيقا.

وكان لِسنِّها الصغير دورٌ كبير في قدرتها الفائقة على الحفظ والاستيعاب، فعقلها مُتفتِّحٌ لم تُلوِّثه الدنيا بأكدارها، وكان للقرآن الكريم والحديث الشريف استقرار في قلبها وعقلها، تسمع فتعي وتُبلِّغ وتُشير لما فهمته ووعته.

ولوفاة محمد ﷺ عنها وهي في الثامنة عشرة من عمرها؛ في ريعان شبابها وعزِّ صباها؛ كبير الأثر على مستقبلها العِلمي؛ فقد أَخذَت على نفسها العهد أن تُبلِّغ ما سمعت وحضرت عند رسول الله ﷺ، وهكذا يكون الإيمان الخالص؛ قولاً يُصدِّقه العمل، مما جعل حياتها الباقية عزاً للإسلام؛ بما نشرته من علمٍ وفائدةٍ تحصَّلت من عشرتها لرسول الله ﷺ.

- **من بيت الدلال إلى بيت الشراكة والضرائر:**

ذكرتُ ما كان للسيدة عائشة ﵂ من حظوة عند أهلها، فقد كانت مثالًا للفتاة المُدلَّلة في بيت أهلها، وبعد اقتران النبي ﷺ بها انتقلت إلى بيتٍ يُشارِكها فيه غيرها من أزواج رسول الله ﷺ في معظم الأشياء، فقد كان أزواج محمد ﷺ حِزبين؛ حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ؛ والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة[2].

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري رواه في عدة مواطن واللفظ له: في كتاب النكاح؛ بَابُ نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْحَبَشِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ؛ ح (5236)، وكتاب المناقب؛ بَاب قِصَّةِ الْحَبَشِ وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يَا بَنِي أَرْفِدَةَ؛ ح(3529)، كتاب العيدين؛ بَاب إِذَا فَاتَهُ الْعِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ وَمَنْ كَانَ فِي الْبُيُوتِ وَالْقُرَى، ح(988)، ومسلم أخرجه في كتاب صلاة العيدين؛ باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد؛ ح(892) بزيادة في الألفاظ .

(2) جزء من حديث في صحيح البخاري ترويه عائشة ﵂، انظر: كِتَاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا بَاب مَنْ أَهْدَى إِلَى صَاحِبِهِ وَتَحَرَّى بَعْضَ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ؛ ح (2581).

كانت عائشة الصغيرة ﵂ تعيش حياتها بجمالها، وكأنها وحدها في دنياها مع رسول الله ﷺ، فأبقت على نضارة روحها ولم تَقتل فيها الأنثى؛ بل أقبلت على زهرة الحياة كملِكة وسيدةٍ لقلب زوجها المحبوب، يُسابقها فتسبقه وتسعد؛ ثم يردُّ لها السَّبْق فيسبقها، ولم تحظ غيرها من أزواج رسول الله ﷺ بمثل هذا السِّبَاق.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:" خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ؛ فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا؛ ثُمَّ قَالَ لِي: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتُهُ فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا؛ ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ بِتِلْكَ[1]".

إنها مداعبة لطيفة واهتمام بالغ، يأمر القوم أن يتقدموا لكي يسابق زوجته، ويدخل السرور على قلبها ثم ها هو ﷺ يجمع لها دعابة ماضية وأخرى حاضرة، ويقول: "هذه بتلك"[2].

وبهذا الحديث وغيره أجاز العلماء في غير الرّهان السبق على الأقدام، استدلالاً بحديث عائشة ﵂ هذا[3].

ولقد أحبت السيدة عائشة ﵂ النبي ﷺ حبًّا كبيرًا، ومن فرط هذا الحب كانت فِطرتها – مثل النساء – تغلبها فتغار[4]، أرادت كأيِّ أنثى مُحِبَّة أن تستأثر بقلب زوجها، وكان زوجها المُحِبُّ

(1)أخرجه أحمد في مسنده بلفظه، من حديث السيدة عائشة ﵂، ح (27031) ؛ وأبو داود (في سننه كتاب الجهاد بَاب فِي السَّبَقِ عَلَى الرِّجْلِ، ح (2214)، والنسائي (السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل زوجته ح (8944)، وح (8945)، جميعهم من طريق أبي إسحاق محمد بن كثير الفَزاريّ عن هشام عن عروة عن عائشة ﵂.

كما أخرجه النسائي في الكبرى من طريق هشام عن رجل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ﵂ (ح(8943) من نفس الكتاب).

وإسناد حديثنا صحيح، وقد صححه كل من الألباني (إرواء الغليل 328/5) وشعيب الأرنؤوط (في تحقيقه لصحيح ابن حبان، ح (4691)).

(2) يوم في بيت الرسول؛ لعبد الملك قاسم17/1.

(3) انظر: الاستذكار لابن عبد البر، في كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو 141/5.

(4) انظر تعليق علي الشحود في تحقيقه لعِشرة النساء للنسائي عند ذكر فضل عائشة ﵂، 11/1.

يُراعي غيرتها ويُهذِّبها بلطف، فلما كَسرت عائشة ﵂ الوعاء قال ﷺ :"غارت أُمُّكم[1]" وتلطَّف بها، مما جعل من هذه الغيور امرأة صالحة تقيَّة، مُنصِفة لبقية أزواج رسول الله ﷺ، مُحبَّة لهن مع استشعارها لأثرتها عند رسول الله ﷺ.

غارت السيدة عائشة من السيدة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليهما، لكثرة ما يَذْكرها ويَبَرها رسول الله ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: "مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؛ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا وَثَنَائِهِ عَلَيْهَا، وَقَدْ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ لَهَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[2]".

تقول عائشة ﵂:" فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا[3]".

هذَّبها زوجها الحليم الرحيم بلطف؛ وجعل احترام الكرام يفوق تقلُّبات الفؤاد عند الحبيبة عائشة ﵂.

تُذكَرُ غيرتها ﵂ فتذهبُ مع ما قدَّمت من صفاء سريرةِ ونقاء عمل مُخلَصٍ لرب العباد، فقد أدَّبها رسول الله ﷺ فأحسن تأديبها؛ وبقيت المُدللة المحظية في بيت زوجها كما كانت عند والديها وهو درسٌ لكل بنات حواء أنْ عِشنَ الحياة بجمالها؛ وتعالينَ على أكدارها، فتَسعدن أينما كُنتنّ وتُسعِدن.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في كتاب النكاح؛ باب الغيرة، ح (5225).

(2) أخرجه الشيخان، البخاري في صحيحه واللفظ له؛ في كتاب النكاح، بَاب غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ، ح (5229) وكتاب المناقب؛ باب تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا ﵂؛ ح (3816)، وح (3817)، وح (3818) من نفس الباب، وكذلك في كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) من سورة سبأ؛ آية 23، ح (7484)، وكتاب الأدب باب حُسن العهد من الإيمان؛ ح (6004)، ومسلم أخرجه في صحيحه بزيادة في الألفاظ، في كتاب فضائل الصحابة؛ بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ك ، ح (2432)؛ وح (2433)؛ وح (2434)؛ وح (2435) من الباب نفسه.

(3) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ ، ح (2435).

وفاتها ﵂ :

توفيت عائشة ﵂ سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأَمَرَت أن تُدفن بالبقيع ليلاً، فدُفنت [1].

وصلى عليها أبو هريرة ﵁، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

وكان مكثها مع النبي ﷺ تسع سنين[2].

---

(1) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، في العين المهملة 235/8.
(2) الاستيعاب لابن عبد البر 1822/4.

المطلب الثالث
فضلها ومناقبها

كان لأم المؤمنين عائشة فضائل كثيرة، امتازت بها عن بقية أزواج رسول الله ﷺ، من صغر سِنٍّ وحظوة عند رسول الله ﷺ، وبركةٍ للمسلمين تنزَّلت عليهم حيث حَلَّت عائشة .

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" فضلُ عائشةَ على النِّساء كفضل الثريد[1] على سائر الطعام"[2].

امرأةٌ مُميَّزة، نالت شرف التفضيل من رسول الله ﷺ، وأي كرامة بعد هذا الإقرار.

كما حظيت بالسَّلام من مُبلِّغ الرسالات جبريل ، روت عَائِشَةُ : أن رسول الله ﷺ قال:" يَا عَائِشُ؛ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى"[3].

وكان من لطيف هذه المناقب:

---

(1) الثريد: ما يُهشم من الخبز ويُبَلُّ بماء القِدْر، والثَّرْدُ: الفَتُّ، أما في حديث فضل عائشة على النساء قيل: لم يُرد عين الثريد وإنما أراد الطعام المتَّخذ من اللحم والثَّرِيد معاً، انظر: لسان العرب، مادة ثرد 125/3.

(2) أخرجه الإمام البخاري في الصحيح في عدة مواضع: في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ؛ باب فضل عائشة ح (3769)؛ وح (3770)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء؛ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ... إِلَى قَوْلِهِ: وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ سورة التحريم؛ الآيات 12/11؛ ح (3411)، وبَاب قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ... إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ سورة آل عمران؛ الآيات 42-47؛ من نفس الكتاب؛ ح (3433)، وفي كتاب الأطعمة؛ باب الثريد؛ ح (5418)، وباب ذكر الطعام من الكتاب نفسه؛ ح (5428).
وكذلك أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ؛ بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ؛ ح (2446)، وفي باب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ك ؛ ح (2430) من نفس الكتاب.

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم الذي أخرجه في كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ؛ ح (2447)، أما البخاري فقد رواه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ، ح (3786) باختلاف في لفظ " يُقرؤك" و"ترى ما لا أرى"، وفي كتاب الأدب؛ بَاب مَنْ دَعَا صَاحِبَهُ فَنَقَصَ مِنْ اسْمِهِ حَرْفًا، ح (6201) باختلاف في لفظ "يرى ما لا أرى".

رؤية النبي ﷺ لها في المنام، وبُشراه بزواجه منها:

وذلك بعد وفاة السيدة خديجة بنت خويلد[1] ﵂ **بثلاث سنين**[2]؛ وفي هذه الرؤيا تَسْليةٌ للنبي ﷺ وتطييبٌ لقلبه؛ بأن الله سيعوضه في مصابه بفقد زوجته خيرا، وقد كاد قلبه ﷺ أن ينفطر لفراق محبوبته خديجة ﵂.

تقول السيدة عَائِشَةُ ﵂: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ[3] مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُهَا؛ فَإِذَا هِيَ أَنْتِ؛ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ"[4].

رآها ﷺ في قِطْعة من جَيِّد الحرير[5]، قال المُهلَّب: في الحديث فخر النساء على ضرائرهن عند الأزواج[6]، وفخر عائشة على بقية النساء أبْيَن.

لم يتزوج ﷺ بكراً غيرها:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ[7]: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا؛ وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا؛ فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ[8] بَعِيرَكَ ؟، قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا".

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، في قوله باب كشف المرأة في المنام 400/12.

(2) سيرة ابن إسحاق، 239/1.

(3) السَّرَق: شِقاقُ الحرير، وقيل: هو أجوده، واحدته سَرَقة، وهو بالفارسية أصله سَرَهْ؛ أي: جيد فعرَّبوه، وقيل: إنها البيضُ من شُقَق الحرير، كما في لسان العرب لابن منظور مادة سرق 187/10.

(4) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري وقد أورده في كتاب التعبير؛ بَاب كَشْفِ الْمَرْأَةِ فِي الْمَنَامِ؛ ح (7011)، وباب ثياب الحرير في المنام؛ ح (7012)، وكذلك في كتاب النكاح؛ باب نكاح الأبكار؛ ح (5078)، وباب النظر إلى المرأة قبل التزويج من نفس الكتاب؛ ح (5152)، وفي كتاب فضائل الصحابة؛ بَاب تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ عَائِشَةَ وَقُدُومِهَا الْمَدِينَةَ وَبِنَائِهِ بِهَا؛ ح (3895).

أما مسلم فقد أخرجه في كتاب فضائل الصحابة؛ بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ﵂، ح (2438) بنحوه غير بعض اختلاف مثل:" أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ"، " جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ".

(5) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ مادة سرق 626/2.

(6) ورد قوله خلال شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، باب نكاح الأبكار، 171/7.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح؛ باب نكاح الأبكار؛ ح (5077).

(8) رَتَعَ: أي أَكَلَ وشَرِبَ وذهبَ وجاءَ ما شاء (تاج العروس للزَبيدي5243/1)، والرَّتَع: الاتِّساعُ في الخِصْب (النهاية لابن الأثير، باب الراء مع التاء، مادة رتع498/2).

تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.

والحديث فيه فضل الأبْكار على غيرهن[1]، وهي مزية لم تتوفر إلا في عائشة ﵂ وكأنها إِشَارَة إِلَى تَعَظِيْمِ عَائِشَةَ ﵂ وَتَمْيِيْزِهَا بِهَذِهِ الْفَضِيْلَةِ وَحْدَهَا دُوْنَهُنَّ، فَكَأَنَّهَا فِي كَفَّةٍ وهُنَّ فِي كَفَّةٍ أُخْرَى رضوان الله عليهن جميعا[2].

أصغر أزواج النبي ﷺ سناً:

فقد ابتنى بها محمد ﷺ وهي ابنة تسع سنين، وتوفي عنها وهي ابنة ثمانية عشر عاماً، فكانت أصغر أزواجه ﷺ، ومعروفٌ ما لصغيرة السن من دَلٍّ وتودد خاصة إذا كانت مُحِبَّة محظيَّة عند زوجها.

نالت قلبه ﷺ وأخذت بلُبِّه، وهي التي لم تر من الدنيا ما يُكدِّر صفوها أو يُرهق فكرها، فحفظت من هدي النبي ﷺ ما لم تحفظه امرأة سواها[3].

أحب النِّساء لقلب محمد ﷺ :

كانت عائشة ﵂ أحبّ أزواج محمد ﷺ لنفسه، فكان أزواجه ﷺ يغِرن منها رضوان الله عليهن جميعاً، جئنه ﷺ شاكياتٍ مُتذمِّرات من حظوة عائشة ﵂ لديه، فقد علم المسلمون مكانتها عند زوجها ﷺ وحبه لها؛ فخصُّوا يومها بالهدايا رجاء قبولها، وأردن –﵅– أن يَعُمَّهن الخير.

قالت أم المؤمنين عَائِشَة ﵂: " أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي[4]؛ فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟، فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ

---

(1) قاله: المُهلَّب، وقد أورد ابن بطَّال قول المهلب ذاك خلال شرحه لصحيح البخاري، انظر: شرح ابن بطَّال للبخاري، في باب نِكَاحِ الأَبْكَارِ 171/7.

(2) الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، لبدر الدين الزركشي، ص45.

(3) انظر: تحقيق علي الشحود لعشرة النساء للنسائي، ص10.

(4) المِرْط: كِساء من خَزّ أَو صُوف أَو كتّان، وقيل: هو الثوب الأَخضر وجمعه مُرُوطٌ، انظر: غريب الحديث لابن قتيبة423/2، و لسان العرب، مادة مرط 454/7.

ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ؛ فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[1] مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً[2] مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ[3]؛ وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا، قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا[4] حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ[5]".

أتينَ رضوان الله عليهن يسألن التسوية بينهن في محبة القلب، وكان ﷺ يُسَوِّي بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه، أمَّا محبة القلب فكان يُحب عائشة أكثر منهن[6].

---

(1) تساميني: أي تُطاوِلُني في الحُظْوة عنده، النهاية لابن الأثير، مادة سمو 658/2.

(2) سَار، يَسُور: إذا غضب وثار، معجم مقاييس اللغة، مادة سور 115/3، والمقصود: العَجَلة بالغضب، والفَيْئة: الرجوع، ومعنى كلامها: أنها كاملة الأوصاف إلاَّ في شِدَّة خُلُق بسُرعة غَضَب، ومع ذلك يَسرع زواله عنها، انظر: عمدة القاري، في شرحه لبابُ مَنْ أَهْدَى إلى صاحِبِهِ وتَحَرَّى بعْضَ نِسائِهِ دُونَ بَعْضٍ 136/13.

(3) وقعت بي: بمعنى ما بعده ، استطالت عليَّ وناولتني بمؤذي كلامها، كذا في إكمال المُعلم للقاضي عياض، في شرحه لكتاب فضائل الصحابة ، باب فى فضل عائشة ، ح (451).

(4) نشِبَ الشيء في الشيء بالكسر نُشوباً، أي: علقَ فيه (الصحاح في اللغة؛ للجوهري، مادة نشب 224/1)، ولم أنْشِبها أي: بالَغْتُ في جَوابها وأفْحمتُها، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير 1390/4.

(5) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم الذي أورده في كتاب فضائل الصحابة، بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ﵂؛ ح (2442)، والبخاري أخرجه بنحوه في كِتَاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا؛ بَاب مَنْ أَهْدَى إِلَى صَاحِبِهِ وَتَحَرَّى بَعْضَ نِسَائِهِ دُونَ بَعْضٍ؛ ح (2581).

(6) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، في شرحه لكتاب الفضائل، باب فضائل عائشة أم المؤمنين ك 205/15.

قال النووي: اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أَذِن لعائشة، ولا أشار بعينه ولاغيرها بل لا يَحِلّ اعتقاد ذلك، فإنَّه ﷺ تَحْرُم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها؛ فلم ينهها وأما قوله ﷺ: أنها ابنة أبي بكر، فمعناه: الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها والله أعلم(1).

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث مَنْقبة ظاهرة لعائشة ﵂، وأنه لا حرج على المرء في إيثار بعض نسائه بالتُّحف، وحين تهلّل وجه محمد ﷺ وقال فَرِحاً: إنها ابنة أبي بكر، كأنه أشار إلى أن أبا بكر كان عالماً بمناقب مضر ومثالبها، فلا يُستغرب من بنته تَلَقِّي ذلك عنه(2) .

نزول الوحي على النبي ﷺ في لِحَافها:

هذه الكرامة لم تُرْزقها أيٌّ من الفاضلات زوجات محمد ﷺ؛ ما خلا الحبيبة عائشة رضوان الله عنهن أجمعين؛ يُعْرِض رسول الله ﷺ عن زوجه أم سَلَمة حين ذكرت له العدل في حبه لعائشة رضوان الله عليهما، ويقول لها في المرة الثالثة: " يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا(3)".

إنزال قرآنٌ من رب السماء في براءتها:

وذلك حين قال لها أهل الإفك ما قالوا؛ فبرَّأها الله مما قالوا(4)، وهي حادثة مشتهرة، تَصِفُ السيدة عائشة ﵂ حالها إذ ذاك فتقول:" فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

(1) المصدر السابق، ح (2442).

(2) فتح الباري لابن حجر، في شرحه لكتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها؛ باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، ح (2393).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، بَاب فَضْل عَائِشَةَ ﵂، من حديث عائشة ﵂، ح(3775).

(4) مقتبس من قول مسلم في صحيحه تمهيداً لسوق الحديث، كتاب التوبة؛ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف؛ ح (2770).

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[1]حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنْ الْقُرْآنِ كَثِيرًا: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ؛ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ؛ فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي؛ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: (**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**)[2]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ؛ وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ[3] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ؛ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ[4]، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنْ الْعَرَقِ مِثْلُ الْجُمَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: يَا عَائِشَةُ؛ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ، قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ؛ فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ، قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**)[5] الْعَشْرَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي[6]".

---

(1) قَلَصَ: انضمَّ وانزوى، قاله الجوهري في الصحاح؛ مادة قلص1053/3، وفي حديث عائشة رضوان اللّه عليها "فقَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قَطْرَةً" أَي: ارتفع وذهب، ذكره ابن الأثير في النهاية، مادة قلص1157/3.

(2) سورة يوسف، آية 18.

(3) أي: ما بَرِحَ، وهي من رامَ يريم، انظر: تاج العروس للزبيدي، فصل الراء، مادة ريم 321/8.

(4) أي شدّة الكَرْب من ثِقَل الوَحْي، قاله ابن الأثير الجزري في النهاية، مادة برح 82/1.

(5) سورة النور، الآيات 11-20.

(6) أخرجه الشيخان في صحيحهما، البخاري في كتاب المغازي، بَاب حَدِيثِ الْإِفْكِ، ح (4141) واللفظ له، وفي كتاب الشهادات؛ باب تعديل النساء بعضهن بعضًا؛ ح (2661)، وفي كتاب التفسير كذلك؛ باب تفسير قوله تعالى: (ولولا إذ سَمِعتموه قُلتم ما يكون لنا أنْ نَتكلم بهذا، سُبحانك هذا بُهتانٌ عَظِيم) من سورة النور؛ آية 16؛ ح(4750)، ومسلم أخرجه في كتاب التوبة؛ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف؛ ح (2770).

صَبيةٌ صغيرةٌ حين رُميت في عِرضها؛ ولا أشدَّ على المرء من المساس بعِرضه، والله يعلمُ صِدقها وألمها لمِا أحاط بها، فلم تهن على ربها، بل أنزل قرآناً خالداً يُتلى في براءتها وعِفَّتها، فكانت من بركتها وخير مناقبها ﵂.

قالَ الزِّمَخْشَرِيُّ: وَلَوْ فَلَّيْتَ الْقُرْآنَ؛ وفَتَّشْتَ عَمَّا أَوْعَدَ بِهِ الْعُصَاةَ، لَمْ تَرَ اللهَ عَزَّوَ جَلَّ قَدْ غَلَّظَ فِي شَيْءٍ تَغْلِيْظَهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ ﵂[1].

وكان من ثِقَل الحادثة على أم المؤمنين عائشة ﵂ أن وَجَدت على عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، ولم تغفِر له مقولته حين استشاره رسول الله ﷺ في فراقِها: " يَا رَسُولَ الله لَمْ يُضَيِّقْ الله عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ [2] "

فلم تُسَمِّه حين ذكرت الرجلين الذين ارتكز عليهما رسول الله ﷺ في مرضه، ذكرت العبَّاس وأبهمت علياً وهي تَعْلَمه [3]رضوان الله عليهم جميعا.

امرأةٌ مباركة:

كانت أم المؤمنين عائشة ﵂ محفوفةً برعاية الرحمن وبركته، انقطع عِقْدُها فحَبَست الناس ورسول الله ﷺ، طلبًا للقلادة، وليسوا على ماء؛ فنزلت البَركة عليهم من رب السماء، آية التيمم تُرَخِّص لهم ما عَسُر عليهم من فقد الماء.

---

(1) الكشَّاف؛ لأبي القاسم الزمخشري، في تفسيره لسورة النور 280/4.

(2) رواه الشيخان في صحيحيهما، البخاري في كتاب المغازي، بَاب حَدِيثِ الْإِفْكِ، ح (4141)، وفي كتاب الشهادات؛ باب تعديل النساء بعضهن بعضًا؛ ح (2661)، وفي كتاب التفسير كذلك؛ باب تفسير قوله تعالى: (وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكلَّمَ بِهذا) سورة النور؛ آية 16؛ ح (4750)، ومسلم أخرجه في كتاب التوبة؛ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف؛ ح (2770).

(3) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث عائشة ﵂ لعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن مرض رسول الله ﷺ قالت:" ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً؛ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ" فَمَا أَنْكَرَ ابن عبَّاس من حديث عُبيد الله شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ:" أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟، قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁"، رواه البخاري في كتاب الأذان؛ بَاب إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ بِالنَّاسِ وَهُوَ جَالِسٌ؛ ح (687)، ومسلم رواه في كتاب الصلاة؛ بَاب اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؛ ح (418).

قالت السيدة عائشة ﵂[1]:" خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ[2] انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ؛ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ!

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ؛ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ؛ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنْ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ".

يقول لها أُسيد ﵁ – وقد كان على رأس المبعوثين في طلب العِقد –: ليس هذه البركة أول بركتكم، بل هي مسبوقة بغيرها من البركات[3]، وأن بَرَكَتَكُمْ آل أبي بكر كَانَتْ مُتَوَالِيَةً عَلَى الصَّحَابَةِ مُتَكَرِّرَةً، وَكَانُوا سَبَبًا لِكُلِّ مَا لَهُمْ فِيهِ رِفْقٌ وَمَصْلَحَةٌ[4].

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح؛ في ثلاثة مواضع واللفظ له: في كتاب المناقب؛ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا؛ ح (3672)، وأول كتاب التيمم؛ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) من سورة النساء؛ آية 43؛ ح (334)، وفي كتاب تفسير القرآن؛ بَاب قَوْلِهِ تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) الآية 43 من سورة النساء؛ ح (4607).

وكذلك أخرجه مسلم في الصحيح، في كتاب الحيض؛ باب التيمم؛ ح (367) بمثله سوى الخلاف في لفظ" فأخذ يطعن بيده" وفي روايات البخاري:" يطعنني".

(2) البَيْداء، وذات الجَيْش: موضعان بين المدينة ومكة (عمدة القاري؛ للعيني، كتاب التيمم؛ ح (4331)، وجعل بعضهم ذات الجيش من العقيق بالمدينة (معجم البلدان، لياقوت الحَموي، في حرف الجيم، باب الجيم والياء 233/2) أما البيداء: فأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب تعد من الشرف أمام ذي الحليفة (قاله ياقوت في معجم البلدان، في حرف الباء، باب الباء والياء، 620/1) .

(3) عمدة القاري؛ للبدر العيني، كتاب التيمم؛ ح (4331).

(4) المنتقى؛ لابن الجارود، 125/1.

المحْظِيَّة لدى زوجها محمد ﷺ:

كان لعائشة رضي الله عنها منزلة عُظمى عند زوجها محمد ﷺ، وكانت تتباهى بحظوتها تلك – حال النِّساء – فتقول رضي الله عنها: " تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّال، وَبَنَى بِي فِي شَوَّال، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي[1]".

- **إقرار أمهات المؤمنين بمنزلتها عند النبي ﷺ:**

ومن دلائل ذلك أن أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– كنّ يَعْلمن مكانة عائشة رضي الله عنها، فوهبتها السيدة سَوْدة رضي الله عنها يومها وليلتها حُباً وقرباناً لرسول الله ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ[2] بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[3].

ومعروف أَنَّ فِي تَطْوِيلِ الْمُدَّةِ عَلَى النِّسَاءِ بِالتَّغَيُّبِ عَنْهُنَّ إِضْرَارًا بِهِنَّ، وَمَا قَصَّرَ مِنْ مُدَّةِ مَغِيبِهِ عَنْهُنَّ أَرْفَقُ بِهِنَّ[4].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد زاد لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في العطاء ألفين على بقية أزواج رسول الله ﷺ[5]، لما كان لها من حظوة ومكانة متميزة عند رسول الله ﷺ، فأراد أن يحفظ ما كان من علو مكانتها بعد رحيل رسول الله ﷺ.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب النكاح؛ باب اسْتِحْبَابِ التَّزَوُّجِ وَالتَّزْوِيجِ فِي شَوَّالٍ وَاسْتِحْبَابِ الدُّخُولِ فِيهِ؛ ح (1423).
(2) القُرْعَة: السُّهْمَة (المُحكم والمحيط الأعظم؛ لابن سيده؛ مادة قعر(مقلوبة) 201/1).
(3) أخرجه البخاري في الصحيح واللفظ له، في كتاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا؛ بَاب هِبَةِ الْمَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا إِذَا كَانَ لَهَا زَوْجٌ فَهُوَ جَائِزٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ سَفِيهَةً فَإِذَا كَانَتْ سَفِيهَةً لَمْ يَجُز، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾؛ ح (2593)، وكذلك في كتاب الشهادات؛ باب القُرعة في المشكلات؛ ح (2688)، وكتاب النكاح؛ بَاب الْمَرْأَةِ تَهَبُ يَوْمَهَا مِنْ زَوْجِهَا لِضَرَّتِهَا وَكَيْفَ يَقْسِمُ ذَلِكَ؛ ح (5215)، أما مسلم فقد أخرجه في صحيحه؛ في كتاب الرضاع؛ بَاب جَوَازِ هِبَتِهَا نَوْبَتَهَا لِضُرَّتِهَا؛ ح (1463) مختصرًا.
(4) كما في المنتقى لابن الجارود، في شرحه لكتاب النكاح من موطأ مالك 189/3.
(5) المستدرك للحاكم، في تَسْمِيَةُ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، 9/4، ح (6723).

- **فَرْطُ دَلالها على النبي ﷺ:**

أتته يوماً باكية، إذ اعتمرت كل أزواج النبي ﷺ وعُدن رضي الله عنهن بنُسُكهن إلاَّ هي، فلم تَهُنْ على رسول الله ﷺ، بل أَمَر أخاها عبد الرحمن ﵁ أن يُلَبِّي رغبتها، قالت عائشة ﵂:" خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَلَيَالِي الْحَجِّ، وَحُرُمِ الْحَجِّ، فَنَزَلْنَا بِسَرِفَ[1]، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلَا، قَالَتْ: فَالْآخِذُ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا أَهْلَ قُوَّةٍ وَكَانَ مَعَهُمْ الْهَدْيُ؛ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْعُمْرَةِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ يَا هَنْتَاه[2]؟، قُلْتُ: سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِأَصْحَابِكَ فَمُنِعْتُ الْعُمْرَةَ، قَالَ: وَمَا شَأْنُكِ؟، قُلْتُ: لَا أُصَلِّي، قَالَ: فَلَا يَضِيرُكِ؛ إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكِ مَا كَتَبَ عَلَيْهِنَّ، فَكُونِي فِي حَجَّتِكِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكِيهَا.

قَالَتْ: فَخَرَجْنَا فِي حَجَّتِهِ حَتَّى قَدِمْنَا مِنًى[3] فَطَهَرْتُ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِن مِنًى فَأَفَضْتُ بِالْبَيْتِ قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَتْ مَعَهُ فِي النَّفْرِ الْآخِرِ حَتَّى نَزَلَ الْمُحَصَّبَ[4] وَنَزَلْنَا مَعَهُ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: اخْرُجْ بِأُخْتِكَ مِنْ الْحَرَمِ فَلْتُهِلَّ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ افْرُغَا ثُمَّ ائْتِيَا هَا هُنَا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُكُمَا حَتَّى تَأْتِيَانِي، قَالَتْ: فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ وَفَرَغْتُ مِنْ الطَّوَافِ ثُمَّ جِئْتُهُ بِسَحَر، فَقَالَ: هَلْ فَرَغْتُمْ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَآذَنَ بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ فَمَرَّ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَدِينَةِ"[5].

---

(1) سَرِف: بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره فاء، وهو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة، وتسعة، واثني عشر، كذا في معجم البلدان لياقوت الحموي، باب السين والراء، 239/3.

(2) يا هَنْتاه: أي يا هذِه، وقيل: يا بَلْهاء، (انظر: النهاية لابن الأثير؛ تحت: هنا 1550/4).

(3) مِنى: بالكسر والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سُمِّي بذلك لما يُمنى به من الدماء، أي: يُراق، وقيل: منى من مهبط العقبة إلى مُحَسِّر، وموقف المزدلفة من محسر إلى أنصاب الحرم وموقف عرفة في الحل لا في الحرم، انظر: معجم البلدان لياقوت، باب الميم والنون229/5.

(4) المُحَصَّب: بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة،اسم المفعول من الحصباء أو الحصب، وهو الرمي بالحصى وهو موضع فيما بين مكة ومِنى، وهو إلى مِنى أقرب، وهو بطحاء مكة، وهو خيف بني كنانة وحده من الحجون ذاهبا إلى منى، انظر: معجم البلدان للحموي؛ باب الميم والحاء74/5، ورحلة ابن بطوطة في ذكره لبعض المشاهد خارج مكة ص 61.

(5) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، البخاري بلفظه في كتاب الحج؛ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) سورة البقرة؛ آية 197؛ ح (1560)، وبَاب إذا حاضت المرأة بعدما أفاضت؛ ح (1762) من الكتاب نفسه، ومسلم أخرجه كذلك في كتاب الحج بنحوه؛ بَاب بَيَانِ وُجُوهِ الْإِحْرَامِ وَأَنَّهُ يَجُوزُ إِفْرَادُ الْحَجِّ وَالتَّمَتُّعِ وَالْقِرَانِ وَجَوَازِ إِدْخَالِ الْحَجِّ عَلَى الْعُمْرَةِ وَمَتَى يَحِلُّ الْقَارِنُ مِنْ نُسُكِهِ؛ ح(1211)؛ وح (1213) .

واسى النبي الكريم والزوج الحليم ﷺ زوجه في بلواها، فأخبرها أن حيضها من السُّنن الكونية التي كتبها الله ﷻ على بنات آدم، فلا تجزع و لا تحزن، وفي ندائه إياها: يا هنتاه، وكأنه من باب الملاطفة والتَّخفيف عن زوجه، يقول لها: يا امرأة، ماذا دهاك؟ إنما هو حال بنات آدم ولستِ وحدك فيما ابتُليتِ.

وإمعانًا في الدلال لم يُعدها ﷺ إلى المدينة إلا وقد أتمَّت حجًا وعُمرة.

- استئذانه ﷺ أزواجه رضوان الله عليهن أن يُطبَّب في بيتها ﵂:

أفاض النبي ﷺ في حب عائشة ﵂ وبالغَ؛ حتى طلب من أزواجه الكرام رضوان الله عليهن أن يُمرَّض في بيت محبوبته عائشة ﵂، فأذِنَّ له، وعند السَّقَم يكون قُربُ المحبوب من أبواب البَرْء وأسبابه.

قالت عائشة ﵂: " لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ به وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ"[1].

وقد كَانَ ﷺ فِي مَرَضِهِ " يَدُورُ فِي نِسَائِهِ وَيَقُولُ: أَيْنَ أَنَا غَدًا، أَيْنَ أَنَا غَدًا، حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ"[2].

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري الذي رواه في كتاب الوضوء؛ باب الْغُسْلِ وَالْوُضُوءِ فِي الْمِخْضَبِ وَالْقَدَحِ وَالْخَشَبِ وَالْحِجَارَةِ ؛ ح(198)، وكتاب الأذان؛ بَاب حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ؛ ح (665) وكتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها؛ بَاب هِبَةِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا؛ ح (2588)، وكتاب المغازي؛ بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ؛ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) سورة الزمر؛ آية 30؛ ح (4442) وكتاب فَرض الخُمس؛ باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نُسب من البيوت إليهن؛ ح (3099) وكذلك في كتاب الطِّب؛ (بابٌ) وهو الذي يلي باب اللَّدود؛ ح (5714).
وكذلك مسلم رواه بمثله في كتاب الصلاة؛ بَاب اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنْ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخُ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ؛ ح (418).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ؛ بَاب فَضْلِ عَائِشَةَ ﵂؛ ح (3774).

قَبْضُ رسول الله ﷺ بين سَحْرها ونَحْرها ﵂:

من كرامات أم المؤمنين عائشة ﵂: أنْ كانت آخر من رآها رسول الله ﷺ من أزواجه ونساء العالمين، خالط ريقه ريقها، وتوفي ﷺ في حِجْرها بين سَحْرها ونَحْرها.

وقد كانت السيدة عائشة ﵂ تقول: " إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي؛ وَفِي يَوْمِي؛ وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[1]، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ[2]، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ[3] أَوْ عُلْبَةٌ – يَشُكُّ عُمَرُ[4]– فِيهَا مَاءٌ؛ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ"[5].

دَفْنُ رسول الله ﷺ في حُجْرتها:

لقد شرُفت السيدة عائشة ﵂ إذ دُفن رسول الله ﷺ في بيتها، وزاد الشرف لمَّا دُفن خلفاء رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر ﵄، بجوار الحبيب محمد ﷺ .

(1) أي: توفي مرتكزاً على صدرها، فالسَّحْر: هو ما لَصِقَ بالحُلقوم والمَرِيء من أعلى البطن، وقيل: هي الرِّئة والنَّحْر: الصدر، انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة سحر 138/3، ولسان العرب، مادة نحر 229/5.

(3) أَمَرَّه: أي أمرَّه على أسنانه فاستاك به، كذا قال ابن حجر في الفتح، في شرحه لكتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ، ح (4094).

(3) ركوة: بفتح الراء وكسرها، وهي: إناءٌ صغير من جِلْدٍ يُشْرَب فيه الماءُ، والجمع رَكَوات بالتحريك ورِكاءٌ، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الراء مع الكاف، مادة ركا 548/2، و لسان العرب، مادة ركا 410/14.

(4) هو عمر بن سعيد، راوي الحديث، قاله: العيني في العمدة، في شرحه لحديث مرض النبي ﷺ، 70/18.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب المغازي؛ بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ آية 30 من سورة الزمر؛ ح (4449)، وح (4450) وح (4451)، وفي كتاب الجنائز بَاب مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ م؛ ح (1389)، وكتاب فَرض الخُمس؛ باب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا نُسِبَ مِنْ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ؛ ح (3100).

أمَّا مسلم فقد أخرجه كذلك في الصحيح؛ في كتاب فضائل الصحابة؛ بَاب فِي فَضْلِ عَائِشَةَ ﵂؛ ح (2443).

قالت عائشة ﵂: " إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؛ أَيْنَ أَنَا غَدًا، اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي[1]".

(1) أخرجه البخاري في الصحيح واللفظ له؛ في كتاب الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﵄؛ ح (1389)، ومسلم أخرجه في صحيحه؛ في كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم؛ باب فضل عائشة ﵂، ح(2443) بنحوه.

المبحث الثاني
المكانة العلمية للسيدة عائشة ﵂

تمهيد.

ثم ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سَعَة عِلم السيدة عائشة ﵂.

المطلب الثاني: تواضعها، وأمانتها العلمية، وسبقها في السؤال.

المطلب الثالث: شخصية عائشة ﵂ المؤثرة في حياتها العلمية.

التمهيد

من أهم ما يُذكر للسيدة عائشة ﵂ سعة علمها، ورسوخها فيه، فقد بلَّغت للمسلمين الكثير من أمور دينهم، اتفق لها البخاريُّ ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، انفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين(1).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَوَّلُ مَنْ كَشَفَ الغُمَّى(2) عَنِ النَّاسِ وَبَيَّنَ لَهُمُ السُّنَّةَ فِي ذَلِكَ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: "إِنْ كُنْتُ أَفْتِلُ قَلَائِدَ الْهَدْيِ(3) هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَبْعَثُ بِهَدْيِهِ مُقَلَّدًا وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ لَا يَجْتَنِبُ شَيْئًا حَتَّى يَنْحَرَ هَدْيَهُ".

فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ قَوْلُ عَائِشَةَ هَذَا أَخَذُوا بِقَوْلِهَا وَتَرَكُوا فَتْوَى ابْنِ عَبَّاس(4).

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي 139/2.

(2) في المطبوع من سنن البيهقي الكبرى وفي غيره: العمى (كتاب الحج؛ باب لا يصير الإنسان بتقليد الهدي وإشعاره وهو لا يريد الإحرام محرما، ح (9971)، والصوابُ ما أثبتُّه "الغُمّى"، انظر الإجابة للزركشي 74، ومن التعليق المُمَجّد (شرح الموطّأ) للكنوي 268/2 ، وتعبير: "كَشف الغُمّى عن" تركيبٌ معروفٌ عند العرب قال ابن دريد: "وتقول في الدعاء: اللهم اكشف عنّا هذه الغُمّى" جمهرة اللغة 1081/2.

(3) الفَتْل: من فَتَل، والفاء والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على ليِّ شيء، من ذلك: فتَلت الحبلَ وغيرَه، أمَّا تقليد البُدن: فهو أن يجعل في عنقها شِعار يُعلم به أنها هَدي (انظر: لسان العرب، مادة فتل472/4، ومادة قلد367/3).

(4) أخرجه البيهقي بإسناده عن أبي بكر أحمد بن الحسن القاضي، قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان، حدَّثنا أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم، حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعيب قال: قال الزهري، (السنن الكبرى، في كتاب الحج؛ باب لا يصير الإنسان بتقليد الهدى وإشعاره وهو لا يريد الإحرام محرمًا، ح (9971)، وكذلك أخرجه الدارمي بنحوه في سننه (كتاب المناسك، باب فِي الَّذِى يَبْعَثُ هَدْيَهُ وَهُوَ مُقِيمٌ فِي بَلَدِهِ، ح (1988)، و الطبراني في مسند الشاميين باختلاف يسير في الألفاظ (خلال حديثه عن أرطاة عن أبي المعلى بن إسماعيل، ح (708)، جميعهم من طريق الزُّهري عن عروة بن الزبير وعمرة بن عبد الرحمن عن عائشة ﵂.
والحديث إسناده صحيح إذ رواته ثقات، وأصلُه في الصحيحين، انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، بَاب مَنْ قَلَّدَ الْقَلَائِدَ بِيَدِهِ؛ ح (1700)، وفي كتاب الوَكالة؛ بَاب الْوَكَالَةِ فِي الْبُدْنِ وَتَعَاهُدِهَا؛ ح (2317) مختصرا.
وصحيح مسلم كتاب الحج؛ بَاب اسْتِحْبَابِ بَعْثِ الْهَدْيِ إِلَى الْحَرَمِ لِمَنْ لَا يُرِيدُ الذَّهَابَ بِنَفْسِهِ وَاسْتِحْبَابِ تَقْلِيدِهِ وَفَتْلِ الْقَلَائِدِ وَأَنَّ بَاعِثَهُ لَا يَصِيرُ مُحْرِمًا وَلَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ بِذَلِكَ؛ ح (1321).

ولم يكن عِلم عائشة ﵂ يقتصر على الشريعة وأمور الدين، بل كانت مُلمَّة بالكثير من العلوم الطبية والإنسانيَّة الأخرى؛ الضرورية للحياة والمُكمِّلة لجانب الدين.

كان عُروة بن الزُّبير يقول لعائشة ﵂: يَا أُمَّتَاهُ، لاَ أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكِ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِهِ وَقَالَتْ: أَيْ عُرَيَّةُ[1]، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ[2].

كانت العرب الوافدة تصف لرسول الله ﷺ الدواء، فتُطبِّق الزوجة النبيهة النصائح، وتؤدِّي الوصفات كما ينبغي، لعَلَّ الله أن يشفي على يدها النبيّ ﷺ، فبارك الله فيها وفي علمها، وتحصّل لها قدرٌ كبير من العلم بأمور طبّ ذلك الزمان.

وفي المطلب التالي، نستعرضُ طرفًا من الأخبار تُنبي عن سعة علمها، وتنوّع معارفها ﵂.

---

(1) تصغير عروة، وهو من باب التمليح.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقد رواه عن عَبْدِ اللَّهِ بْن مُعَاوِيَة الزُّبَيْرِيُّ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (24884)، ومن طريق أحمد أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (في النساء الصحابيات، عند ذكره عائشة أم المؤمنين 50/2، وفي الطبّ النبوي، المقالة الأولى، باب معرفة الطبّ بالأوصاف، ح (58)، وأخرجه الطبرانيّ مختصرًا في المعجم الكبير، ح (295)، وذكر شبيهًا له من طريق أخرى عن عروة في الأوسط ح (6067).

وإسناد أحمد ضعيف بسبب ضعف شيخه أبي معاوية الزبيري، لكنه توبع، كما في الطب النبوي لأبي نعيم (في مقالته الأولى، باب معرفة الطبّ بالأوصاف، ح (57))، تابعه عن هشام أبو أسامة حمَّاد بن أسامة الثقة المشهور، فزالَ الإشكالُ وصار الحديث حسنًا لغيره.

المطلب الأول
سَعَة عِلم عائشة ﵂

كانت عائشة ﵂ بحراً زاخراً بالعلم والمعرفة، تجلس في مجالس العلم مع النَّاس تستمع وتتعلم وتناقش، وتحفظ جيداً ما حَضَرت وتعلَّمت، فكانت تَروي ذلك وتُعلِّق بما فهمت من معنى الحديث، كما كانت تُصحِّحُ ما التبس على الرواة من الأحاديث، واثقةً من حفظها ونقاء ذاكرتها.

ولقد قال عروة بن الزبير ﵁: "ما رأيت أحداً أعلم بالحلال، والحرام، والعِلم والشِّعر والطِّب، من عائشة أم المؤمنين[1]".

احتجَّت على النَّاس مُتعجِّبة من سرعة نسيانهم لأمور دينهم المتعلقة بدُنياهم، وتسرُّعهم فيما لا علم لهم فيه، فذكَّرتهم بفقه الجنائز عن رسول الله ﷺ، حين عابوا مرور جنازة سعد بن أبي وقَّاص ﵁ في المسجد، وأن رسول الله ﷺ قد صلَّى على سهيل بن بيضاء[2] في جَوف المسجد.

عن عَائِشَةَ ﵂: أَنَّهَا لَمَّا تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁ أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَمُرُّوا بِجَنَازَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَيُصَلِّينَ عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا، فَوُقِفَ بِهِ عَلَى حُجَرِهِنَّ يُصَلِّينَ عَلَيْهِ، أُخْرِجَ بِهِ مِنْ بَابِ الْجَنَائِزِ الَّذِي كَانَ إِلَى الْمَقَاعِدِ، فَبَلَغَهُنَّ أَنَّ النَّاسَ عَابُوا ذَلِكَ؛ وَقَالُوا: مَا كَانَتْ الْجَنَائِزُ يُدْخَلُ بِهَا الْمَسْجِد.

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ ﵂، فَقَالَتْ: مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعِيبُوا مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ يُمَرَّ بِجَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سُهَيْلِ بْنِ بَيْضَاءَ إِلَّا فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ[3].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك بسندٍ صحيح ، قال: حدثني محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا أبو سعيد بن شاذان حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه (في ذكر الصحابيات من أزواج رسول الله ﷺ وغيرهن 12/4، ح (6733)، وأخرج قريبًا من الطريق ذاتها ابن أبي شيبة في المصنّف، كتاب الأدب، باب الرخصة في الشعر، ح (26019)، وسنده صحيح أيضًا.

(2) سُهيل بن البيضاء: وهي أُمه، واسم أبيه وهب بن ربيعة القرشي الفِهْري، واسم أُمِّه البيضاءُ دَعْد بنت الجحدَم بن أُمَيّة بن ضَبّة بن الحارث بن فهر، انظر: أسد الغابة، في ترجمة أخيه سهل، باب السين والنون، 541/2، وفي سهيل بن بيضاء، 554/2 من نفس الباب.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَاب الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ فِي الْمَسْجِدِ، ح (973).

قال النووي: وفي حديث سهيل هذا دليل لطهارة الآدمي الميت، وفي هذا الحديث دليل للشافعي والأكثرين في جواز الصلاة على الميت في المسجد[1].

وهذا ابن عباس ﵄ يَشهد للسيدة عائشة ﵂ على سعة عِلمها، يأتيه سائلٌ (هو سَعد بن هشام بن عامِر) عن وِتْر[2] النبي ﷺ، فيُجيبه: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟، قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ[3].

وهذه شهادةٌ قديرة من ابن عبّاس ﵄ العالم الفقيه، إذ وصف عائشة بهذا الوصف لقربها من النبيّ ﷺ، وخصّها من بين أزواج النبي ﷺ لثقته بحفظها وفهمها وفقهها، ﵂.

ولئن كان ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما أصغر من عائشة ﵂، يسهلُ عليه أن يحمل عنها، ويدلّ عليها، فإنّ ابن عمر رضي الله عنهما وهو قرينُها، يسمعُ أيضًا لقولها ويُذعن لاستدراكها، فعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ مُسْتَنِدَيْنِ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، وَإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا بِالسِّوَاكِ تَسْتَنُّ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَيْ أُمَّتَاهُ، أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قُلْتُ يَقُولُ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رَجَبٍ، فَقَالَتْ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ، وَمَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلَّا وَإِنَّهُ لَمَعَهُ، قَالَ: وَابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ فَمَا قَالَ: لَا، وَلَا نَعَمْ، سَكَتَ[4].

وفي القصّة أدبُ أم المؤمنين مع ابن عمر ﵄، في قولها: يغفر الله له، وفي ذكره بكُنيته، وفي الشهادة له بالحضور الدائم مع النبيّ ﷺ.

وفيه تسليم ابن عمر رضي الله عنهما لها، وسكوته إذعانًا وإقرارًا بعلمها وحفظها، فما أكرمهما من قرينين، وطالبي علمٍ صادقين، ﵄، وجعلنا على مِثل خُلقهما.

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج)، في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنازة في المسجد،396/3.

(2) الوِتر والوَتْر: الفَرد، أو ما لم يَتَشَفَّعْ من العَدَدِ، وأَوْتَرَ: صَلَّى الوتر، وصلاة الوتر: أن يُصلي مثنى مثنى، ثم يصلي في آخرها ركعة مفردة ويضيفها إلى ما قبلها من الركعات (انظر: مقاييس اللغة، مادة وتر83/6، ولسان العرب، تحت وتر273/5).

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، ح (746).

(4) أخرجه البخاريّ ومسلم، واللفظ لمسلم، انظر: صحيح البخاري، كتاب أبواب العمرة، باب كم اعتمر النبيّ ﷺ ح (1776)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان عدد عمر النبيّ ﷺ وزمانهن، ح (1255).

وهي باستدراكها على ابن عمر ﵄ غير مُتَّهِمة ولا طاعِنة، بل هو الخطأ والنسيان وحاشا الصحابة الكرام ﵃ أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، وقد قال ابن حِبَّان: أبْيَن البيان أن الخيِّر المُتقن الفاضل قد ينسى بعض ما يسمع من السنن أو يشهدها[1].

وحين بلَغَها أن أبا هريرة ﵁ يُحدِّث عن رسول الله ﷺ ما لا تَعْرِف، دعتْهُ وأنكرتْ عليه مُذكِّرة إياه أنهما كانا يرتادا مجالس العلم نفسها في مدرسة النبوة، وردّ عليها أبو هريرة بأدب ومنطق جميلين.

عن عائشة ﵂: أنها دعت أبا هُريرة رضي الله عنه؛ فقالت له: يا أبا هُريرة، ما هذه الأحاديث التي تَبْلُغنا إنَّك تُحدِّث بها عن النبي ﷺ؟، هل سمعتَ إلا ما سَمِعنا؟، وهل رَأيتَ إلا ما رأينا؟، قال: يا أُمَّاه، إنه كان يَشْغَلك عن رسول الله ﷺ المِرآة والمُكْحُلة[2] والتَّصَنُّع لرسول الله ﷺ[3]، وإنِّي والله ما كان يَشْغلني عنه شيء[4].

ولقد سمعته يوماً يُحدِّث في مجلسٍ عن رسول الله ﷺ، فقالت لعروة ابن أختها: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هريرة، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ النبي ﷺ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ[5].

وهي العارفة بهيئة رسول الله ﷺ في مجالسه وحاله مع طُلَّابه، لذلك تعجَّبت من أبي هريرة وهو المُصاحب لرسول الله ﷺ في حِلِّه وترحاله إذ لم يتمثَّل سمت النبي ﷺ عند التحديث.

---

(1) صحيح ابن حِبان البُستي، كتاب الحج، باب ما جاء في حج النبي ﷺ واعتماره، وفي ذكر وصف اعتمار المصطفى ﷺ، 261/9.

(2) المُكْحُلة: التى فيها الكُحْل، وهو معروف، انظر: الصِّحاح؛ للجوهري، مادة كحل87/6.

(3) التَّصَنُّع: تكَلُّفُ الصَّلاحِ وحُسنِ السَّمْت وإظهارُه والتَّزَيُّنُ به، قاله الزَّبيدي في التاج، تحت صنع5386/1.

(4) رواه الحاكم في المستدرك، بإسناده قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل حدثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمري حدثنا عبد الله بن صالح الأزدي حدثنا خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن عائشة ﵂ (في كتاب معرفة الصحابة ﵃، ذكر أبي هريرة الدوسي ﵁، ح (6217)، مُعقِّبًا بقوله: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وهو كما قال والله أعلم.

(5) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم الذي رواه في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ح (2493).

أمَّا البخاري فقد رواه في كتاب المناقب ، بَاب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ح (3568).

وقد كانت السيدة عائشة ﵂ تُفكِّر فيما تُطبِّق الشريعة، تُعملُ عقلها نظرًا وفحصًا وتَزِن ما وَعَت من هَدْي رسول الله ﷺ، فلم تكن مُجرد ناقلة للسُّنة، ولم تكُن لتقبل خبرًا أو فتوى إلا عن وعيٍ ونقد.

بَلَغَها أَنَّ ابْنَ عَمْرو (عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄) يَأْمُرُ النِّسَاء إِذَا اغتسلن أن يَنقُضْن رؤوسهن[1] فأنكرت ذلك، وقَالَتْ: يَا عجباً لابن عَمْرٍو هذا!، يَأْمُرُ النِّسَاء، إِذَا اغتسلن أن ينقضن رُؤوسهنَّ!! أفلا يَأْمُرُهن أن يَحْلقن رؤوسهنَّ! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، ولا أزيد على أن أُفْرِغ على رأسي ثلاث إفراغات[2].

ومن إعمالها عقلها فيما تسمع، اعتراضُها على ما روي عن عُمر بن الخطَّاب وابنه عبد الله ﵄ في عذاب الميّت ببكاء أهله.

إذ ذكر ابنُ عبّاسٍ ﵄ لأم المؤمنين ما رواهُ عمر ﵁، فقالت في أدب:

"رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ المُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"، **وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ القُرْآنُ:(وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**[3] [4].

وفي رواية أخرى قالت عائشة ﵂:" إنكم لَتُحدِّثوني عن غير كاذِبين، ولا مُكَذَّبين، ولكنَّ السَّمع يُخطِئ"[5].

(1) النَّقض: ضد الإبرام، ونقض الرأس: هو حل الشعر، كما في لسان العرب، مادة نقض242/7، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، في كشف المشكل من مسند أم المؤمنين عائشة ﵂ 1254/1.
(2) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة، ح (331).
(3) سورة الأنعام، آية 164.
(4) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب الجنائز، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؛ إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) سورة التحريم آية 6، ح(1288)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح (929) باختلاف يسير في الألفاظ.
(5) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح (929).

وليس تحقيقُ هذه المسألة من مقصود الدّراسة، غير أنني أحببتُ الإشارة إلى منهج أم المؤمنين ﵂ في محاكمة ما تسمعُه إلى معارفها السابقة، من قرآن وسنّة.

قال الإمام الترمذيّ عقب إخراجه حديث عائشة ﵂:

"حديث عائشة حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن عائشة، وقد ذهب أهل العلم إلى هذا، وتأوَّلوا هذه الآية: (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**)[1]، وهو قول الشافعي"[2].

وفي كلام الإمام الشافعيّ في هذه المسألة فوائدُ لطيفة، كقوله: "وَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا عَنْهُ ﷺ، بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ ثُمَّ السُّنَّة"[3]، ففيه ترجيحٌ صريحٌ لحديث عائشة على حديث عمر وابنه ﵄، على جلالة قدرهما وسعة علمهما.

وكذلك ترجيحه رواية عَمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة ﵂ لهذا الحديث، على رواية ابن أبي مُلَيْكة([4])، قال الشافعي: "وَعَمْرَةُ أَحْفَظُ عَنْ عَائِشَةَ مِنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَحَدِيثُهَا أَشْبَهُ الحَدِيثَيْنِ أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا"[5].

فرجّح الإمام الشافعيّ ﵀ رواية النِّساء على الرجال لهذا الحديث مرّتين، أولاهما: رواية عائشة ﵂ على رواية عمر ﵁ عن النبي ﷺ، والثانية: رواية عَمْرة عن عائشة ﵂ على رواية ابن أبي مليكة عنها.

فأحببتُ ذكر هذه الفائدة اللطيفة لأن من أهم مقاصد الدراسة بيانُ مكانة المرأة العلمية في الإسلام وهذا شاهدٌ قويٌّ وجميلٌ في آن واحد.

---

(1) سورة الأنعام، آية 164.

(2) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، قاله عقب الحديث: (1004).

(3) اختلاف الحديث، في طبعته مع الأمّ للشّافعي، 648.

(4) هو التابعي الجليل عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكة زهير بن عبد الله بن جدعان، قاضى مكة زمن ابن الزبير، ومؤذن الحرم، توفى سنة سبع عشرة ومائة، انظر: تذكرة الحفاظ؛ للذهبي 78/1.

(5) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

المطلب الثاني
تواضعها وأمانتها العلمية وسبقها في السؤال

من تواضع السيدة عائشة ﵂:

كانت على جلالة قدرها ومعرفتها لا تأخذها عزة النفس في الإشارة للحق، فكانت تُحيل السائل إلى من عنده الجواب الشافي في مسألته، لا تتكلَّف القول بغير علم؛ بل تَدُل على منابع العلم أَنَّى وُجدت وتحيلُ على أقرانها، فمن دونهم.

يأتيها الصحابة الكرام يسألونها عن صلاة النبي ﷺ الركعتين بعد العصر، وكلهم ثقة بعلمها الذي تحمل، فتقول عائشة ﵂: لا عِلْم لي، ولكن اذهب إلى أم سلمة فسَلْها، وتذهب مع السائل إلى (ضرّتها) أم المؤمنين أم سلمة ﵂.

فتقول أم سَلمة ﵂: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم بعد العصر فصلَّى عندي ركعتين لم أكن أراه يصليهما، فقلت: يا رسول الله، لقد صليت صلاة لم أكن أراك تصليها، فقال: "إنِّي كُنْتُ أُصَلّي ركعتين بعدَ الظهر، وأنَّه قَدِمَ عَلَيَّ وفْدُ بني تَميم، أو صَدَقة، فَشَغَلُوني عَنْهُما فَهُمَا هَاتَانِ الرَّكعتَانِ[1]".

ويسألها آخر عن النَّبيذ، فتدعو له من يفتيه، جارية حبشية كانت هي من تنبذ لرسول الله ﷺ قال ثُمَامَة بن حَزْن القُشَيْري[2]: لَقِيتُ عائشة فسَألْتُها عن النبيذ[3]، فدَعَتْ عائشةُ جَارِيةً حَبَشِيَّةً

(1) أخرجه الإمام الشافعي في مسنده واللفظ له، في كتاب الصلاة، باب صلاة الركعتين بعد العصر، ح (159) و(160)، و الحُميدي في مسنده بمثله؛ في أحاديث أم سلمة زوجة النبي ﷺ، واسمها: هند بنت أبى أمية المخزومي ﵂؛ 307/1، كذلك أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بيد أنه جاء فيه: "قَدِمت صَدَقَة"، في كتاب الصلاة؛ باب الساعة التي يكره فيها الصلاة 431/2، ثلاثتهم من طريق عبد الله بن أبي لبيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أم سلمة ﵂، والحديث إسناده صحيح إذ رواته ثقات.

(2) هو: ثُمَامَة بن حَزْن بن عَبْد الله ابن سَلَمة بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القُشيري، أدرك النبي، و قدم على عمر في خلافته، وهو ابن خمس وثلاثين سنة، انظر: أسد الغابة لابن الأثير الجزري، باب الثاء مع القاف ومع اللام ومع الميم 364/1.

(3) النَّبيذ: هو ما يُعْمَلُ من الأشْرِبة من التَّمرِ والزَّبيب والعَسَل والحِنْطَة والشَّعير وغير ذلك، يقال: نَبَذْتُ التَّمر والعِنَب، إذا تَركْتَ عليه الْمَاء لِيَصِيرَ نَبِيذاً، وانْتَبَذْتُه: اتَّخَذْتُه نَبِيذاً، وسَوَاء كان مِسْكِراً أو غيرَ مُسْكِر فإنه يقال له نَبِيذٌ، وَيقال للخَمْر المُعْتَصَر من العنَب نَبِيذٌ، كما يقال للنَّبيذ خَمْرٌ، قاله ابن الأثير في النهاية، باب النون مع الباء، مادة نبذ 1359/4.

فقالت: سَلْ هذه، فإنَّها كانت تَنْبذُ لرسول الله ﷺ، فقالت الحَبَشِيَّةُ: كُنْتُ أَنْبِذُ له في سِقاءٍ مِنَ اللَّيْل، وأوكِيهُ[1] وأُعَلِّقُهُ، فإذا أَصْبَحَ شَرِبَ مِنْهُ[2].

ويأتيها صحابي آخر يسألها عن المسح على الخُفَّين، فتقول له: ائْتِ عَلِياً فإنَّهُ أَعْلَمُ بِذلك مِنِّي[3]، وفي رواية أخرى قالت عائشة للسائل: عَلَيْكَ بابْنِ أَبِي طَالب فسَلْهُ، فإنَّهُ كَانَ يُسافِرُ مَع رسولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم[4].

لم تكتفِ أم المؤمنين بالدلالة على موطن الإجابة، بل علَّلت عُذرها بأنَّ عليًّا أعلم منها في هذه المسألة، فعليٌّ كان كثير السفر مع النبي ﷺ، وفي السفر يكثر المسح على الخفين.

وقد كانت عائشة ﵂ تتلطَّف في تعديلها على الصحابة الكرام، فتُقدِّم عُذرهم أَنْ نسوا أو أخطؤا ثم تَرُدُّهم رداً جميلاً إلى ما وعته من سنة رسول الله ﷺ.

وقد سبقت الإشارة إلى أدبها هذا ﵂ في المطلب السابق من هذا المبحث.

من أمانتها العلمية:

من دلائل أمانة السيدة عائشة ﵂ العلمية؛ روايتها لفضائل السيدتين خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، وقد اعترفت غير مرّة أنها كانت تغار من أم المؤمنين خديجة ﵂ ولم ترها، لتَعلُّق زوجها محمد ﷺ بذِكرها وبرِّه بصواحبها وفاءً منه ﷺ، وحُبَّاً لزوجه خديجة ﵂.

حَدَّثت أم المؤمنين عائشة ﵂: أنَّ رسول الله ﷺ بَشَّر خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة[5].

---

(1) أوكيه: من وكا، يقال: أوْكَيْتُ السِّقاء، أوكِيه إيكاءً، فهو مُوكَىً، و الوِكاءُ: الخَيْط الذي تُشَدُّ به الصُّرَّة والكِيسُ وغيرهما، انظر: النهاية، باب اواو مع الكاف، مادة وكا 1510/4.

(2) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرًا، ح (2005).

(3) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين، ح (276).

(4) المصدر السابق.

(5) سبق تخريجه، خلال استعراض الجانب العاطفي من حياة أم المؤمنين عائشة ﵂ ، وانتقالها من بيت الدلال إلى بيت الشراكة والضرائر، ص 35.

وعَدَّت من كرامات أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: أنَّ النبي ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت[1] ومعروف أن عائشة رضي الله عنها لم تكن آخر زوجات النبي ﷺ، وروت فضيلة خديجة رضي الله عنها في الإنجاب للنبيّ ﷺ[2]، وقد ذكرت أنها – أي عائشة – لم تلد!

وإنَّ امرأة تذكر مناقبَ لضُرَّتها حُرمت من مثلها، لجديرةٌ بأرفع أوسمة الموضوعية والأمانة العلمية سيّما إن كانت معروفة بالغيرة وشدّتها.

كما كان من إنصافها وموضوعيَّتها أن ذَكرت مناقب فاطمة بنت محمد ﷺ، وقد سبق مجيءُ فاطمة رضي الله عنها لوالدها ﷺ تُبلغه خُصومة أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– وطلبهن الإنصاف في حُبِّ عائشة رضي الله عنها.

أَحبَّت أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها فاطمةَ رضي الله عنها ، ولم تجعل خصومة فاطمة لأبيها أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه حتى ماتت[3] تُؤثِّر على رأيها فيها، أو روايتها لفضائلها، ومعروف أنَّ كُل فتاة بأبيها معجبة.

فقد روت أشهر أحاديث فضائل فاطمة رضي الله عنها، حديثَ سيدة نساء أهل الجنّة، الذي يستندُ إليه من فَضَّل فاطمة عليها السلام مطلقًا.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " مَرْحَبًا بِابْنَتِي"، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ

---

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها ، ح (2436).

(2) صحيح البخاري، كتاب، بَاب تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رضي الله عنها ، ح (3818).

(3) روت عائشة رضي الله عنها: أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ عَلَيْهِمَا السَّلَام أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَيْهِمَا مِنْ فَدَكَ وَسَهْمَهُمَا مِنْ خَيْبَرَ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ"، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا أَدَعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهِ إِلَّا صَنَعْتُهُ، قَالَ: فَهَجَرَتْهُ فَاطِمَةُ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى مَاتَتْ.

والحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري في كتاب الفرائض؛ بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ ح (6725)؛ وح (6726).

ومسلم في كتاب الجهاد والسِّير؛ بَاب حُكم الفيء؛ ح (1757)؛ وفي باب قول النبي ﷺ: " لا نُورث ما تركنا فهو صَدقة" من نفس الكتاب؛ ح (1759) .

تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: "إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي"، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ:" أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ" فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ[1].

وكذلك روت حديثَ الكِساء الذي صار بَعدُ من أصول عقائد الشيعة، قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[2]، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ:" ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]" [4].

ولقد كانت عائشة ﵂ لا تكتم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، مهما انحطَّت منزلة السائل عندها، فقد كانت كعادتها تترفَّع عن الزَّلاَّت وتتعامل كأم للمؤمنين جميعًا.

قال عبدالرَّحمن بن شَمَاسَة[5]: أتيتُ عائشة أسألها عن شيء، فقالت: مِمَّنْ أنت؟، فقلتُ: رَجُلٌ من أَهلِ مِصْر، فقالت: كيفَ كانَ صاحِبُكُم لكُم في غَزَاتِكم هذه ؟، فقال: ما نَقِمْنا مِنه شيئًا، إنْ كانَ لَيمُوتُ للرَّجُلِ مِنَّا البَعير؛ فيُعْطِيهِ البَعير، والعَبْد فيعُطيهِ العَبد، ويحتاجُ إلى النَّفَقة؛ فيعطيه النَّفقة، فقالت: أمَا إنَّهُ لا يَمنعُني الذي فَعَل في مُحمَّد بن أبي بكرٍ[6]، أخي، أنْ أُخْبِرك ما سَمِعتُ

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ح (3623)، وح (3624).
(2) المُرَحَّل: الذي قد نُقش فيه تَصاوير الرِّحال، وهي الإبل، انظر: النهاية لابن الأثير، مادة رحل، 503/2.
(3) سورة الأحزاب، آية 33.
(4) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ح (2424).
(5) هو: عبد الرحمن بن شَماسة بن ذئب بن أَحْوَر المَهري، أبو عبد الله، سكن مصر، انظر: الإكمال لابن ماكولا، باب أحور 9/1.
(6) هو: محمد بن عبد الله بن عثمان، وهو محمد بن أبى بكر بن أبى قحافة القرشي التَّيمي، ولد عام حجة الوداع بالبيداء، وقد قُتل بمصر في زمن علي رضي الله عنه، انظر: التاريخ الكبير للبخاري 124/1.

من رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا:" اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فشَقَّ[1] عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَليَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فرَفَق بهم فارْفق به[2]".

أجابت السَّيدة الأمينة السائل، رغم حزنها الشديد لمقتل أخيها محمد بن أبي بكر صبرًا في الفتنة بين علي رضي الله عنه ومعاوية رحمه الله، وقد كان الرَّجل الذي سألت عبد الرحمن عنه يُسمَّى مُعاوية بن حُديج، كان قاتل أخيها محمد، بعد أن كان محمد قائمًا على أعمال مصر زمن علي رضي الله عنه[3].

تعالت على جراحاتها وقد نكأها السَّائل القادم من مصر، وكانت خير مُبلِّغة أمينة عن رسول الله ﷺ.

كما كانت ﵂ تُذاكِر حفظها مع أصحاب النبي ﷺ، وهي أم المؤمنين المُقرَّبة من الرسول ﷺ تُصَدِّق حفظها بحفظ الصحابة الكرام، فالمُبَلِّغ مؤتمن على ما يُؤدِّي.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ ﵂: يَا ابْنَ أُخْتِي، بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ فَالْقَهُ، فَسَائِلْهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَذْكُرُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عُرْوَةُ: فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ أَنَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنْ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالًا، يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ.

قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا حَدَّثْتُ عَائِشَةَ بِذَلِكَ؛ أَعْظَمَتْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْهُ، قَالَتْ: أَحَدَّثَكَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟!، قَالَ عُرْوَةُ: حَتَّى إِذَا كَانَ قَابِلٌ، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَدْ قَدِمَ، فَالْقَهُ، ثُمَّ فَاتِحْهُ حَتَّى تَسْأَلَهُ عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ لَكَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ، فَسَاءَلْتُهُ، فَذَكَرَهُ لِي نَحْوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ

---

(1) شَقَّ: من المشَقَّة، وهي الشِّدّة، النهاية لابن الأثير، مادة شقق 720/2.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح (1828).

(3) انظر: البداية والنهاية لابن كثير الدِّمشقي 345/7.

فِي مَرَّتِهِ الْأُولَى قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا أَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ قَالَتْ: مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ(1).

سَبْقها في السؤال:

كان من نجابة السيدة عائشة ﵂ وتفتُّح عقلها أن كانت سبَّاقة في سؤال رسول الله ﷺ عمَّا يَغُمُّ عليها، إكراماً لعقلها وابتغاء العبادة على يقينٍ وعلم.

بادرت بالاستفسار عمَّا يجول في خَلَدها من أسئلة، فحظيت بشهادة رسول الله ﷺ لها بالسَّبق.

ذكرت عائشة ﵂ ذلك بفخرٍ حين قالت: أنا أَوَّلُ النَّاسِ سَأَلَ رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (**يَوْمَ تُبَدَّل الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّماواتِ وبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّار**)(2)، قالت: فقُلْتُ: أيْنَ النَّاس يومئذٍ يا رسول الله؟، قال:" على الصِّراط "(3).

ومَرَّةً أخرى تُثْبت سبقها للمؤمنين في التَّعلُّم، يقول مسروق: كنت مُتَّكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاثٌ مَنْ تَكلَّم بواحدة مِنهن فقد أَعْظَم على الله الفِرْية(4)، قلت: ما هُن ؟، قالت: مَن زَعم أَنَّ محمدًا ﷺ رأى ربه، فقد أَعْظم على الله الفِرية، قال: وكُنت مُتَّكئًا، فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أَنْظِريني ولا تَعْجَليني، ألم يقل الله ﷻ: (ولَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِين)(5)، (وَلقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)(6) فقالت: أَنا أوَّل هذه الأُمَّةِ سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل لم أَرَه

---

(1) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح (2673)، وقولُها: "صَدَق" هنا، بمعنى أصاب، كما يدلُّ عليه السياق، وقد كانت تمتحنُ حفظه لهذا الحديث، لا أمانته.

(2) سورة إبراهيم، آية 48.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث السيدة عائشة ﵂، ح (22940)، بإسناد صحيح، عن محمد بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بن أبي هِند عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عن عائشة ﵂.

والحديث في صحيح مسلم بلفظ سألتُ رسول الله ﷺ، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ح (2791) ورواية أحمد فيها شاهد السَّبق في السؤال.

(4) الفِرية: من الكذب، وجمعها الفِرَى، كذا في لسان العرب، مادة فرا، 151/15.

(5) سورة التكوير، آية 23.

(6) سورة النجم، آية 13.

على صورته التي خُلِق عليها؛ غير هاتين المَرَّتين، رأيته مُنْهبطًا من السماء، سَادًّا عِظَم خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت: أَوَ لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [1]، قالت: ومَنْ زَعَم أن رسول الله ﷺ كَتَم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفِرْية، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [2]، قالت: ومَنْ زَعم أنه يُخْبر بما يكون في غَد، فقد أعظم على الله الفِرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [3] [4].

(1) سورة الشورى، آية 51.

(2) سورة المائدة، آية 67.

(3) سورة النمل، آية 65.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷿ (ولقد رآه نزلة أخرى)، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟، ح (177).

المطلب الثالث
شخصية عائشة ﵂ المؤثرة في حياتها العلمية

رسمت شخصية عائشة ﵂ ملامح خطاها العلمية، إذ تنبني حياة المرء على طباعه وتدور حول شخصيته، فطلبت العلم وانطلقت بلا تكلُّف أو وَجَل، وامتازت وأَثْرَت حياتها العلمية بما يستفيد منه كل طالب علم مُخْلص.

وكان من ملامح شخصيتها المؤثرة:

القوة في الشخصية، والغَيرة على المسلمين:

تمتَّعت عائشة ﵂ بشخصية قوية، كانت من الدعائم المهمة المؤثرة في طلبها للعلم لم تكن تكتفي بالسماع فقط، بل تلقَّت العلم بكل جوارحها، فكانت جريئةً في قول رأيها، وكان النبي ﷺ يتعهدها بالنُّصح، فكان خير مُؤدِّب ؛ وكانت خير طالبةٍ نجيبة.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ[1]: " دَخَلَ رَهْطٌ[2] مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ[3] عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُم".

---

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب الأدب؛ باب الرفق في الأمر كله؛ ح (6024) وكذلك في باب لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا من نفس الكتاب؛ ح (6030)؛ وكذا في كتاب الدعوات بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ يُسْتَجَابُ لَنَا فِي الْيَهُودِ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا؛ ح (6401).

ومسلم رواه بمثله غير اختلاف في لفظ: "استأذن" و" أتى"؛ في كتاب السَّلام؛ بَاب النَّهْيِ عَنْ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ؛ ح (2165).

(2) رَهط: الراء والهاء والطاء أصلٌ يدلُّ على تجمُّعٍ في النّاسِ وغيرِهم، العِصابة من ثلاثةٍ إلى عَشرة؛ وربما جاوز ذلك قليلًا، ويُجمع رَهْط على أرْهط، ثمّ تجمع أرْهط على أراهط، وتخفيف الرَّهط أحسن من تثقيله (انظر: مقاييس اللغة؛ مادة رهط؛ 450/2، وجمهرة اللغة لابن دريد؛ تحت ر – ط– ه؛ 418/1).

(3) السَّام: يعني الموت، ويُظْهِرون أنهم يُرِيدون السلام عليكم (النهاية؛ باب السين مع الواو، 1039/2، ولسان العرب؛ مادة سوم؛ 314/12).

فقد استنكرت عائشة ﵂ المُسلمة الغيورة أن يُسَبَّ رسولنا الكريم صلوات ربي عليه ويَسكت، لا يَرُدُّ عليهم، فردَّت هي وانتصرت لدينها، فما كان من النبي صلوات الله عليه إلا أنْ نَصحها، ورَدَّها لخُلُق اللِّين رداً جميلا.

وهذا منهجٌ قويٌّ ينبغي أن يمارسه طالب العلم، أن ينتصر لدينه وفكره إن كان على حق وألا يخاف في الله لومة لائم، بل يكون صاحب فكرٍ ومبدأ، وكم من ناسٍ ضَحُّوا وراحوا شهداءَ لفكرهم، فكانت دماؤهم مداداً لكلماتهم.

ولك أن تتأمَّل موقفها العظيم في حادثة الإفك؛ يوم برأها الله، حين قالت:" لا أَحْمَد إلاَّ الله ﷻ [1]" فكانت شخصيتها قوية متعلقة بحبل الله ﷻ، إذ لم تحمد إلا من برَّأها، ولعمري إنَّ صاحبة هذه الشخصية القوية القادرة على تمييز الحق، وتمييز من قال فيها مقالة؛ لهي من العَظَمة بمكان.

عائشة الإنسانة:

كانت عائشة ﵂ مثالاً للمرأة الرقيقة الغيورة على من تُحبّ، إنسانة ذات قلبٍ يدفعها للتَّثبت مما يتبادر لذهنها من أفكار، تدعم ذلك بما تعي من أساليب الاجتهاد في الطَّلب، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ[2]:" افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَتَحَسَّسْتُ[3] ثُمَّ رَجَعْتُ فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، يَقُولُ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؛ إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرَ".

هذا الحديث الطريف يكشف لنا عن جانبٍ من شخصية عائشة ﵂ الفاعلة، فقد اجتهدت في معرفة صنيع رسول الله ﷺ، واعتمدت على نفسها، لتعرف الحقيقة، ولمَّا كُشف لها ما كان قد خفي عليها، لامت نفسها، وعاتبتها على سوء ظنِّها وتسرُّعها في الحُكم، ولم تستح من الاعتراف بالحقيقة، إنَّما زادت إعجاباً بنبيِّ الأمَّة ﷺ.

---

(1) ورد قولها في حديث الإفك الذي سبق تخريجه؛ خلال الحديث عن لقبها المُبرَّأة، ص13.

(2) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح (485).

(3) تحسَّس: أي تَبحَّث (لسان العرب، مادة حسس، 49/6)، والمُراد: أنها تَطلبه (قاله: المحقق محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه للحديث من صحيح مسلم).

سرعة الحفظ:

كانت عَائِشَة ﵂ نبيهة سريعة الحفظ، تتقن الأداء من أول سماع، وهو سَمْت طالب العلم النجيب، وصِفة الأريب منهم.

تقول عَائِشَةَ ﵂: "فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنْ الْفِرَاشِ؛ فَالْتَمَسْتُهُ[1]، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ[2]، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ[3]".

حفظت عائشةُ ﵂ الدُّعاء من أوَّل مرة، كما تذكرت جيدًا هيئة الرسول الكريم ﷺ في صلاته حين دعا ربَّه.

وقد ساعدتها ذاكرتها الفذَّة على أن تتلقى معظم أمور الدين من نبي الأمة ﷺ، وتؤدِّيها من بَعد للأُمَّة كما سمعت ووعت.

بُعد النظر:

حبى الله السيدة عائشة ﵂ حِكمة ونظرةً للأمور ثاقبة، مَنحتها سداداً في الرأي في كثيرٍ من أمرها، وكان من ذلك: أنها حين ثقُل النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه واستدعى أبا بكر ليؤم المصلِّين في مقامه ﷺ، راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وأكثرت مُراجَعته لأنها كانت تعلم تشاؤم الناس بمن سيصلي بهم في مقام النبي ﷺ، خاصة مع اشتداد المرض على رسول الله ﷺ، فكرِهت ذلك.

قالت عائشة ﵂: " لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا، وَلَا كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ؛

---

(1) قال الزبيدي: التمس أي: طلب (التاج، مادة لمس، 4127/1)، وكذا قال ابن الأثير في نهايته، باب اللام مع الميم، مادة لمس 1276/4.

(2) السَّخط والسُّخط: الكَراهيةُ للشيء وعدُم الرِضا به (النهاية، باب السين مع الخاء، مادة سخط617/2، وهو خِلاف الرضا، وهو الغضب (قاله الجوهري في الصحاح، مادة سخط 267/4).

(3) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ح (486).

إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن أَبِي بَكْرٍ[1]".

فأخذت تقول له:" يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه فلو أَمَرت غيرَ أبي بكر[2]"، مما جعل رسول الله ﷺ يقول لها:" ليُصلِّي بالناس أبو بكر، فإنَّكُن صواحب يوسف"، فلم تكن مجرد متلقِّية، بل كانت سياسيَّة بارعة أيضا.

عِزَّة النَّفْس:

كان مما أُثِر عن السيدة عائشة ﵂ عِزَّة النَّفْس، والشموخ في الحق، فلم تَدَع ضعف النساء يغلبها؛ بل كانت قوية تتحدى الرجال؛ طالما الحق معها.

أغضبها عبد الله بن الزبير، فنذرت لله أن لا تُشَفِّع فيه أحداً عقوبة له، فناشدها الله؛ وذكَّرَها عهد المؤمنين أن يطول الهَجْر فوق ثلاث، طَيَّبَ خاطرها، فقبِلت عُذره وكَفَّرت عن نَذرها وهو شديد، وظلت تبكي حتى ابْتَلَّ خِمارها.

تروي عائشة ﵂: أن عبد الله بن الزبير قال في بَيعٍ أو عَطاءٍ أَعْطتهُ عائشة ﵂: والله لَتَنتهِيَنَّ عائشةُ أو لَأَحْجُرَنَّ[3] عليها، فقالت: أهو قال هذا ؟، قالوا: نعم، قالت: هو لله عليَّ نذرٌ[4]

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب المغازي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ سورة الزمر؛ آية 30، ح (4445).

ومسلم رواه بنحوه في كتاب الصلاة؛ بَاب اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ، إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنْ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخُ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ؛ ح (418).

(2) الحديث كاملًا أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم الذي أورده في كتاب الصلاة، باب اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ، إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنْ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخُ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ؛ ح (418)، وح (420).
أَمَّا البخاري فقد أورده في كتاب الأذان؛ بَاب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ؛ ح (678)، وح (679)، وح (682)، وكذلك في كتاب أحاديث الأنبياء؛ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ سورة يوسف؛ آية 7؛ ح (3384)، وح (3385) .

(3) قال ابن فارس: الحاء والجيم والراء أصل واحد مُطَّرِد، وهو المنْع والإحاطة على الشيء، ويُقال: حَجَر الحاكمُ على السَّفيه حَجْراً؛ وذلك منْعُه إيَّاه من التصرُّف في ماله، (انظر: مقاييس اللغة، مادة حجر، 138/2)، والحَجْر: الحظر (كما قال الزمخشري في الفائق في غريب الحديث والأثر، حرف الحاء مع الجيم 261/1).

(4) تقول: نذَرْتُ أَنذِرُ وأَنذُر نذْراً، إذا أَوْجبتَ على نفسِك شيئاً تبرعاً؛ من عبادة أَو صدقة أَو غيرِ ذلك (كذا في لسان العرب، مادة نذر 200/5)، وقال ابن الجوزي: النَّذْرُ: بسكون الذَّال وفَتْحِها، هو ما يجب في الجِرَاحَاتِ من الدِّيات بلغة أهل الحجاز وأهل العراق، ويسمونه الأَرْشَ، وإنما قيل له نَذرٌ لأنه واجب (غريب الحديث لابن الجوزي باب النون مع الذال 401/2).

أن لا أُكلِّم ابن الزبير أبدًا، فاسْتَشفَعَ[1] ابن الزُّبير إليها حين طالت الهِجرة[2]، فقالت: لا والله، لا أُشفِّعُ فيه أبداً، ولا أتَحَنَّثُ إلى نَذْري[3]؛ فلمَّا طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المِسْوَر بن مَخْرمة[4] وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث[5]وهما من بني زُهرة، وقال لهما: أَنْشُدُكما بالله[6] إلاَّ أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يَحِلُّ لها أن تَنذُر قَطيعتي، فأَقْبَل به المِسْوَر وعبد الرحمن مُشتَملين[7] بأرديتهما؛ حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كُلُّنا، قالت: نعم، أُدخُلوا كُلُّكم، ولا تَعْلَمُ أَنَّ معهما ابن الزُّبير، فلمَّا دخلوا دخل ابن الزبير الحِجاب، فاعتنق[8] عائشةَ، وطَفِق[9] يُناشدها ويبكي، وطَفِق المِسْور وعبد الرحمن يُناشدانها إلاَّ ما كَلَّمَته وقَبِلت منه، ويقولان: إنَّ النبي ﷺ نهى عمَّا قد عَلِمْتِ من الهِجرة، فإنه لا يَحل لمسلمٍ أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليال.

---

(1) الشَّفاعة: هي السُّؤالُ في التَّجاوُزِ عن الذنوب والجَرائِمِ، قاله: ابن منظور في اللسان، مادة شفع 183/8، وكذا في النهاية لابن الأثير، باب الشين مع الفاء، مادة شفع 715/2.

(2) الهِجرة: أي الهَجْرُ، وهو ضِدُّ الوصل، وكذلك الهِجْران، (النهاية، باب الهاء مع الجيم، مادة هجر1527/4، ومقاييس اللغة، 34/6).

(3) الحِنْث في اليمين: نَقْضُها والنَّكْث فيها، وقصدت: لا أكْتَسِب الحِنْث وهو الذَّنْب، ذكره ابن الأثير في النهاية مادة حنث 1060/1.

(4) ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وقُبض النبي ﷺ والمسور ابن ثمان سنين، وسمع من النبي ﷺ وحفظ عنه قُتل بحجر من حجارة المنجنيق في قتال ابن الزبير، وهو يُصلي، مُسْتَهَل ربيع الأول، سنة أربع وستين، وصلى عليه ابن الزبير بالحجون، توفى وهو ابن اثنتين وستين سنة، انظر: الاستيعاب لابن عبد البَر، باب مسور1399/3.

(5) هو ابن خال النبي ﷺ، وابن عم عبد الله بن الأرقم، أدرك النبي ﷺ، ولا تصح له رؤية ولا صحبة، وكان ذا منزلة من عائشة أُمُّ المؤمنين ﵂، (ولم تُذكر له سنة وفاة)، انظر: أسد الغابة؛ لابن الأثير، باب العين والباء 440/3.

(6) أي: أستحلفكما بالله، انظر: لسان العرب، تحت نشد، 421/3.

(7) قال ابن منظور: اشْتَمَل بالثوب إذا أَداره على جسده كُلِّه حتى لا تخرج منه يَدُه، انظر: اللسان، مادة شمل 364/11.

(8) الاعتناق من المُعانقة، والمعانقةَ في المودّةِ ونحوها، انظر: مقاييس اللغة، مادة عنق 160/4.

(9) طفق: أي ما زال، كذا في جمهرة اللغة، باب الطاء والفاء مع ما بعدها من الحروف، مادة طفق 15/2.

فلمَّا أكثروا على عائشة من التذكرة والتَّحْريج[1]، طَفِقَت تُذَكِّرهما وتبكي، وتقول: إني نَذَرتُ والنَّذْرُ شَديد، فلم يزالا بها حتى كلَّمَت ابن الزُّبير، وأَعْتَقَت في نَذْرها ذلك أربَعين رَقَبة، وكانت تَذكُر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تَبُلَّ دموعها خِمارها"[2].

لقد أثَّرت شخصية عائشة ﵂ وملامح عزة نفسها في طريقة تلقِّيها للعلم، فقد تحققت من المقال الذي سمعت، وتأكدت بسؤالها لهم: أهو قال ذلك؟، فلما ثَبَت لديها الخَبر كرهت أن يُؤذيها أحد، فقرَّرت هَجره عقاباً له وتأديباً وهي أمه.

وهو درس عَلَّمته أُمُّنا عائشة ﵂ للنساء أجمع، فالمرأة المسلمة يجب أن تكون شامخة بإيمانها، لا تَقبل أن يؤذيها أحد في نفسها قولاً أو فعلاً، وهذا هو الورع المُحلَّى بعزة النفس.

الحنان المقترن بالذَّكاء:

أُصيب النبي ﷺ بالحزن لمِا أصاب جعفر بن أبي طالب وآله من بعده، فتفطَّر قلب زوجه الحنون عائشة ﵂، وهي تتابع ما يجري من شِقِّ الباب، وأشفقت على محمد ﷺ فبادرت بالحَلّ.

حَدَّثت عَمْرَةُ[3] أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ ﵂ تَقُولُ:" لَمَّا جَاءَ قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ[4]، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[5]

(1) قال ابن فارس: الحاء والراء والجيم أصلٌ واحد، وذلك تجمُّع الشيء وضِيقُه، ومن ذلك: الحرَج الإثم، والحَرَج الضِّيق، انظر: مقاييس اللغة، مادة حرج 50/2.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهِجرة وقول رسول الله ﷺ:" لا يَحِل لرجل أن يهجُر أخاه فوق ثلاث " ح (6073)، وح (6074)، وح (6075).

(3) هي: عَمْرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، نشأت في حجر عائشة، فأكثرت الرواية عنها، وهي العدل الضَّابِطَة لما يؤخذ عنها، وفاتها سنة تسع وتسعين على خلاف فيها، قاله ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب395/1.

(4) هو: زيد بن حَارِثَة بن شَراحيل الكلبي القُضاعي، مولى رسول الله ﷺ، أشهر مواليه، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًا شديدًا، وكان يُدعى بزيد بن محمد حتى نزلت (ادعوهم لآبائهم) سورة الأحزاب، آية 5، كذا في أسد الغابة 350/2.

(5) هو: أبو عبدالله، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كان جعفر أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله ﷺ، أصيب بمؤتة، وقاتل فيها حتى قُطعت يداه جميعًا، فقيل له: جعفر ذو الجناحين، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر بتصرُّف، باب جعفر 242/1.

وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ[1] ﵃، جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَنَا أَطَّلِعُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ؛ تَعْنِي: مِنْ شَقِّ الْبَابِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ قَالَ: وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ، قَالَ: فَذَهَبَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: قَدْ نَهَيْتُهُنَّ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُطِعْنَهُ، قَالَ: فَأَمَرَ أَيْضًا، فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَى، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ غَلَبْنَنَا، فَزَعَمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنْ التُّرَابِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ[2]، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ تَفْعَلُ، وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْعَنَاءِ[3]".

لم تستطع عائشة الحنونة ﵂ أن تترك الأسى يعتصر قلب النبي ﷺ، فتصرّفت بما أوحى لها عقلها فقد كان عِلمها تطبيقاً، ولم يكن مُجرَّد نظريات، فقد تدخَّلت في الأمر، وحَلَّت المسألة بفهمها وبادرت؛ ولم تتركها لغيرها؛ بل كانت الأسبق في فعل الخير.

قال الإمام العيني: فزَعَمَت أي عائشة، بمعنى قالت:" فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنْ التُّرَابِ"، وقال القرطبي: يُحتمل أنَّهن لم يُطعن النَّاهي، لكونه لم يُصَرِّح لهُنَّ بأن النبي ﷺ نهاهُن، فحَمَلن ذلك على أنه مُرشد إلى المصلحة من قِبَل نَفسه، أو عَلِمْن لكنْ غَلَب عليهن شدة الحزن لحرارة المصيبة.

ثم عقَّب العيني بقوله: و في مقول عائشة ﵂:" أرْغَمَ الله أنْفك"، دَعَت عليه، حيث لم يفعل ما أمره رسول الله ﷺ به، وهو أن ينهاهن، وحيث لم يتركه على ما كان عليه من الحزن بإخباره

(1) هو: عبد الله بن رَواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس، الخزرجي، الأنصاري، الشاعر المعروف، يكنى أبا محمد ويقال: كنيته أبو رواحة، ويقال: أبو عمرو، و كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة، انظر: الإصابة لابن حجر، القسم الأول من حرف العين المهملة 124/2.

(2) قال ابن الأثير: يقال: وأرْغَم اللّه أنفه: أي ألصَقه بالرَّغام وهو التراب، هذا هو الأصلُ، ثم استُعْمل في الذُّل والعَجز عن الانْتصاف والانْقياد على كُرْه، انظر: النهاية، مادة رغم 587/2.

(3) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري، الذي أورده في كتاب المغازي؛ باب غزوة مؤته من أرض الشام؛ ح (4263)، وكتاب الجنائز؛ بَاب مَا يُنْهَى مِنْ النَّوْحِ وَالْبُكَاءِ وَالزَّجْرِ عَنْ ذَلِكَ؛ ح (1305)، وبَاب مَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ، ح (1299) من نفس الكتاب، أمَّا مسلم فقد رواه في كتاب الجنائز، باب التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ؛ ح (935).

ببكائهن وإصرارهن عليه، وتكراره ذلك[1].

وفي هذا الحديث فوائد عظيمة أشار لها العلماء، قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز الجلوس للعزاء بسكينة ووقار، وجواز نظر النساء المحتجبات إلى الرجال الأجانب وتأديب من نُهيَ عمَّا لا ينبغي له فعله، إذا لم ينتهِ، وجواز اليمين لتأكيد الخبر[2]، كما فيه الحثُّ على الصَّبر كما قال العيني[3].

(1) عمدة القاري؛ للبدر العيني، خلال شرحه لكتاب الجنائز، باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن، ح (9921)، بتصرُّف.

(2) فتح الباري؛ لابن حجر، خلال شرحه للحديث(1237)، من كتاب الجنائز؛ باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن.

(3) العمدة، للعيني خلال شرحه للحديث (9921) الذي تقدَّم.

الفصل الثاني
السؤالات والاستشكالات

ويحتوي على:

تمهيد ومبحثين:

التمهيد: فيه تعريف بالسؤالات لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: دواعي السؤال عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المبحث الثاني: استشكالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

تمهيد

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها مثالاً للمرأة اللَّقِنة الثَّقِفة، ولم يتحصَّل لها ذلك إلاَّ بخوضها في غمار بحر العلم، من جِدٍّ ومثابرةٍ وسؤالٍ ومُناقشة مُثمِرة.

نَبَذت عنها الخجل المقيت والكسل المميت، وانطلقت بهِمَّة عالية لتتقدَّم صفوف طلبة العلم من الرجال والنِّساء، لتُثْبت لأقرانها ومن يخلفهم أن المرأة لا يقتصر دورها على البيت والأسرة فقط بل هي شريكة للرجل في حَمل الأمانة.

سَخَّرت ما أكرمها الله به من فطنةٍ ونبوغٍ في حُسن الاجتهاد خلال صُحبتها لمُعلِّم البشرية محمد ﷺ، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله فيما نُسب إليه في وصف طالب العلم(1):

أخي لن تنال العلم إلَّا لِستَّة ... سأُنْبيك عن تَفصيلها ببيان

ذكاءٌ وحِرصٌ واجتهادٌ وبُلْغةٌ ... وصُحبة أستاذٍ وطُول زمان

أمَّا عائشة رضي الله عنها فقد تحقَّقت فيها صفات الألمعي من طلبة العلم، فقد كانت أريبةً، حريصةً على الفائدة، جادَّةً في طلبها، مثقفة فصيحة اللسان، حظيت بصحبة خير المُعلِّمين؛ فرافقته في حركاته وسكناته، حتى قبضه الله عز وجل إليه، لتؤدِّي من بعده ما وعته بعقلها وقلبها.

وقبل الشروع في الحديث عن سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ، يلزم التعريف بالمُراد من تلك السؤالات، في اللغة، والاصطلاح، كي يكون الكلام ذا معنىً وقيمة، وليَسهُل تحقيق المقصود من البحث.

السؤالات في اللغة:

مشتقة من مادة سأل، قال ابن فارس: السين والهمزة واللام كلمةٌ واحدةٌ؛ يقال: سأل، يسأل، سؤالاً، ومَسْأَلةً. ورجل سُؤَلةٌ: كثير السؤال(2).

---

(1) المستطرف في كل فن مستظرف، لأبي الفتح الأبشيهي 54/1.

(2) مقاييس اللغة، مادة سأل 124/3.

ويُقال: سأَلْته عن الشيء، أي: استخبرته[1].

أمَّا في الاصطلاح:

فهو جمعٌ على غير قياسٍ للسؤال، على وزن فُعالات، وسؤالات كعُنوانات جمع عُنوان، قال سيبويه: وإِنما قالوا: حمَّامات، وإِصطبلات، وسُرادِقات، وسِجِلاَّت؛ فجمعوها بالأَلف والتاء وهي مذَكَّرة؛ لأَنهم لم يكسروها[2]، وقد تُخَفَّف لتغدو سأَلات، ومن ذلك قولهم: اللهم أعطِنا سألاتنا[3].

ولقد أطلق العلماء السابقون لفظ سؤالات على تساؤلاتهم العديدة في شتى المجالات، كما دَرَج بينهم تَسمية أسئلتهم لشيوخهم وإجاباتهم عليها بالسؤالات، وكأنَّهم قد اتَّفقوا على هذا الاصطلاح فنجدُهم يقولون: سؤالات أبي داود[4] للإمام أحمد بن حنبل[5] في جرح الرواة وتعديلهم، وسؤالات أبي عبيد الآجُرِّي[6]أبا داود السِّجِسْتانيّ، وسؤالات البَرْقَانِيّ[7] للدَّارقُطْنِي[8].

---

(1) انظر: لسان العرب، مادة سأل318/11.

(2) أورد ابن منظور قول سيبويه في لسان العرب، مادة سِبَطْر، 342/4.

(3) المخصص لابن سيده، بتصرف59/3.

(4) هو أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني، صاحب السنن، من سجستان وهو إقليم يتاخم أطراف مكران والسند وهو وراء هراة، وقيل: من سجستان قرية من قرى البصرة، ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، في الطبقة التاسعة 127/2.

(5) هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الذُّهلي الشَّيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة، المصدر السابق، في الطبقة السادسة، 432/2.

(6) هو محمد بن علي بن عثمان أبو عُبيد الآجُرِّي (نسبة إلى عمل الآجر وبيعه، ونسب إلى درب الآجر أيضًا، كما في اللباب في تهذيب الأنساب؛ لأبي الحسن محمد الشيباني الجزري، حرف الألف18/1، و الأُجُرُّ والآجُرُّ والآجُرُ: طبيخُ الطين، الواحدة بالهاء، أُجُرَّةٌ وآجُرَّةٌ وآجِرَّة، كما في لسان العرب، مادة أجر10/4).

(7) هو أبو بكر، أحمد بن محمد الخوارزمي البَرْقانيّ الشَّافعيّ، شيخ بغداد، (والبَرْقاني: نسبة إلى قرية من قُرى كاث بنواحي خوارزم، خربت وصارت مزرعة، انظر: اللباب، باب الباء والراء 140/1) ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مائة، وسكن بغداد وبها مات؛ في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربع مائة، انظر: التذكرة للذهبي، تحت: طبقة أخرى صغرى، 184/3.

(8) هو أبو الحسن، علي بن عمر الدَّارقُطْني (نسبة إلى دار القطن، وهي محلة ببغداد كبيرة، انظر: الأنساب للسَّمعاني437/2)، ولد في سنة ست وثلاثمائة، يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، انظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لأبي بكر البغدادي، في من اسمه علي412/1.

المبحث الأول
دواعي السؤال عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: طلب المعرفة المبدئية.

المطلب الثاني: الرغبة في العمل على علم.

تمهيد

كانت السيدة عائشة ﵂ كثيرة السؤال والاستفسار في قضايا العلم، مِمَّا يتحصَّل منه الفائدة والنفع، إذ علِمتْ أنَّ" شِفاء العَيّ السؤال[1]"، وأنَّ الله تعالى قد أثنى في كتابه العزيز على طلبة العلم، وأهل المعرفة الحقَّة، فقد قال ﷻ: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[2]، كما مدح طالوت وميَّزه على قومه إذ كان ذا بسطة في العلم دونهم، فاستحقَّ أن يُتوَّج عليهم مَلِكا، لما يفضُلهم به، فقال تعالى: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والجِسْمِ)[3].

و كان أول ما نُزِّل من القرآن على نبي الأمة: (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[4]، فمن فيض كرم الله ﷻ على الإنسان أن علَّمه مالم يعلم، وهيَّأ له من أسباب تحصيل العلم ما ينبغي معه الطلب الحق.

وقد حثَّ رسولنا الكريم ﷺ، على طلب العلم، وبشَّر حملته بالخير الكثير، فأرادت أن تنال من ذلك الخير الوافر الذي بُشِّر به أهل العلم، قال رسول الله ﷺ: " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَهِّمْهُ، وإنَّما العلم بالتَّعلُّم[5]".

---

(1) جزء من حديث لرسول الله ﷺ، أخرجه أبو داود في سننه واللفظ له، قال: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ، أَخْبَرَنِي الْأَوْزَاعِيُّ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم، ح (285).

و أخرجه ابن ماجه في سننه أيضًا، من طريق عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (كتاب الطهارة وسننها، بَاب فِي الْمَجْرُوحِ تُصِيبُهُ الْجَنَابَةُ فَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ اغْتَسَلَ، ح (572).

وإسناد الحديث صحيح، فرواة الحديث ثقات، وقد روى الأوزاعي الحديث مباشرة عن عطاء في رواية أخرى له، دون القول: أنَّه بلغه، ولم يُرسل عطاء عن ابن عباس، بل صرَّح فيه بالسماع منه، وهناك شاهد للحديث عند أبي داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (سنن أبي داود، كتاب الطهارة، بَاب فِي الْمَجْرُوحِ يَتَيَمَّمُ، ح (284).

(2) سورة آل عمران، آية 18.

(3) سورة البقرة، آية 227.

(4) سورة العلق، الآيات 3-5.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، في ترجمة الباب، 24/1.

المطلب الأول
طلب المعرفة المبدئية

لمَّا كان العلم رفعة للمرء، وارتقاءً له، حرصت السيدة عائشة ﵂ على طلبه، والصعود في درجاته، وقد قال ﷻ: ﴿يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

سَعَت ﵂ للمعرفة ابتداءً، كي تكون من زُمرة أهل العلم، فحضرت مجالس العلم، وسألت عمَّا فاتها، واستزادت من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ما قد يكونوا قد سبقوها به.

وفرقٌ بين من يسأل ليتعلَّم، ومن يُكثر من السؤال تعنُّتاً وتكلُّفاً، وقد أشار ابن الأثير لهذين النوعين من الأسئلة، وحكمهما، فقال: السؤالُ في كتاب اللّه والحديث نوعَانِ: أحدُهُما ما كان على وجْهِ التَّبْيِين والتَّعلُّم ممَّا تَمَسُّ الحاجةُ إليه؛ فهو مُباَحٌ أو مندُوبٌ أو مأمورٌ به، والآخر ما كانَ على طَرِيق التَّكلُّف والتعنُّت؛ فهو مكرُوه ومَنْهِيٌّ عنه.

فكُلّ ما كان من هذا الوَجْه ووقع السكوتُ عن جَوَابه فإنما هُو رَدْع وزَجْر للسَّائل وإن وقَعَ الجَوابُ عنه فهو عُقُوبَةٌ وتغليظٌ[2].

كانت السيِّدة عائشة ﵂ تسأل الله العلم النافع، عملًا بوصية رسول الله ﷺ حين قال:" سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ[3] ".

---

(1) سورة المجادلة، آية 20.

(2) النهاية؛ لابن الأثير، مادة سأل 599/2.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه واللفظ له، بإسناده قائلاً: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ عن النبي ﷺ (السنن، كتاب الدعاء، بَابُ مَا تَعَوَّذَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ح (3843)، وابن أبي شيبة أخرجه في مصنفه، عن وكيع (17/6 ح (29122)، والبيهقي كذلك في شعب الإيمان ح (1644) من طريق عبد العزيز بن محمد، باختلاف في لفظ " علماً ينفع"، جميعهم عن أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا .

وإسناد الحديث حسن، لأسامة بن زيد الليثي، فقد وثّقه يحيى بن معين بقوله: ثقة (الجرح والتعديل285/2)، وقال أيضاً: ليس به بأس، وزاد أحمد: حجة (تهذيب الكمال350/2)، إلا أنَّ ابن حنبل قال أيضاً: هو دونه وحرك يده (العلل ومعرفة الرجال لأحمد35/2)، وقال: تركه بآخرة (سؤالات أبي داود لأحمد217/1)، كما نبَّه إلى انَّ يحيى=

ولقد فسَّر الإمام البخاري الأمة الظاهرة التي تقاتل على الحق بأهل العلم، فقال: بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ" وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ[1].

كلُّ هذا التكريم لأهل العلم، يدفع اللبيب للتزود من ذي الباب، والانضمام لأهله.

قال الشاعر[2]:

لا تَدَّخر غير العلوم   فإنهـا نِعْم الذَّخـــائر

فالمرء لو رَبح البقاء مع الجَهالة كان خاسر

وكحال النبيه من طلبة العلم كانت أم المؤمنين تُحب أن تعرف ما يحيط بها، سمعت رسول الله ﷺ يُكثر من التسبيح و الاستغفار، فسألته عن ذلك.

قالت عائشة رضي الله عنها: كَاَن رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه و سلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: سُبْحَانَك وبِحَمْدِك أَسْتغْفِركَ وأَتُوبُ إِلَيْك، قالتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ما هذِهِ الكَلِمَات التي أَرَاكَ أَحْدَثْتَها تقُولها؟، قَال: "جُعِلَتْ لِي عَلامَة فِي أُمَّتِي، إذا رَأَيْتُها قُلتُها، (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْح)[3] إلى آخِرِ السُّورَةِ[4]".

=ابن سعيد ترك حديث أسامة بن زيد بأخرة، وقد كان يحيى بن سعيد يُضعِّفه لكنَّ أبا حاتم الرازي قال: يُكتب حديثه ولا يحتج به (الجرح والتعديل 285/2)، أمَّا النسائي فقال عنه: ليس بالقوي (تهذيب الكمال350/2).

وللحديث أصل صحيح عند مسلم، من حديث زيد بن أرقم، أنَّ النبي ﷺ كان يقول:" اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها"، وقد رواه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح (2722).

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة 101/9.

(2) كذا في المستطرف، ولم ينسبه 22/1.

(3) سورة النصر، آية 1.

(4) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح (484) واللفظ له، وصحيح البخاري، في كتاب التفسير، في تفسير سُورَةُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، ح (4967).

المطلب الثاني
الرغبة في العمل على علم

ولأن العلم يكون قبل القول والعمل، استزادت رضي الله عنها منه، بدأ الله تعالى بقوله: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[1]، وفسَّرها الإمام البخاري بقوله: فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ؛ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ[2].

وزاد الله في مديح أهل العلم، فقال ﷻ: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[3].

وكانت عائشة رضي الله عنها لبيبة، تعرف أنَّ الثَّناء على العُلماء إنَّما كان للعاملين منهم، فكانت تُثْبت عملها بالعلم النافع، قال ابن جَماعة[4]: واعلم أن جميع ما ذُكِرَ من فضيلة العلم والعلماء، إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزُّلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نِيَّة أو خُبث طَوية، أو لأغراض دنيوية؛ من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب[5].

---

(1) سورة محمد، آية 19.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، في ترجمته للباب 24/1.

(3) سورة آل عمران، الآية 7.

(4) هو: بدر الدين، ابن جَماعة الكِنانِي، والبدر هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جَماعة، قاضي القضاة، أبو عبد الله الكِناني الحَمَوي الشَّافعي، ولد سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة، وتوفي في عشرين جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (ذكره الذهبي في معجم مُحدِّثيه ص171).

وابن جَماعة: بفتح الجيم ثُمَّ الميم، قال الزَّبيدي: وسَمّوه جَمَاعَةَ كقَتادة، ومنه: جَمَاعَةُ بنُ عَلِيِّ بنِ جَمَاعَةَ بنِ حازِمِ ابن صَخرِ بن عَبْدِ اللهِ بنِ جَمَاعَةَ، مِنْ وَلَدِ مالِكِ بن كِنَانَةَ، بَطْنٌ مِنْ وَلَدِهِ: البُرْهَانُ إِبْرَاهِيمُ بنُ سَعْدِ اللهِ بن أَبِي الفَضْلِ سَعْدِ اللهِ بنِ جَمَاعَةَ، ووَلَدَاهُ: أَبُو الفَتْحِ نَصْرُ اللهِ، وأَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمنِ، فمِن ولَدِ الأَخِيرِ: قاضِي القُضَاةِ البَدْرُ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمن المتوفى بمِصْرَ سَنَةَ سَبْعِمائَة وثَلاثَة وثَلاثِينَ (تاج العروس للزبيدي، مادة جمع5164/1).

(5) تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّم في أَدَب العَالِم والمُتَعَلِّم، لبدر الدين، ابن جَماعة الكِنانِي، ص 9.

ولأنها كانت تعي ما وضعت به من مسئولية، كزوج النبي محمد ﷺ بدأت بتعليم نفسها ومن ثَمَّ قرنته بالعمل المخلص، لتكون في ذلك قدوة لمن بعدها.

قالت عائشة ﵂: جَاءَ عَمِّي مِنْ الرّضاعَةِ[1] يَسْتأذنُ عَلَيَّ، فأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لهُ حتَّى أسْتَأْمِرَ[2] رسولَ الله صلى الله عليه و سلم، فلمَّا جَاءَ رسولُ الله ﷺ ، قلتُ: إنَّ عَمِّي من الرّضاعة اسْتأذنَ عَليَّ، فأبَيْتُ أَنْ آذنَ لهُ، فقال رسول الله ﷺ: " فلْيَلِجْ[3] عليكِ عَمُّكِ"، قلتُ: إنَّما أرْضَعَتْني المرأةُ ولمْ يُرْضِعْنِي الرَّجُل، قال:" إنَّهُ عَمُّكِ، فلْيَلِجْ عَلَيْكِ[4]".

أبت السيدة عائشة ﵂ وامتنعت من الإذن لعمِّها من الرّضاعة أن يدخل عليها حتى تستفتي رسول الله ﷺ، وتكون على بيِّنة من أمرها، فسألته عن ذلك، وأجابها ﷺ أنَّه عمُّها، ويحقُّ له الدخول عليها، فلتأذن له وقلبها مطمئن.

قال عُروة بن الزُّبير: فبذلكَ كانت عائشةُ تقولُ: حَرِّمُوا مِن الرّضَاعة ما تُحَرِّمونَ مِن النَّسَب[5].

وفي هذا الحديث فوائد جميلة أشار إليها ابن حجر، حيث قال: فيه أنَّ مَن شَكَّ في حُكمٍ يتوقف عن العمل حتى يسأل العلماء عنه، وفيه وجوب احتجاب المرأة من الرجال الأجانب ومشروعية استئذان المحرم على محرمه ، وأن المرأة لا تأذن في بيت الرجل إلا بإذنه[6].

(1) يقال: الرَّضاعة، و الرِّضاعة، كذا في تهذيب اللغة، لأبي منصور الهروي الأزهري، مادة رضع 473/1، واسم عمها: أَفْلَح بْنُ أَبِي قُعَيْس، كما جاء في حديث عند مسلم في صحيحه ، ح (3562) .

(2) أستامر: أي أستأذن، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الهمزة مع الميم، مادة أمِر 163/1.

(3) يلج: من الولوج، و الوُلُوجُ: الدُّخول، وقد وَلَجَ يَلِجُ وأوْلَج غَيْرَه، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب الواو مع اللام، مادة ولج 1511/4.

(4) صحيح مسلم، كتاب الرّضاع، باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، ح (1445).

(5) المصدر السابق.

(6) فتح الباري لابن حجر، خلال شرحه لباب لبن الفحل، من كتاب النكاح 347/14.

المبحث الثاني
استشكالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الاستشكال.

المطلب الثاني: بعض الأمور التي أشكلت على عائشة رضي الله عنها.

تمهيد

لمَّا سلكت السيدة عائشة ﵂ طريق العلم، كان حالها كمعظم النُّجباء من طلبة العلم، تبتغي مجالس العلم التي تُذكر فيها دروس الفقه والعقيدة والتفسير وغيره، فتعي ما تعي بعقلها الفَذّ، ويَغُمُّ عليها فهم بعض المسائل، لكنها لم تكن تتوقف عند مالا تعرف، كانت تُطبِّق قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1]، تحرص على أن تكون من العالِمين بأمر دينهم المنصلح به دنياهم ، تخشى الله وتُسبحه بكل جوارحها عقلا وقلباً، و تعبد ربها على بيِّنة وهدى.

كانت تحاول الفهم، وتجتهد التحصيل، فتسألُ عمَّا أُشكِل عليها فهمه، وما اختلط عليها استيعابه حتى تقدَّمت رَكْب العلماء وأهل الدِّين.

وفيما يلي سأُبيِّن المقصود من الاستشكال، وأضرب نماذج مما أشكل على السيدة عائشة﵂.

(1) سورة فاطر، آية 28.

المطلب الأول
معنى الاستشكال

الاستشكال: مشتقٌ من مادة شَكَل، قال ابن فارس: الشين والكاف واللام مُعظمُ بابِهِ المُماثَلة، تقول: هذا شكل هذا (بالفتح والكسر)، أي مِثله، ومن ذلك يقال أمرٌ مُشْكِل، كما يقال أمر مُشْتبِه، أي هذا شابَهَ هذا، وهذا دخل في شِكل هذا[1].

أما الجوهري وابن منظور فقالا: الشَّكْل بالفتح: المُماثلة، وبالكسر: الدَّلُّ، والجمع أشكال وشكول[2].

وأَشْكَل الأَمْرُ الْتبَس وأُمورٌ أَشْكالٌ مُلتبسة، وبَيْنَهم أَشْكَلَة أي لَبْسٌ[3].

من هذه التعريفات للإشكال عند أهل اللغة، يمكننا تَصوُّر المعنى المراد من إشكالات السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي: الأمور التي التبس فهمها واختلط بيان مرادها على السيدة عائشة رضي الله عنها، كونها من الأمور المشتبهة، أي المتشابهة.

وقد فرَّق الله ﷻ بين الواضح المُحْكَم والمُلتبس المشتَبه، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[4].

كما حثَّ الله تعالى على أن يعقل المرء دينه، ويُزيل الإبهام عمَّا يخفى عليه، فيزداد تُقىً وتعلُّقا بربه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[5].

---

(1) مقاييس اللغة، مادة شكل، 204/3.

(2) انظر: الصحاح للجوهري، مادة شكل14/6، ولسان العرب لابن منظور، تحت شكل356/11.

(3) قاله ابن منظور في اللسان، تحت شكل، 356/11.

(4) سورة آل عمران، آية 7.

(5) سورة العنكبوت، آية 43.

المطلب الثاني
بعض الأمور التي أُشكلت على السيدة عائشة رضي الله عنها

يُحدِّث الرسول ﷺ عن فناء الدنيا؛ وحال الناس عند الحشر يوم القيامة، فيلتبس على السيدة عائشة رضي الله عنها تخيُّل الحال، وهَوْل المنظر، كيف يُحشر الناس حفاةً عُراةً، نساءً ورجالاً، ودِيننا دين السَّتر والصَّون، فتسأل المُعلِّم ﷺ ويُجيبها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفاةً، عُراةً، غُرْلاً[1] قلت: يا رسول الله النِّساء والرِّجال جميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟، قال ﷺ: "يا عائشة، الأَمر أشدّ من أن يَنظُر بعضهم إلى بعض"[2].

فذلك اليوم الذي أخبرنا ربُّ العزة عنه، قال عز وجل: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه)[3].

وفي موقف آخر يستأذن رجلٌ على رسول الله ﷺ، فيذِمُّه وينعَته ببئس أخو العشيرة، وحين يُلاقيه؛ يلين له القول، ويرفق به، فيُشكل على السيدة عائشة رضي الله عنها فَهْم الموقف، فلم تعهد زوجها محمداً ﷺ يُداهن الناس ويَتلوَّن لهم، فما كان منها إلا أن سألته مُنكرةً، فأبان لها ﷺ ما التبس عليها وكشف لها ما غَمّ.

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ؛ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ؛ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟!

---

(1) جمع أغرل، مشتق من مادة غرل، والغين والراء واللام كلمةٌ واحدة، وهي الغُرْلة، وهي القُلْفَة (معجم مقاييس اللغة، 419/4)، ويقال: رجل أَغْرَل، وأَرْغل (غريب الحديث؛ لابن قتيبة558/1).

(2) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، وقد أخرجه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح (2859)، أما البخاري فقد رواه في كتاب الرقاق، بَاب كَيْفَ الْحَشْرُ، ح(6527) بنحوه غير أن رسول الله ﷺ قال فيه:" الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ".

(3) الآيات 34-37 من سورة عبس.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ[1].

وفي صنيع النبي ﷺ مع ابن العشيرة، وهو عُيينة بن بدر الفَزاري وقد كان سيِّد قومه، وكان يقال له: الأحمق المُطاع، دلالات عِظام لأصول الأدب والتعامل مع الناس، قال الإمام أبو سليمان الخَطَّابي: أصلُ الفُحش زيادة الشيء على مقداره... يقول ﷺ: إن استقبال المرء صاحبه بعيوبه إفحاش، والله لا يحب الفحش، ولكن الواجب أن يتأنى له ويرفق به ويكني في القول ويوري ولا يصرح.

وفيه أن النبي ﷺ قد ذكره بالعَيْب الذي عَرفه به قبل أن يدخل، وهذا من النبي ﷺ لا يجري مَجرى الغيبة، وإنَّما فيه تعريف الناس أمره وزجرهم عن مثل مذهبه[2].

وفي مُداراة رسول الله ﷺ لذلك الفاسق استمالة لقلبه للدين القويم، قال الإمام ابن بطَّال: المُدارة من أخلاق المؤمنين، وهى خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة وسَلُّ السَّخيمة.

وقال بعض العلماء: وقد ظَنَّ من لم يُنْعم النَّظر أنَّ المدارة هي المداهنة، وذلك غلط، لأن المدارة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق بينهما بَيِّن، فالمداهنة هي أن يَلقى الفاسق المُظهر فيؤالفه و يؤاكله، و يشاربه، ويرى أفعاله المنكرة ويريه الرضا بها ولا يُنْكرها عليه، ولو بقلبه وهو أضعف الإيمان، فهذه المداهنة التي برَّأ الله عز وجل منها نبيه عليه السلام بقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون﴾[3].

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري، البخاري رواه في كتاب الأدب؛ بَاب لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا؛ ح (6032)، وفي باب مَا يَجُوزُ مِنْ اغْتِيَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالرِّيَبِ من نفس الكتاب؛ ح (6054)، وكذلك في بَاب الْمُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ، ح (6131). أمَّا مسلم فرواه في كتاب البر والصلة والآداب، باب مُداراة من يتقي فُحشه، ح (2591) بلفظ مقارب.

(2) معالم السنن للخطَّابي، 109/4.

(3) سورة القلم، آية 9.

والمُدارة هي الرفق بالجاهل الذى يستتر بالمعاصي ولا يُجاهر بالكبائر، و المُعاطفة في ردِّ أهل الباطل إلى مراد الله بلين ولطف، حتى يرجعوا عما هم عليه[1].

وفى حديث عائشة ﵂ أنه لا غيبة في الفاسق المُعلِن، وإن ذُكر بقبيح أفعاله، وفيه: جواز مصانعة الفاسق، وإلانة القول لمنفعة ترجى منه[2].

ومرَّة أخرى تستوضح عائشة ﵂ من رسول الله ﷺ عن أمور دينها، فقد تدبَّرت ﵂ قول الله ﷻ: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)[3]، وفهمت أن أهل اليمين يَقيهم الله عذاب ذلك اليوم، لكنَّها سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ"، وهو بذلك لم يستثنِ أحدًا، فأشكل عليها، كيف يتَّفق ذلك مع قول الله ﷻ في حساب أصحاب اليمين.

فكان حاصل جوابِهِ ﷺ أنَّ الحسابَ اليسيرَ هو العَرْضُ فقط، والعذابُ لمن نُوقِش فيه[4].

قالت عَائِشَةَ ﵂: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ"، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)[5] قَالَ:" ذَاكَ الْعَرْضُ[6]، يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ[7] هَلَكَ[8]".

---

(1) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المدارة مع الناس، ح (138)، 306/9.

(2) المصدر السابق، في شرحه لكتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولامتفحشًا، ح (54).

(3) سورة الانشقاق، آية 7-8

(4) انظر: فيض الباري، للكشميري، في شرحه للحديث، 289/1.

(5) سورة الانشقاق، الآيات 7-8.

(6) عرضت له الشيء أي أظهرته وأبرزته إليه، انظر: العمدة للبدر العيني في شرحه للحديث 2،137.

(7) قال الزمخشري: ناقشه الحساب : إذا عاسَرَهُ فيه واستقصى فلم يَتْرُكُ قليلاً ولا كثيرا، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، في النون مع القاف،16/4.

(8) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له أورده في عدة مواضع: في كتاب التفسير، في تفسيره لسورة إذا السماء انشقت ، بَاب (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)، ح (4939)، وكذلك في كتاب العلم، بَاب مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، ح (103)، وكتاب الرقاق، بَاب مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ، ح (6536)، و ح (6537).

أمَّا مسلم فقد أورده في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، ح (2876) بنحوه.

قال الإمام العيني: فإن قُلتَ: ما وجه المعارضة ههنا، أعني بين الحديث والآية؟، قلتُ: وجهها أنَّ الحديث عامٌ في تعذيب من حوسب، والآية تدل على عدم تعذيب بعضهم، وهم أصحاب اليمين وجوابها: أنَّ المُراد من الحساب في الآية: العرض، يعني: الإبراز والإظهار.

والمعنى في قوله ﷺ:"نوقش"، أنَّ التقصير غالب على العباد، فمن استُقصي عليه ولم يُسامح هلك وأدخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن شاء، وقيل: إن المناقشة في الحساب نفسها هو العذاب(1).

(1) عمدة القاري للعيني، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه 138/2 ، ح (103).

الفصل الثالث
الموضوعات التي سألت فيها عائشة ﵂ النبي ﷺ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضايا العقيدة.

المبحث الثاني: المسائل الفقهية

المبحث الثالث: تفسير القرآن الكريم.

المبحث الرابع: شئون الحياة.

المبحث الأول
قضايا العقيدة

فيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يُسأل عنه من أمور المعتقد، وما يكفّ عنه.

المطلب الثاني: سؤالات السيدة عائشة ﵂ في قضايا العقيدة.

المطلب الأول
ما يُسأل عنه من أمور المعتقد، وما يُكَفّ عنه

إنَّ من الأسس الثابتة التي دعت إليها شريعتنا الإسلاميَّة التَّفكُّر والتَّدبُّر، وإعمال العقل، والعبادة على علمٍ و يقين، فكم من مرَّةٍ قال فيها الشارع الحكيم: (لعلَّهم يَتَفكَّرون)[1]، (أفَلا يَعْقِلون)[2]، كما قال عز وجل: (أفَلا يَتَدبَّرون القُرآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفَالُها)[3]، ومعروفٌ أنَّ من تمام الهُدى و المعرفة السؤال عمَّا يعسُر فهمه أو يَشُقُّ استيعابه، وقد قال الله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[4].

وقد كان الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عن الحَجِّ والفِتن و الأنفال والكَلالة و غيرها من المسائل، وكان من حِرص بعضهم على العلم وفهم السُّنَّة أن جاوزوا الحَدَّ في أسئلتهم، فأكثروا منها، حتى نزلت أحكام جديدة و حُرِّمت أشياء لم تكن من قبلُ كذلك، حُرِّمت لأجل مسألتهم.

ولأن ديانتنا مُنظَّمة لها قواعدُ وآداب؛ ورد النَّهي عن كثرة السُّؤال، بعدما كان السؤال مباحاً ومحثوثاً عليه.

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله من حديث المُغيرة بن شُعْبَة رضي الله عنه أن النبي ﷺكان " يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ[5]".

---

(1) كما في سورة الحشر؛ آية 21، وسورة الأعراف؛ آية 176، وسورة النحل؛ آية 44.

(2) سورة يس، آية 68.

(3) سورة محمد، آية 24.

(4) سورة النحل، آية 43.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاعتصام، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)، ح (7292)، وفي كتاب الرِّقاق، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ، ح(6473)، و كتاب الزكاة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) من سورة البقرة؛ آية 273، وَكَمْ الْغِنَى، وَقَوْلِ النَّبِيِّ: وَلَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّ اللهَّ بِهِ عَلِيمٌ) سورة البقرة؛ آية 273، ح(1477)، وكذلك في كتاب الاستقراض، بَاب مَا يُنْهَى عَنْ إِضَاعَةِ الْمَالِ، ح (2408)، وكتاب الأدب، بَاب عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ الْكَبَائِر، ح (5975).

وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه، في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، ح (1715)، و ح (593) من الباب نفسه.

قال الزُّرْقَانِيُّ: وقد نهى عن كثرته سدًا لباب سؤال أهل التَّشْغيب، أو لِما في كثرته من التَّضييق في الأحكام، التي لو سَكتوا عنها لم تلزمهم وتُرِكت لاجتهادهم فيها[1].

كما ورد أنَّ النبيَّ ﷺ" كرِه المَسائل وعَابَها[2]"، قال ابن رجب الحنبلي[3]: ولما سُئل النبي ﷺ عن اللِّعان، كَرِه المَسائل وأعابها، حتى ابتُلي السائل به عينه، قبل وقوعه بذلك في أهله.

فقد روى البخاري في الصحيح من حديث سَهْل بن سَعد السَّاعدي، أَنَّ عُوَيْمِرًا الْعَجْلَانِيَّ جَاءَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَاصِمُ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟، سَلْ لِي يَا عَاصِمُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَاصِمٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا حَتَّى كَبُرَ عَلَى عَاصِمٍ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَجَعَ عَاصِمٌ إِلَى أَهْلِهِ، جَاءَهُ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: يَا عَاصِمُ مَاذَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، فَقَالَ عَاصِمٌ لِعُوَيْمِر: لَمْ تَأْتِنِي بِخَيْرٍ، قَدْ كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي سَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنْهَا، فَأَقْبَلَ عُوَيْمِرٌ، حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَطَ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ؟، أَمْ كَيْفَ يَفْعَلُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا، قَالَ سَهْلٌ: فَتَلَاعَنَا، وَأَنَا مَعَ النَّاسِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ تَلَاعُنِهِمَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَمْسَكْتُهَا فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا[4].

---

(1) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزُّرْقاني (قال السَّمعاني في الأنساب: هذه النسبة إلى زرقان،146/3)، في شرحه لما جاء في اللّعان، 283/3.

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير، في تفسير سورة النور، بَاب قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ سورة النور، آية 6، ح (4745)، و كتاب الاعتصام، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ، وَالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ سورة النساء، آية 171، ح (7304).

(3) جامع العلوم والحِكَم، لابن رجب الحنبلي، ص90.

(4) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان ومن طَّق بعد اللِّعان، ح (5308)، وكذلك في صحيح مسلم، في أوَّل كتاب اللِّعان، ح (1492) و ح (1495) باختلاف في الألفاظ.

وقد كان ﷺ يقول:" ما نَهيْتُكم عنه فاجتنبوه، وما أَمَرتُكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنَّما أَهْلَكَ الذين من قَبلكم كَثْرة مَسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم[1]".

قال ابن حجر: والمراد بهذا الأمر: ترك السؤال عن شيء لم يقع، خَشية أنْ ينزل به وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالبًا من التَّعنُّت، وخشية أن تقع الإجابة بأمرٍ يُستثقل، فقد يؤدِّي لترك الامتثال، فتقعُ المُخالفة، ولا تُكْثروا التَّنْقيب عن ذلك، لأنَّه قد يُفْضي إلى مثل ما وقع لبني إسرائيل، إذْ أُمروا أن يذبحوا البقرة، فلو ذبحوا أي بقرةٍ كانت لامْتَثلوا، ولكنهم شَدَّدوا فشُدِّد عليهم[2].

كما قال ﷺ:" إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ[3]".

كلُّ هذا التحريج في النَّهي عن كثرة السؤال و كراهته، كان من باب الرِّفق بالمسلمين، والتَّيسير عليهم، وفي ذلك قال ابن رجب الحَنْبلي كلاماً جامعاً، قال:" دَلَّت هذه الأحاديث على النَّهي عن السؤال عمَّا لا يُحتاج إليه، ما يسوء السائل جوابه، مثل: سؤال السائل، هل هو في النَّار أو في الجَنَّة، وهل أبو ما يُنسب إليه أو غيره[4]، وعلى النَّهي عن السؤال على وجه التَّعَنُّت والعَبث

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم وقد أورده في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك، ح (1337)، أمَّا البخاري فرواه في كتاب الاعتصام، بَاب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ سورة الفرقان؛ آية 74، ح (7288) باختلاف يسير في الألفاظ، وزيادة: " دعوني ما تركتكم" .

(2) فتح الباري، في رحه لكتاب الاعتصام، باب الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ح (6744).

(3) أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب الاعتصام، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ آية101؛ من سورة المائدة، ح (7289) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك ، ح (2358).

(4) في الصحيح من حديث أنس بن مالك أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله من أبي؟، قال:" أبوك فلان"، ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ آية 101 من سورة المائدة، والرواية بهذا اللفظ في صحيح مسلم، في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع ونحو ذلك، ح (2359)، وفي صحيح البخاري بنحوه، في كتاب الاعتصام، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ سورة المائدة؛ آية 101، ح (7295).

والاستهزاء[1]، كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم، وقريب من ذلك: سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت كما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب.

ويَقْرُبُ مِن ذلك السؤال عمَّا أخفاه الله عن عباده ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الرُّوح ودَلَّت أيضًا على نهى المسلمين عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام، مما يُخشى أن يكون السؤال سببًا لنزول التشديد فيه، كالسؤال عن الحج هل يجب كل عام أم لا[2].

وبالرّغم من ذلك فقد كان النبي ﷺ يترخَّص مع الأعراب والوفود القادمة في سؤالاتهم، يتألَّفهم بذلك، أمَّا المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم نُهوا عن المسألة[3].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال[4]: نُهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يُعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع.

---

(1) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟، وَيَقُولُ الرَّجُل تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ سورة المائدة؛ آية101، حَتَّى فَرَغَ مِنْ الْآيَةِ كُلِّهَا، والحديث في صحيح البخاري، في كتاب التفسير، في تفسير سورة المائدة، باب قَوْلِهِ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، ح (4622).

(2) جامع العلوم والحِكَم، لابن رجب الحنبلي، ص90.

(3) انظر: المصدر السابق، بتصرُّف.

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، ح (12).

المطلب الثاني

سؤالات السيدة عائشة ﵂ في قضايا العقيدة

لمَّا كان الأصل في صحة دين المرء صحة معتقده، كان من الواجب عليه أن يعبد ربَّه على بيِّنة وهُدى، وعليه فإنَّ المُسلم يجب أن يكون صحيح المُعتقد، عالماً بأصول دينه و نهج ربه، كي يَثْبُت في خطوه في خضم متغيِّرات الحياة، والفتن المتجددة، على مرِّ العصور والأزمان.

وعليه فقد كانت السيدة عائشة ﵂ تسأل رسول الله ﷺ في العقيدة وقضاياها، لتفهم دينها وتهْنأ في دنياها، فتنال خير الدَّارين.

وسأسرد تالياً بعضاً مما سألته أمُّنا عائشة ﵂ للنبي ﷺ في أمور العقيدة.

المسألة الأولى: حُكم موتى أطفال المسلمين

سألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن قَدَر الأطفال الصِّغار الذين يُتوفون ولم يبلغوا الحُلُم بعد، ومآلُهم بعد موتهم، وكان من جميل لفظها الدَّال على لطيف روحها أَنْ وصفتهم بعصافير الجنة، فوافقها رسول الله ﷺ على ما وصفتهم به.

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنَّها قالت(1): دُعِيَ رسول الله ﷺ إلى جَنَازة صَبي مِن الأنْصار، فقلت: يا رسول الله طُوبى(2) لهذا، عُصْفورٌ مِن عَصافير الجَنَّة، لَمْ يَعْمل السُّوء، ولَم يُدْرِكْهُ، قال:" أَوَ غَيْر ذلك يا عائشة، إنَّ الله خَلَق للجَنَّة أَهْلًا، خَلَقَهُم لها، وهُم في أَصْلاب آبائهم، وخَلَق للنَّار أَهْلًا، خَلَقَهم لها، وهُم في أَصْلاب آبائهم".

قال الإمام النووي رحمه الله: أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدّ بِهِ مِنْ عُلَمَاء الْمُسْلِمِينَ؛ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْل الْجَنَّة ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُكَلَّفًا، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْض مَنْ لَا يُعْتَدّ بِهِ

---

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحُكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ح (2662).

(2) طُوبَى: اسمُ الجنَّة، وقيل: هي شَجَرةٌ فيها، وأصْلها: فُعْلى، من الطّيب، فلما ضُمَّت الطاءُ انقلبت الياء وَاواً، انظر: النهاية، مادة طيب842/2.

لِحَدِيثِ عَائِشَة هَذَا، وَأَجَابَ الْعُلَمَاء بِأَنَّهُ لَعَلَّهُ نَهَاهَا عَنْ الْمُسَارَعَة إِلَى الْقَطْع مِنْ غَيْر أَنْ يَكُون عِنْدهَا دَلِيل قَاطِع، كَمَا أَنْكَرَ عَلَى سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص فِي قَوْله : (أَعْطِهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا) الْحَدِيث[1].

وَيَحْتَمِل أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا قَبْل أَنْ يَعْلَم أَنَّ أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّة ، فَلَمَّا عَلِمَ قَالَ ذَلِكَ فِي قَوْله ﷺ:" مَا مِنْ مُسْلِم يَمُوت لَهُ ثَلَاثَة مِنْ الْوَلَد لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْث إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّه الْجَنَّة بِفَضْلِ رَحْمَته إِيَّاهُمْ[2]"، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْأَحَادِيث[3].

المسألة الثانية: ذَرَارِيّ الْمُشْرِكِينَ

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ[4]؟، فَقَالَ:" هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ؟، قَالَ:" اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَرَارِيُّ

---

(1) الحديث بتمامه في الصحيح، عن سَعْدِ بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا، وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟!، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ:" أَوْ مُسْلِمًا"، فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ:" أَوْ مُسْلِمًا"، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:" يَا سَعْدُ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ".

والحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ هنا للبخاري، الذي رواه في كتاب الإيمان، باب إِذَا لَمْ يَكُنْ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ وَكَانَ عَلَى الِاسْتِسْلَامِ أَوْ الْخَوْفِ مِنْ الْقَتْلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) الآية 14 من سورة الحجرات، فَإِذَا كَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُه: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آية 19 من سورة آل عمران، ح (27)، وذكره أيضًا كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) من سورة البقرة آية 273، وكَم الغِنى، ح (1478).

وكذلك أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، بَاب تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ، ح (150)، وفي كتاب الزكاة، بَاب إِعْطَاءِ مَنْ يُخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ، الحديث (150) نفسه .

(2) صحيح البخاري،كتاب الجنائز، بَاب مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ، ح (1381).

(3) المنهاج، في شرحه لكتاب القَدر، ومعنى حديث كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار 9/9.

(4) ذراري: جمع ذرية، والذّرِّيَة من الذّر، بمعنى التَّفريْق؛ لأن الله تعالى ذُرَّهم في الأرض، ومن الذَّرْءِ : ذرأ بمعنى اَلخلْق، وهي نَسْلُ الرجل، كذا في الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، في الذال مع الراء7/2.

الْمُشْرِكِينَ؟، قَالَ:" مِنْ آبَائِهِمْ"، قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟، قَالَ:" اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ[1]".

سألَت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن حُكم ذراريِّ المشركين، قال صاحب عون المعبود: أي: أطفالهم إذا ماتوا قبل البلوغ[2].

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه وبإسناده قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ (ح)، و حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ وَكَثِيرُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمَذْحِجِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ – الْمَعْنَى- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (كتاب السُّنة، باب في ذراري المشركين، ح (4089) واللفظ له.

كما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن بقية بن الوليد (فيما يروى عن رجال أهل الشام والجزيرة وغيرهم عن عائشة عن النبي ﷺ، ح (1671)، ومن طريقه الطبراني (مسند الشاميين، فيما انتهى إليه من مسند محمد بن زياد عن عبد الله بن أبي قيس، الذي يكنى أبا الأسود، ح (820)، كما أخرجه الطبراني من طريق محمد بن حمير السُّليحي، ثلاثتهم:(محمد بن حرب، وبقية بن الوليد، و محمد بن حمير) عن محمد بن زياد الألْهاني، عن عبد الله بن قيس، عن عائشة ﵂.

تقول الباحثة: ومدار الحديث على محمد بن زياد وهو ثقة، وعنه الثقة محمد بن حرب، أمَّا بَقِيَّة بن الوليد فقد كان ثقة في روايته عن الثقات، ثبتاً في روايته عن الشاميين ضعيفاً في غيرهم، وقد كان كثير التدليس عن الضعفاء والمجهولين.

قال عنه ابن سعد: كان ثقة في روايته عن الثقات، وكان ضعيف الرواية عن غير الثقات (الطبقات الكبرى، 326/7)، وكذلك قال العجلي: ثقة ما روى عن المعروفين وما روى عن المجهولين فليس بشئ (معرفة الثقات 250/1)، وابن معين قال: إذا حدث عن ثقة فليس به بأس (التاريخ برواية ابن محرز 79/1)

وقال ابن عدي: لبقية حديث صالح ، ففي بعض رواياته يخالف الثقات، وإذا روى عن أهل الشام فهو ثبت، وإذا روى عن غيرهم خلط (الكامل، 276/2)، وقال أبو حاتم: كان بقية يدلس (العلل، أخبار رويت في الزهد 145/5).

لكن بقية في هذا الحديث روى عن الثقة محمد بن زياد ، وهو كما قال العلماء: ثقة فيما يروي عن الثقات، وروايته هنا عن الشاميين، وهو ثبت فيها كما قالوا، وقد صرَّح بالسماع من شيخه محمد بن زياد في رواية له عند ابن راهويه، مما يُبعد شبهة التدليس، وقد توبع.

وعليه فإسناد الحديث صحيح.

وللحديث شواهد في الصحيح: في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم، في كتاب الجنائز، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، ح (1383)، و ح (1384)، و في كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ح (6597)، و ح (6598).

وفي صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ح (2659)، و ح (2660).

(2) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطَّيب العظيم الآبادي، في شرحه لباب في ذراري المشركين، 316/12.

وقد اختلف العلماء في حكمهم على ثلاثة أوجه:

منهم من قال: أنَّهم في النَّار تبعا لأهلهم، قال الخطَّابي: ظاهر هذا الكلام يوهِم أنه ﷺ لم يُفْتِ السائل عنهم، ولأنه رَدَّ الأمر في ذلك إلى علم الله جل وعز، ومِن غير أن يكون قد جعلهم من المسلمين أو ألحقهم بالكافرين، وليس هذا وجه الحديث ، وإنما معناه: أنهم كفار مُلحقون في الكفر بآبائهم؛ لأن الله سبحانه قد عَلِم أنَّهم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لكانوا يعملون عمل الكفار [1].

وكذلك قال الإمام البيهقي: هذا يَدل على أنَّ أولاد المشركين لم يولدوا على الإسلام قطعًا، وأنه جعل حكمهم حكم آبائهم، ويُحتمل أن يكون ذلك في الدنيا[2].

ومنهم من قال: بالتوقف لعدم القَطْع في أمرهم، وقد نُسب إلى أبي حنيفة، قال الكشميري في الفيض: ففي قوله ﷺ:" اللَّهُ أَعْلَمُ بما كانوا عَامِلين"، هذا نَصٌّ في الباب الذي لا مَهْرب عنه ولا مَعْدِلَ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ عنهم، ثُم أجابهم بالتوقُّف فيهم[3].

ومن قال: بنجاتهم، وأنَّهم من أهل الجنة، قال النووي: الصَّحِيح الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْل الْجَنَّة، مستدلِّين بعدة أدلة، منها: قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَث رَسُولًا﴾[4]، وَلَا يَتَوَجَّه عَلَى الْمَوْلُود التَّكْلِيف، وَيَلْزَمهُ قَوْل الرَّسُول حَتَّى يَبْلُغ، وَهَذَا مُتَّفَق عَلَيْهِ[5].

قال صاحب عون المعبود: وفي سؤال عائشة ﵂:" يَا رَسُولَ اللَّهِ بِلَا عَمَل؟"، هذا واردٌ منها على سبيل التعجب، قال ﷺ:" الله أعلم بما كانوا عاملين"، أي: لو بَلَغوا، رداً لتعجبها، وإشارةً إلى القَدَر [6].

---

(1) معالم السنن للخطَّابي، شرح باب في ذراري المشركين، 317/12.

(2) القضاء والقدر للبيهقي، باب بيان معنى قوله:" خلقت عبادي حنفاء"، وقول النبي ^:" كل مولود يولد على الفطرة"، والحكم في الأطفال ص 350.

(3) فيض الباري، للكشميري، في شرحه لكتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين 129/4.

(4) سورة الإسراء، آية 15.

(5) المنهاج للنووي، شرح كتاب القَدر، ومعنى حديث كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار 9/9.

(6) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب العظيم آبادي، في شرحه لكتاب السُّنة، باب في ذراري المشركين، 317/12.

المسألة الثالثة: عذاب أهل القُبور

أُخْبرت عائشة ﵂ أنَّ أهل القُبور يُعذَّبون في قبورهم، فهالها ما سَمِعت، ولم يُسعِفها ذِهنُها الحَصيف أن تتصَوَّر الأمر، فلم تَطِب نفسُها أنْ تُصدِّق ذلك، لكنها ما لبثت أن تحقَّقت من صدق الخبر، فسألَت نبي الأمَّة ﷺ عن ذلك، ونالت الجواب.

قالت عَائِشَةَ ﵂: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُز[1]يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ[2] أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ؛ وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ:" صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا"، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[3].

وكان قد أوحي للنبيﷺ من قَبل أن اليهود يُفتنون في قبورهم، فلم يكن عِلم حال المؤمنين في قبورهم قد وصل للسيدة عائشة ﵂، لذا أنْكرت ما أُخبرت به.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: أنَّ رسول الله ﷺ لَمْ يَكُنْ قد أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي الْقُبُور فَقَالَ:" إِنَّمَا يُفْتَن يَهُود "، فَجَرَى عَلَى مَا كَانَ عِنْده مِنْ عِلْم ذَلِكَ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ بِأَنَّ ذَلِكَ يَقَع لِغَيْرِ الْيَهُود اِسْتَعَاذَ مِنْهُ وَعَلَّمَهُ، وَأَمَرَ بِإِيقَاعِهِ فِي الصَّلَاة لِيَكُونَ أَنْجَحَ فِي الْإِجَابَة[4].

---

(1) العُجُز: جمع العَجُوز والعَجُوزة من النساء، وهي الشَّيْخَة الهَرِمة، تُجمع كذلك على عُجْز وعَجائز، انظر: لسان العرب، مادة عجز 369/5.

(2) لم أُنعم أن أصدقهما: أي لم أحسن في تصديقهما، كذا في عمدة القاري للعيني، عند شرحه لهذا الحديث4/23.

(3) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، ح (6366)، أمَّا مسلم فقد أخرجه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، ح (586).

(4) فتح الباري، خلال شرحه لحديثنا السابق، من كتاب الدعوات، بَاب التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ 151/18.

المسألة الرابعة: الحِساب

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ"، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1] قَالَ:" ذَاكَ الْعَرْضُ، يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ[2]".

وقد استنبط الإمام العيني من هذا الحديث عدة أمور:

أوَّلُها: أنَّ فيه بيان فضيلة عائشة ﵂ وحرصها على التعلم والتحقيق، فإن رسول الله ﷺ ما كان يتضجَّر من المراجعة إليه.

الثاني: فيه إثبات الحساب والعرض.

الثالث: فيه إثبات العذاب يوم القيامة.

الرابع: فيه جواز المُناظرة، ومقابلة السُّنَّة بالكتاب.

الخامس: فيه تفاوت الناس في الحساب[3].

ولقد تناولت هذا الحديث من قَبل بالتفصيل، في الفصل الثاني من البحث، ضمن الأمور التي أُشكلت على أم المؤمنين ﵂، وكيف كانت تتعامل معها.

المسألة الخامسة: قرينُ الإنْس من الشياطين

افتقدت أم المؤمنين زوجها ﷺ،وأخذتها الغَيْرة عليه، فلاحظ ﷺ تغَيُّر حالها، ونَبَّهها أنَّه قد نالها حَظُّها من الشيطان، فسألته إنْ كان معها شيطان، فأجابها رسول الله ﷺ أنَّ كُلّ إنسان له قرينٌ من الشياطين.

---

(1) سورة الانشقاق، الآيات 7،8.

(2) سبق تخريجه في الفصل الثاني من البحث.

(3) عمدة القاري للعيني، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه، ح (103).

تحدِّثُ عائشة ﵂: أنَّ رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا، قالت: فَغِرْتُ عليه، فَجَاءَ، فرَأى ما أصْنَع فقال: مالَكِ يا عائشة؟ أَغِرْتِ؟!، فقُلتُ: وما لِي!، لا يَغَارُ مِثْلِي على مِثْلِك؟، فقال رسول الله ﷺ: أَقَدْ جَاءك شَيْطَانُكِ؟، قالت: يا رسول الله، أَوَ مَعِي شَيْطان؟، قال: نَعَم، قُلتُ: ومَع كُلّ إنِسان؟، قال: نَعَم، قُلتُ: وَمعَكَ يا رَسُولَ الله؟، قال: نَعَم، ولكنَّ رَبِّي أعانني عَليْه حَتَّى أَسْلَم[1].

وفي ذلك قال القاضي عياض رحمه الله: وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكِفَايَتِهِ مِنْهُ، لَا فِي جِسْمِهِ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، وَلَا عَلَى خَاطِرِهِ بِالْوَسَاوِسِ[2].

المسألة السادسة: مكان النَّاس يوم القيامة

سألت السيدة عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن حال النَّاس يوم القيامة، أين يكونون؟، في ظل التَّغيُّرات الكوْنيَّة الهائلة التي تَطْرأ وقتها.

عن عائشة ﵂ قالت: سَألتُ رسول الله ﷺ عن قوله عز و جل: ﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيْر الأَرضِ والسَّماوات﴾[3]، فأيْنَ يَكونُ النَّاسُ يَومئذٍ يا رسول الله؟، فقال:" على الصراط[4]".

والصِّراطُ: هو الجسْرُ (بالفتح والكسر) المنصوب على جَهنَّم، لعبور المسلمين عليه إلى الجنة[5].

ولم تُجاوز السيدة عائشة ﵂ الفطرة في سؤالها هذا، إذ يجب على كل إنسانٍ أن يتفكَّر فيما يتلقَّى من معلومات، خاصَّة فيما يتعلَّق بأمور المُعتقد.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأنَّ مع كل إنسان قرينًا، ح (2815).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبو الفضل عياض اليَحْصُبي، في الفصل الرابع: الْعِصْمَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، ص 473.

(3) سورة إبراهيم، آية 48.

(4) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ح (2791).

(5) قاله: ابن حجر، في فتح الباري، في شرحه لكتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم18 /418.

ولقد توافق سؤالها رضي الله عنها مع سؤال اليهودي؛ الذي جاء يَختبر النبي ﷺ فيما يدعو إليه من عقيدةٍ وديانة، مما يُدلِّل على أهمية ذا السؤال، و ما فيه من بُرهانٍ على صِدق النُّبوة.

قال ثَوبان مولى رسول الله ﷺ: كُنْتُ قائمًا عِنْد رسول الله ﷺ، فَجَاء حَبْرٌ[1] مِن أحْبار اليَهود، فقال: السَّلامُ عَلَيك يا مُحمَّد، فدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كادَ يُصْرَع مِنْها، فقال: لِمَ تَدْفَعُني؟، فقلت: ألا تقولُ يا رسولَ الله؟، فقال اليهودي: إنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسِمِهِ الذي سَمَّاهُ بِهِ أهْلُه، فقال رسول الله ﷺ: إن اسْمِي مُحمَّد، الذي سَمَّاني بِهِ أهْلي، فقال اليهودي: جئتُ أسألُكَ، فقال لهُ رسولُ الله ﷺ: أَيَنْفَعُكَ شَيءٌ إنْ حَدَّثْتُك؟، قال: أَسْمَعُ بأُذُني، فنَكَتَ[2] رسول الله ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فقال: سَلْ، فقال اليَهُوديّ: أيْنَ يكونُ النَّاسُ يَومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيْرَ الأرضِ والسَّماوات؟، فقال رسول الله ﷺ: هُمْ فِي الظُّلْمَة دُونَ الجِسْرِ[3].

المسألة السابعة: حكم الأعمال الصالحة مع الكفر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلتُ: يا رسولَ الله، ابنُ جدعان[4] كان في الجاهِليةِ يَصِلُ الرَّحِم، ويُطْعِمُ المِسْكِين، فَهَل ذاك نافِعه؟، قال: لا يَنْفَعُه، إنَّهُ لم يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطيئتي يَوم الدِّين[5].

كان سؤال السيدة عائشة رضي الله عنها منطقياً، إذ يتمنى المرء لأصحابُ الأعمال الخَيِّرة أن ينالوا الأجر والمثوبة على ما قدَّموا من إحسانٍ في دنياهم، وهذا ابن جدعان ذَكَرتْ له وصله للرحم؛ حين سادت الجاهلية وكانت القطيعة دأب كثير منهم، و عَدَّت له برَّه بالفقراء وعطفه على المساكين حال كُفره، فسألت رسول الله ﷺ إنْ كان ذلك نافعه عند ربه في أُخراه.

---

(1) بالفتح والكسر، وهو العالِم، انظر: مقاييس اللغة، مادة حبر 127/2.

(2) نكت: النون والكاف والتاء أصلٌ واحد، يدلُّ على تأثيرٍ يسيرٍ في الشيء، ونكت في الأرض بقَضِيبِهِ، إذا أثَّر فيها، المصدر السابق، مادة نكت475/5.

(3) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، ح (315).

(4) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب، سيد قريش في زمانه، وفي داره كان حِلف الفضول، انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم 62/1، و نسب قريش لمصعب الزبيري 290/8.

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، ح (214).

فكان جواب النبي ﷺ أن ما كان يفعله من وجوه الخير وأبواب المكارم لم يكن لينفعه في آخرته وقد كان كافِراً بالله.

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى قوله ﷺ:" لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"، أي: لم يكن مصدقًا بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل[(1)].

كما ذكر القاضي عياض رحمه الله الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيمٍ ولا بتخفيفِ عَذاب، وإن كان بعضهم أشدّ عذاباً من بعض[(2)].

لكنَّ الإمام البيهقي رحمه الله قال: وقد يجوز أن يكون الحديثُ و ما وَرَد من الآيات والأخبار في بُطْلان خَيِّرات الكافر إذا مات على كفره، ورد في أنَّه لا يكون لها موقع التَّخْليص مِن النار وإدخال الجنة، لكن يُخَفَّف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جِناياتٍ ارتكبها سوى الكفر، بما فعل من الخيرات والله أعلم[(3)].

وتبقى رحمة الله الحليم الكريم تسع عباده وتشملهم، مُسْلمهم وكافرهم.

المسألة الثامنة: كراهية الموت

خُلق الإنسان مجبولًا على حُب الدنيا وزينتها، و التَّعلق بالحياة ومتاعها، وعلى كراهية الموت و المُفارقة، لكنَّ رسول الله ﷺ أخْبر عن لقاء الله، فمن أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ؛ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لقاءه.

ومعروفٌ أنَّ لقاء الله لا يتَحَصَّلُ إلَّا بعد مُفارقة الروح الجسد، لذا خشيت عائشة أن تكون كراهية النَّاس للموت ضمن كراهية لقاء الله، فسألت رسول الله ﷺ، مُستفسرة عن مُراده، ونالت الجواب الشافي.

---

(1) المنهاج للنووي، في شرحه للحديث، من كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل 87/3.

(2) الإكمال للقاضي عياض، في ش رحه لكتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب387/1.

(3) كتاب البعث والنشور لأبي بكر البيهقي، ص62.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ:

" لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ؛ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ؛ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ؛ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ[1]".

فهمت عائشة رضي الله عنها المُراد من قول رسول الله ﷺ، ونشرت العلم عنه، و هاهو شُريح بن هانئ يأتيها يائساً، يخشى الهلاك، فتُصحّح له فهمه للحديث وتُرشده للصواب

يقول شُريح[2]: أتيت عائشة، فقلت: يا أمّ المؤمنين، سمعتُ أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا، إنْ كانَ كذلك فقد هَلَكنا، فقالت: إنَّ الهالكَ مَنْ هَلَك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ؛ أَحَبَّ اللهُ لقاءه، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ الله؛ كره الله لقاءه، وَليسَ مِنَّا أحدٌ إلا وهو يَكرهُ المَوت، فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تَذْهَب إليه، ولكنْ

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، وقد أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ح (2684)، أمَّا البخاري فقد رواه في كتاب الرقاق، بَاب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، ح (6507) بنحوه.

(2) هو: شُرَيح بن هانئ بن يزيد بن الحارث بن كعب، وقيل: شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب، واسمه: سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي، كان يُكنى أبا المقدام، وكان من أعيان أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقُتل في سجستان سنة ثمانٍ وسبعين، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب الشين، 4/2.

إذا شَخَص البصر[1]، وحَشْرَجَ الصَّدر[2]، واقْشَعرَّ الجِلد[3] وتشَنَّجَت الأصابع[4]، فعِند ذلك مَنْ أَحَبَّ لِقاء الله؛ أَحَبَّ الله لقاءه، وَمَنْ كَرِهَ لِقاء الله كره الله لقاءه[5].

قال الخَطَّابي في تفسير ذلك: مَحَبَّةُ اللِّقاءِ: إيثارُ العَبد الآخرة على الدُّنيا، فلا يُحِب طول القيام فيها، لكن يَسْتعد للارتحال عنها، وكراهته ضدّ ذلك، ومَحَبة الله لقاء عبده: إرادة الخير له وهدايته إليه، وكراهته ضد ذلك[6].

أمَّا النووي فقد فسَّر كراهية اللقاء بقوله: الْكَرَاهَة الْمُعْتَبَرَة هِيَ الَّتِي تكُون عِنْد النَّزْع، فِي حَالَةٍ لَا تُقْبَل تَوْبَته وَلَا غَيْرهَا، فَحِينَئِذٍ يُبَشَّر كُلّ إِنْسَان بِمَا هُوَ صَائِر إِلَيْهِ، وَمَا أُعِدَّ لَهُ، وَيُكْشَف لَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَهْل السَّعَادَة يُحِبُّونَ الْمَوْت وَلِقَاء اللَّه، لِيَنْتَقِلُوا إِلَى مَا أُعِدَّ لَهُمْ، وَيُحِبّ اللَّه لِقَاءَهُمْ، أَيْ: فَيُجْزِل لَهُمْ الْعَطَاء وَالْكَرَامَة، وَأَهْل الشَّقَاوَة يَكْرَهُونَ لِقَاءَهُ لِمَا عَلِمُوا مِنْ سُوء مَا يَنْتَقِلُونَ إِلَيْهِ، وَيَكْرَه اللَّه لِقَاءَهُمْ، أَيْ: يُبْعِدهُمْ عَنْ رَحْمَته وَكَرَامَته، وَلَا يُرِيد ذَلِكَ بِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى كَرَاهَته سُبْحَانه لِقَاءَهُمْ[7].

---

(1) شُخوص البَصَر: ارْتِفاعُ الأجْفان إلى فَوْق وتَحْديدُ النَّظر وانْزِعاجُه، كذا في النهاية لابن الأثير، باب الشين مع الخاء، 1116/2.

(2) الْحَشرَجَة: الغَرْغَرة عند الموت وتَرَدّد النَّفَس، المصدر السابق، باب الحاء مع الشين، 968/1.

(3) اقشعرّ الجلدَ: من القُشَعْرِيرة، وهي الرِّعْدَة، وتعني: نفَر وقَفَّ، انظر: لسان العرب، مادة قشعر 95/5.

(4) تشنَّجت الأصابع: أي انقَبَضَت وتَقَلَّصَت، انظر: النهاية، مادة شنج، 1227/2.

(5) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ح (2685).

(6) نقل العيني قول الخَطَّابي ذاك في عمدته، عند شرح كتاب الرقاق، باب مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقاءَهُ، ح (6507).

(7) المنهاج للنووي، في شرحه للحديث، من كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، 47/9.

المسألة التاسعة: حال الناس عند الحشر

روي عن عَائِشَةَ ﵂ أنَّها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟!، فَقَالَ:" الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ[1] ذَاك[2]".

قال البدر العيني: والمقصود أنهم يُحشرون كما خُلقوا أول مرة، ويُعادون كما كانوا في الابتداء، لا يُفْقَدُ شيءٌ منهم، حتى الغُرْلة، وهو ما يقطعه الختان من ذكَر الصَّبي[3].

استغربت السيدة عائشة ﵂ أن يُحشر الرجال مع النساء وهُنَّ صاحبات الحياء كما ولدتهم أمهاتهم، فيُجيبها النبي الأمين ﷺ أَنَّ الأمر أكر من أن ينتبه أحد للآخر، فهو يوم القصاص بين الخلائق، يُحشرون ليقفوا بين يدي ربهم فما من مظلومٍ إلا ويقتص ممن ظلمه، فكلهم سواء كما خلقهم ربهم أوَّل مرَّة، لا يَفْضُل بعضهم بعضًا إلا بعمله الصالح.

المسألة العاشرة: تقليب القلوب

قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: دَعَوَاتٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا،" يَا مُقَلِّبَ[4] الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَقَالَ: "إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ[5]؛ وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ[6]".

---

(1) يهمهم: يُقلقهم (انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة هم 13/6)، ويجوز أن يكون من الإهمام وهو القَصد (كما في عمدة القاري للعيني، في شرحه للحديث 107/23).

(2) الحديث صحيح، سبق تخريجه في استشكالات السيدة عائشة ﵂.

(3) عمدة القاري، في شرحه لكتاب الإيمان، باب كيف يُحشر الناس، ح (4256)، 327/33.

(4) القلب: الذي يقلب الأمور ظهرًا لبطن، قاله: الخطَّابي في غريب الحديث، 527/2.

(5) أزاغه: أماله عن الإيمان، يقال: زَاغَ عن الطَّريق يَزيغُ؛ إذا عَدَل عنه، انظر: النهاية لابن الأثير، حرف الزاي، باب الزاي مع الياء، 595/2.

(6) أخرجه أحمد بإسناده عن يُونُس، عن حَمَّاد يَعْنِي ابْن زَيْدٍ، عَنْ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ وَهِشَامٍ وَيُونُس عَنْ الْحَسَنِ البصري عن عائشة ﵂ (مسند أحمد، مسند السيدة عائشة ﵂، ح (23463)).

والحديث بهذا الإسناد حسن، ففي رواية هشام بن حسان القردوسي عن الحسن البصري مقال؛ إذ كان يُرسل عنه وهو الثقة الحافظ، إلاَّ أنَّه في روايته هذه توبع من اثنين ولم يتفرد فانتفت علة الإرسال، أمَّا الحسن البصري فسماعه من السيدة عائشة ﵂ محل شكٍّ كما ذكر المزِّي (تهذيب الكمال 97/6) ، وهو غير مستبعد كما قال ابن أبي حاتم الرازي (المراسيل، باب ما يثبت للحسن البصري سماعه من أصحاب رسول الله ﷺ ص 31) ، وللحديث عدة شواهد، منها شاهد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص مالك رضي الله عنه (صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ح (2654).

لقد كان رسول الله ﷺ يُكثِر من الدعاء؛ بأن يُثَبّت الله عز وجل قلبه على الإيمان، فسألته السيدة عائشة رضي الله عنها عن ذلك، فهو نبيُّ الأُمَّة المعصوم، المُبَشَّر بالجِنان والرضوان من رب الأكوان فكان جواب النبي ﷺ أنَّ أمر القلوب وحكمها بيد الله عز وجل يُقلبها كيف يشاء، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَها؛ وَإِذَا شَاءَ أَقَامَها.

قال ابن حجر العسقلانيّ: معنى الحديث: أنَّ الله يتصرَّف في قلوب عباده بما شاء لا يَمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة[1].

والحديث موافق لقول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2].

قال البيضاوي في تفسيره: لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه... (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) إلى الحق والإيمان بالقسمين، من المُحكَم والمُتشابه... وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله، وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء[3].

وقد اختلف علماء الإسلام في تفسيرهم للمراد من أصابع الرحمن، كلٌّ حسب فهمه ومعتقده في توحيد الله عز وجل، كونها على الحقيقة أو التأويل تَبعًا لاختلافهم في الفِرَق والطرائق، ولستُ هنا بصدد دراسة هذا الاختلاف لأهل العلم من السلف والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الطوائف.

المسألة الحادية عشر: البعثُ على النِّيَّات

قالت عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَائِمٌ إِذْ ضَحِكَ فِي مَنَامِهِ؛ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّ ضَحِكْتَ؟ قَالَ:" إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ[4]هَذَا الْبَيْتَ لِرَجُلٍ مِن قُرَيْشٍ، قَدْ اسْتَعَاذَ[5] بِالْحَرَمِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْبَيْدَاءَ خُسِفَ بِهِمْ، مَصَادِرُهُمْ[6]شَتَّى، يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ" قُلْتُ:

(1) فتح الباري، في شرحه لكتاب التوحيد، باب مقلب القلوب، ح (6842).

(2) سورة آل عمران، آية 8.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد البيضاوي 231/1.

(4) يؤمُّون: يقصدون، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الهمزة مع الميم، مادة أمم 45/1.

(5) استعاذ: لجأ، يُقال: عُذْت به، أعُوذ عَوْذاً وعِيَاذاً ومَعاذاً: أي لَجأت إليه، كذا في النهاية لابن الأثير، باب العين مع الواو، تحت عوذ 969/3.

(6) الصَّدَر: بالتحريك، رجوعُ المُسَافِر من مَقْصِده، والشَّاربةِ من الوِرْد، والمعنى: أنَّهم يَصْدُرُون بعد الهَلَكَة مَصادر مُتَفَرِّقة، على قدْر أعمالِهم ونِيَّاتِهم ففريقٌ في الجنة وفَرِيقٌ في السعير، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الصاد مع الدال، مادة صدر 752/2.

وَكَيْفَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى؟، قَالَ:" جَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، مِنْهُمْ الْمُسْتَبْصِرُ[1]، وَابْنُ السَّبِيلِ[2]، وَالْمَجْبُور[3]، يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ **شَتَّى**[4]".

لقد كان النبي ﷺ نائمًا، فبدى منه ما لا يكون عادةً من حاله في النوم، من ضَحِكٍ، أو اضطرابٍ و تحريكٍ لأطرافه، كما في رواية مسلم: "عَبِثَ رسول الله ﷺ"، فاستفسرت زوجته المُحبَّة عن سِرِّ صنيعه، فأخبرها ﷺ برؤياه التي رأى، أنَّ هناك قوماً سيعوذون بالكعبة، ليس معهم مَنَعة ولا عدة لا عتاد، يُبعث إليهم جيشٌ، حتى إذا كانوا ببيداء المدينة خُسف بهم[5]، وأنبأها بأنَّ من يُخسف بهم تكون مَصادرهم شتَّى، وإنَّما يُبعثون على نواياهم، فتسأل عائشة ﵂ رسول الله ﷺ مُتعجِّبة:" كَيْفَ يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى؟"، فيفْهمها رسول الله ﷺ الحال يومئذٍ، ويوضِّح لها المقال.

قال النووي: أما المستبصر: فهو المُستبينُ لذلك القاصد له عمدًا، وأما المَجْبور: فهو المُكْرَه، وأما ابن السَّبيل: فالمُراد به سالكُ الطريق معهم وليس منهم، ويهلكون مهلكًا واحدًا، أي يقع

---

(1) المُستبصر: المُسْتبين للشيء، أي: كانوا على بصيرة من ضلالتهم، قاله: الخطَّابي في غريب الحديث 391/1.

(2) ابنُ السَّبيل: هو المُسافِر الكثيرُ السَّفر، سُمِّي ابْناً لها لمُلاَزَمته إيَّاها، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب السين مع الباء، مادة سبل608/2.

(3) المجبور: المُجبَر على الخُروج كرهًا معهم، يقال: جَبَره على الأمر، وأجبره، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري 114/1، و غريب الحديث للخطَّابي 391/1.

(4) أخرجه أحمد بإسناده قال: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَّانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ (مسند أحمد، حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23595)، وإسناده صحيح إذ الرواة ثقات.

و الحديث رواه مسلم في الصحيح من طريق يونس بن محمد عن القاسم بن الفضل الحدَّاني (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح (2884)، غير أنِّي اعتمدت رواية أحمد لما فيها من تفصيل وبيان أنَّ السائلة هي عائشة ﵂، بلفظ: "فقلتُ".

(5) انظر: إكمال المُعْلم للقاضي عياض، في شرحه لكتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت 208/8 بتصرُّف.

الهلاك في الدنيا على جميعهم ويصدرون يوم القيامة مصادر شتى: أي يُبعثون مختلفين على قدر نياتهم فيجازون بحسبها[1].

والمُتأمِّل لهذا الحديث يجد فيه من الدُّرر الفقهية ما ينفعه أيُّما نفع في حياته، أشار لها زُمرة من العلماء في كتبهم.

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفِقْه: التَّبَاعُد مِنْ أَهْل الظُّلْم، وَالتَّحْذِير مِنْ مُجَالَسَتهمْ ، وَمُجَالَسَة الْبُغَاة وَنَحْوهمْ مِنْ الْمُبْطِلِينَ ؛ لِئَلَّا يَنَالهُ مَا يُعَاقَبُونَ بِهِ.

وَفِيهِ أَنَّ مَنْ كَثُرَ سَوَاد قَوْم جَرَى عَلَيْهِ حُكْمهمْ فِي ظَاهِر عُقُوبَات الدُّنْيَا[2] .

وقال ابن حجر: قَالَ الْمُهَلَّب: فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّ مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ فِي الْمَعْصِيَةِ، مُخْتَارًا أَنَّ الْعُقُوبَةَ تَلْزَمُهُ مَعَهُمْ .

قَالَ: وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ مَالِكٌ عُقُوبَةَ مَنْ يُجَالِسُ شَرَبَةَ الْخَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَشْرَبْ، وَتَعَقَّبَهُ اِبْن الْمُنَيِّر[3]: بِأَنَّ الْعُقُوبَةَ الَّتِي فِي الْحَدِيث هِيَ الْهَجْمَةُ السَّمَاوِيَّةُ، فَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ، وَيُؤَيِّدُهُ آخِرُ الْحَدِيثِ حَيْثُ قَالَ: "وَيُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ ".

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْأَعْمَال تُعْتَبَرُ بِنِيَّةِ الْعَامِلِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَتَكْثِير سَوَادهمْ إِلَّا لِمَنْ اُضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ ، وَيَتَرَدَّدُ النَّظَرُ فِي مُصَاحَبَةِ التَّاجِر لِأَهْلِ الْفِتْنَةِ هَلْ هِيَ إِعَانَةٌ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَوْ هِيَ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، ثُمَّ يُعْتَبَرُ عَمَلُ كُلِّ أَحَد بِنِيَّتِهِ[4].

---

(1) المنهاج للنووي، في شرحه لكتاب الفتن وأشراط الساعة، 261/9.

(2) المصدر السابق.

(3) ابن المُنيِّر: هو علي بن محمد بن منصور بن المنير يلقب زين الدين، وهو أخو القاضي ناصر الدين بن المنير ولي القضاء بعد أخيه بالإسكندرية، وقرأ الفقه على أخيه ناصر الدين وعلى أبي عمرو بن الحاجب وكان بعض أكابر العلماء يفضله على أخيه ناصر الدين وإن كان أخوه ناصر الدين أشهر منه، وله شرح على البخاري في عدة أسفار لم يُعمل على البخاري مثله: يذكر الترجمة ويورد عليها أسئلة مشكلة حتى يقال: لا يمكن الانفصال عنها ثم يجيب عن ذلك ثم يتكلم على فقه الحديث ومذاهب العلماء ثم يرجح المذهب ويفرع، وكان ممن له أهلية الترجيح والاجتهاد في مذهب مالك، كذا في الدِّيباج المُذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون 118/1.

(4) فتح الباري، لابن حجر، في شرحه لكتاب، البيوع، باب ما ذكر في الأسواق 424/6.

المسألة الثانية عشر: قيام الساعة وقد عاد الكُفر بعد تمام الدِّين

قالت عائشة ﵂: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه و سلم يقول:" لا يَذْهَبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ والعُزَّى[1]"، فقلتُ: يا رسول الله، إنْ كُنتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزلَ الله (هُوَ الذِي أَرْسلَ رَسولهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلوْ كَرِهَ المُشْرِكون)[2] أنَّ ذلكَ تَامَّاً، قال:

" إنَّهُ سيكونُ مِنْ ذلكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبةً؛ فتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُون إلى دِينِ آبائِهِم[3]".

تساءلت السيدة عائشة ﵂ حين سمعت رسول الله ﷺ، أنَّ الساعة لا تقوم حتى يَرتدَّ الناس بعد إيمانهم كفارًا يعبدون الأصنام، كيف يكون ذلك، وقد أظهر الله الإسلام وأتمَّ دينه، فأجابها النبيُّ ﷺ، بأنَّ الدين سينتشر حتى يقبض الله أرواح المؤمنين بريحٍ طيبة، ويبقى شرار الخلق الذين يرتدون فتقوم علهم الساعة.

قال ابن بطَّال: ليس المراد أنَّ الدِّين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنَّ الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إلا أنَّه يضعف ويعود غريبًا كما بدأ[4].

لكن ابن حجر عقَّب على شرح ابن بطَّال قائلاً: ليس فيما احتج به تصريح إلى بقاء أولئك إلى قيام الساعة، وإنما فيه:" حتى يأتي أمر الله "، فيحتمل أن يكون المراد بأمر الله ما ذُكر من قبض من بقي من المؤمنين، وظواهر الأخبار تقتضي أن الموصوفين بكونهم ببيت المقدس أنَّ آخرهم من كان مع عيسى ﵇، ثم إذا بعث الله الريح الطيبة فقبضت روح كل مؤمن لم يبق إلا شرار الناس... وذلك إنما يقع بعد طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وسائر الآيات العظام.

وحديث عائشة ﵂ فيه ما يشير إلى بيان الزمان الذي يقع فيه ذلك[5].

---

(1) اللات: اسم صنم كانت تعبده ثقيف وتعطف عليه العُزَّى (معجم البلدان لياقوت الحموي، باب اللام والألف 4/5) والعُزَّى: سمرة كانت لغطفان يعبدونها (المصدر نفسه، باب العين و الزاي 116/4) .

(2) سورة التوبة، الآية 33، و سورة الصف، الآية 9 .

(3) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخَلَصَة، ح (2907).

(4) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، ضمن شرحه لكتاب الفتن، باب تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ، 60/10.

(5) فتح الباري لابن حجر، في شرحه لكتاب الفتن، باب تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ، 125/20.

المبحث الثاني
المسائل الفقهية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في وجوب التفقه في الدِّين، والحث عليه من كلمات عائشة أم المؤمنين وأفعالها.

المطلب الثاني: سؤالات السيدة عائشة ﵂ للنبي ﷺ في القضايا الفقهية.

المطلب الأول

في وجوب التفقّه في الدين، والحثّ عليه من أقوال أم المؤمنين عائشة ﵂، وأفعالها

إنَّ من الواجب على كل مسلمٍ أن يفقه أمور دينه الذي يتعبَّد به لربِّه، لتكون عبادته على بيِّنة وهدى، فيستقرُّ فؤاده على الدِّين القويم، وترتاح جوارحه للانقياد طواعيةً لتعاليم الإله العظيم.

الحِكمُ والأسباب وفق تعاليم الشرع الحنيف، مما يوصل للحُكم المستقيم ويدفعُ الريبة والشك.

ولابُدَّ من الاجتهاد في الطَّلب حتى يتحقق المُراد، وتتفتَّح أبواب الخير، فلقد قال رسول الله ﷺ:" مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَهِّمْهُ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ[1]".

كما حثَّ ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما على التَّفقه في الدين، فقال: (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)[2] حُلَمَاءَ، فُقَهَاءَ[3].

والفقه: هو الفهم، وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم كما غلب النجمُ على الثُّرَيَّا [4].

وقال ابن فارس: الفاء والقاف والهاء أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على إدراكِ الشَّيء والعِلْمِ به، تقول: فَقِهْتُ الحديث أَفْقَهُه، وكلُّ عِلْمٍ بشيءٍ فهو فِقْه، يقولون: لا يَفْقَه ولا يَنْقَه.

ولأنَّ الحياة بتقلُّباتها؛ فيها من التَّجديد والحداثة للأمور ما يجعل المرء في حاجة ماسَّة لميزان عدلٍ يحتكم إليه كلما لاحت له شُبهة أو عنَّت له مسألة، ولا يتحصَّل ذلك إلَّا باجتهادٍ في فقه الحياة و تعقُّل، ثم اختُصَّ بذلك علمُ الشّريعة، فقيل لكلِّ عالم بالحلال والحرام: فقيه، وأَفْقَهْتُك الشَّيءَ، إذا بَيَّنْتُه لك[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، ح (67).
(2) سورة آل عمران، آية 79.
(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، ح (67).
(4) لسان العرب، مادة فقه522/13.
(5) مقاييس اللغة، باب الفاء والقاف وما يثلثهما، مادة فقه 492/4.

وبه دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال:" اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ[1]".

وكان من دلائل خير الفقه و أهميته أن شبَّه رسول الله صاحبه بالغيث الكثير النافع، قال ﷺ:

"مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ؛ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ؛ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ[2] وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ[3] أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[4] لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ[5]".

قال ابن بطَّال: وفيه: أنه لا يَقبل ما أنزل الله من الهدى والدين إلا من كان قلبه نقيا من الإشراك والشك.

فالتي قَبِلَت العلم والهُدى كالأرض المتعطشة إليه، فهي تنتفع به فتحيا فتنبت.

فكذلك هذه القلوب البريئة من الشك والشرك، المتعطشة إلى معالم الهدى والدين، إذا وَعَت العلم حَيَتْ به فعملت وأنبتت بما تحيا به أرماق الناس المحتاجين إلى مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه.

---

(1) في الصحيح، البخاري في كتاب الوضوء، بَاب وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ، ح (143) من حديث عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، ح (2477).

(2) الكلأ: النَّبات والعُشْب، وسَواءٌ رَطْبُه ويابِسُه، في النهاية، باب الكاف مع اللام، تحت الكلأ 1224/3.

(3) الأجَادب: صِلاَب الأرض الَّتي تُمْسِك الماء فلا تَشْرَبُه سريعا، وقيل: هي الأرض التي لا نبَات بها، مأخُوذٌ من الجَدْب، وهو القحْط، كأنه جَمْعُ أجْدُب وأجْدُب: جَمْع جَدْب، كذا في النهاية، باب الجيم مع الدال، مادة جدب 180/1.

(4) قِيعان: جمع قاعٍ، والقاعُ: أرضٌ حرَّةٌ لا رَمْلَ فيها ولا يَثْبُتُ فيها الماء لاستوائها، ولا غُدُر فيها تمسك الماء، فهي لا تُنْبِتُ الكلأ ولا تُمْسِك الماء، قاله: ابن الجوزي في غريب الحديث، باب القاف مع الياء274/2.

(5) في الصحيحين، البخاري واللفظ له في كتاب العلم، بَاب فَضْل مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ح (79) من حديث أبي موسى الأشعري، ومسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم ، ح (2282).

ومن الناس من قلوبهم متهيئة لقبول العلم لكنها ليس لها رسوخ، فهي تقبل وتمسك؛ حتى يأتي متعطش فيروىَ منها ويَرِدُ على منهل يحيا به، وتسقى به أرض نقيَّة فتنبت وتثمر، وهذه حال من ينقل العلم ولا يعرفه ولا يفهمه.

ومنها قيعان يعنى: قلوبًا تسمع الكلام، فلا تحفظه، ولا تفهمه، فهي لا تنتفع به، ولا تنبت شيئًا، كالسِّباخ المالحة التي لا تمسك الماء ولا تنبت كلأً[1].

وعليه فقد كانت السيدة عائشة ﵂ توصي بالتَّفَقُّه، أسوة برسول الله ﷺ، ويُعجبها حال أهل الفقه والدِّين.

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[2].

ذلك أنَّ أسماءَ[3]سألت النَّبي ﷺ عن غُسْل المَحِيض، فقال:" تأخذُ إحداكُنَّ مَاءَها وسِدْرَتَها[4] فتَطَهَّرُ، فتُحْسِنُ الطُّهُور، ثُمَّ تَصُبُّ على رأسِها فتَدْلُكُهُ دَلْكًا شديدًا، حتَّى تَبْلُغَ شُؤونَ رَأسها[5]، ثُمَّ تَصُبُّ عليها الماء، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً[6] مُمَسَّكَةً[7] فتَطَهَّرُ بِها"، فقالت أسماء: وكيفَ تَطَهَّرُ بِها؟، فقال:" سُبْحانَ الله!، تَطَهَّرِينَ بِها"، فقالت عائشة: (كأنها تُخْفِي ذلك) تَتَبَّعين أَثَر الدَّمْ، وسأَلَتهُ عن غُسْلِ الجَنَابَة، فقال:

(1) شرح ابن بطال لصحيح البخاري 163/1.

(2) صحيح مسلم، كتابُ الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ح (332)، و صحيح البخاري، كتاب العلم، ضمن ترجمته لباب الحياء في العلم 220/1.

(3) ذُكر في رواية لمسلم أنَّ اسمها أسماء بنت شَكَلٍ، لكنَّ ابن الصَّلاح قال: هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةُ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: خَطِيبَةُ النِّسَاء (أوردها كمثال في مَعْرِفَةُ الْمُبْهَمَاتِ ص375)، وقال ابن حجر: إنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن، سَقط ذكر أبيها، وصُحِّف اسم جدها، ونُسبت إليه، ويؤيده أنه ليس في الأنصار من اسمه شكل (انظر: الإصابة لابن حجر، كتاب النساء، حرف الألف 21/8).

(4) السِّدرة والسِّدر: شجرٌ حَمْله النَّبقْ، وورقة غَسُول، كذا في الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، في السين مع الدال، مادة سدر 168/2.

(5) شؤون الرأس: هي عِظَامُه وطرائِقُه ومَواصِلُ قبائله، كذا في النهاية، باب الشين مع الهمزة، مادة شأن 682/2.

(6) الفِرْصة: هي القِطْعَةُ من الصُّوفِ أو القُطْنِ، يقال: فَرَصْتُ الشَّيْءَ إذا قَطَعْتُهُ بالمِفْرَاصِ، قاله: ابن الجوزي في غريب الحديث، باب الفاء مع الراء186/2.

(7) فِرصة مُمسَّكة: يُريد قطعة مُطيَّبة بالمِسك، انظر: النهاية، باب الميم مع السين، مادة مسك 1318/4.

" تَأخذُ مَاءً فتَطَهَّرُ فتُحْسِنُ الطُّهُور أو تُبْلِغُ الطُّهُور، ثُمَّ تَصُبُّ على رَأسِها فتدلكه حتى تَبْلُغَ شُؤون رأسها، ثم تُفِيضُ عليها الماء[1]".

فقالت عائشة ﵂ مقولتها تلك، مُعجَبةً بجُرأة نساء الأنصار، وحِرصُهنَّ على فَهْم دِينِهن، وعدم محولة الحياء بينهنَّ وبين التَّفقُّه و المعرفة، ولقد قال مُجَاهِدٌ: لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ[2].

وكان هذا حال أم المؤمنين ﵂ ومنهجها في فَهم دينها، كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ[3].

(1) صحيح مسلم، كتابُ الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ح (332).

(2) صحيح البخاري، في كتاب العلم، خلال الترجمة لبَاب الْحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ 220/1.

(3) أورده البخاري في كتاب العلم، بَاب مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، ح (103).

المطلب الثاني

سؤالات عائشة ﵂ في القضايا الفقهية

كانت عائشة ﵂ تحاول دائمًا أن تبني أسس حياتها على هدي الشريعة فكانت تُمارس ما تَعْلَمُ من مبادئ الدين واقعاً تنبض به حياتها، أمَّا ما لم تعلم فقد كانت تسأل وتستفتي، وعندها نبيُّ الأُمّة يجيبُ برحابة وسعة.

ولأن الفقه يدخل في كل تفاصيل الحياة، من عبادات، ومُعاملات، وأخلاق، وفرائض، وجهاد أسهبت أم المؤمنين في استشاراتها الفقهية، فأفادت نفسها ومن حولها ومن جاء بعدها بتلك السؤالات القيِّمة.

سأذكر بعضًا من هذه السؤالات الفقهية المتنوعة، علي سبيل الاستدلال والاستفادة منها كتطبيق عملي نمارسه في حياتنا، فنسعد في الدَّارين ونَغْنَم.

المسألة الأولى: حول التَّشْديد في العِبادة

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ[1]، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:" مَنْ هَذِهِ؟"، قُلْتُ: فُلَانَةُ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ:" مَهْ[2]، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا[3]".

ذَكَرَت عائشة ﵂ عبادة تلك المرأة الأسَديَّة، وصنيعها من الوصل في قيام الليل، ولم تكتفِ بمُجرَّد التَّعريف عن المرأة جواباً للنبي ﷺ، وكأنها أرادت الاستفسار عن حُكم التَّشديد على

---

(1) الأسد: هذه النسبة إلى الأزد، فيبدلون السين من الزاي، وفي الأزد بطن يقال لهم بنو أسد – محرك السين –، وهو أسد بن شريك
– بضم الشين المعجمة – بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم، لهم خطة بالبصرة، يقال لها: خطة بني أسد، انظر: الأنساب للسمعاني 138/1.

(2) قال الليث: مَهْ زجْرٌ ونهى، وقد ذكر قوله أبو منصور الأزهري الهروي في تهذيب اللغة، مادة مه 384/5.

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له أورده في كتاب الجمعة، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّشْدِيدِ فِي الْعِبَادَةِ، ح (1151)، وفي كتاب الإيمان، بَاب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ، ح (43).
أمَّا مُسلم فقد رواه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أَمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، ح (785).

النَّفس في العبادة، وأفضلية ذلك، فكان ردَّ النبي ﷺ جواباً على تساؤلها، بأنَّ على المرء ما يُطيق من الأعمال، فالله عزَّ وجل لا يمَل من عباده حتى يملُّوا.

وقد ورد هذا الحديث في الحَثِّ على الاقتصاد في العبادة كما أشار الخَطَّابي[1]، واجتناب التَّعمُّق، و أن يأخذ [المرء] منها ما يُطيق الدوام عليه، وأَمْرُ من كان في صلاة فتركها ولحقه ملل ونحوه بأن يتركها حتى يزول ذلك كما قال النووي[2].

و قَوْله ﷺ:" عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنْ الْأَعْمَال"، قال ابن حجر في شرحه: أَيْ: اِشْتَغِلُوا مِنْ الْأَعْمَال بِمَا تَسْتَطِيعُونَ الْمُدَاوَمَة عَلَيْهِ، فَمَنْطُوقه يَقْتَضِي الْأَمْر بِالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يُطَاق مِنْ الْعِبَادَة، وَمَفْهُومه يَقْتَضِي النَّهْي عَنْ تَكَلُّف مَا لَا يُطَاق[3]، و هُوَ عَامّ فِي الصَّلَاة وَفِي غَيْرهَا[4].

وقال ابن بطَّال: إنَّما يُكْره التشديد في العبادة خَشية الفُتور وخوف الملل، فكره ﷺ الإفراط في العبادة[5].

وقد أشكل على البعض فهم المُراد من قوله ﷺ:" فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا"، واختلفوا في تأوليها، فأوَّلَ ابن قُتيبة الدَّينوري هذا الاختلاف بقوله: قالوا: رويتم أن رسول الله ﷺ قال: " إنَّ الله تعالى لا يمل حتى تملوا" فجعلتم الله تعالى يَمَل إذا مَلُّوا، والله تعالى لا يَمَلّ على كل حال ولا يَكَلْ.

ونحن نقول: إنَّ التَّأويل لو كان على ما ذهبوا إليه؛ كان عظيمًا من الخطأ فاحشًا، ولكنَّه أراد: فإنَّ الله سبحانه لا يَمَل إذا مللتم، ومثال هذا: قولك في الكلام: هذا الفَرَس لا يَفتُر حتى تفتُر الخيل، لا تُريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضلٌ عليها، لأنه يفْتر معها، فأيَّة فضيلةٍ له؟، وإنما تريد: أنه لا يفْتُر إذا أُفترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمِكثار الغزير: فلانٌ لا ينقطع حتى تنقطع خصومه، تُريد: أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فَضل على غيره، ولا وجبت له به مِدْحَة[6].

---

(1) غريب الحديث للخطابي 199/1.

(2) المنهاج للنووي، خلال شرحه لكتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره 70/6.

(3) الفتح لابن حجر، في شرحه لكتاب الإيمان، باب أحب الأعمال إلى الله أدومه 68/1.

(4) المصدر السابق ، في شرح لكتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة 142/4.

(5) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الْعِبَادَةِ 145/3.

(6) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدَّينوري ص 487.

أمَّا ابن الجوزي فقد فصَّل في المسألة، وزاد في بيان معنى الملل، فقال: الملل للشيء: الاستثقال له، والكراهية ونفور النفس عنه، وذلك لا يجوز في صفات الله عز وجل، لأنه لو جاز لدخلت عليه الحوادث.

واختلفوا في معنى الكلام على أربعة أقوال، أحدها: أن المعنى لا يمل أبدًا مللتم أو لم تملوا [نفس المعنى الذي قال به ابن قتيبة]، والثاني: لا يَمَلُّ من الثواب ما لم تملوا من العمل، ومعنى يمل: يترك لأن من مل شيئا تركه، حكاهما أبو سليمان، والثالث: أن المعنى لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسُمِّي فعله مللًا وليس بملل، ولكن لتزدوج اللفظة بأختها في اللفظ، وإن خالفتها في المعنى، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[1]، والرابع: أنَّ المعنى لا يطرحكم حتى تتركوا العمل له وتزهدوا في الرغبة إليه، فلمَّا كان الإطراح لا يكاد يقع إلا عن ملل، وكان المجازى عليه هو الملل، حَسُن أن يُسمَّى باسمه[2].

المسألة الثانية: عن التَّلفُّت في الصلاة

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْتِفَاتِ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ:" هُوَ اخْتِلَاسٌ[3] يَخْتَلِسُه الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ[4]".

قال أبو الفرج ابن الجوزي في تفسير معناه: و المعنى أنه أزعجه إلى الالتفات بحادثٍ، فاسْتَلَبَ من خشوعه وأدبه ذلك المقدار [5].

أما البدر العيني فقد أتمَّ شرح المراد من الحديث، قال: والمعنى أن المصلي إذا التفت يمينا أو شمالا يظفر به الشيطان في ذلك الوقت، ويشغله عن العبادة، فربما يسهو أو يغلط لعدم

(1) سورة البقرة، آية 194.

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، في كشفه للمشكل من مسند أم المؤمنين عائشة ﵂ 1175/1.

(3) الاختلاس: هو من خَلَسْت الشيء واخْتَلَسْتُه إذا سَلَبْتُه، وما يؤخذ سَلْبا ومُكابَرة، قاله ابن الأثير في النهاية، باب الخاء مع اللام، مادة خلس 400/1.

(4) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح (3291)، وكتاب الصلاة، باب الالتفات في الصلاة، ح (751).

(5) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي ، في كشفه للمشكل من مسند أم المؤمنين عائشة ﵂ ص1247.

حضور قلبه باشتغاله بغير المقصود، ولمَّا كان هذا الفعل غير مرضي عنه نُسب إلى الشيطان، وعن هذا قالت العلماء: بكراهة الالتفات في الصلاة[1].

وقال المُهلَّب: هو حضٌ على إحضار المصلي ذهنه ونيته لمناجاة ربه، ولا يشتغل بأمر دنياه، وذلك أن العبد لا يستطيع أن يخلص صلاته من الفكر في أمور دنياه؛ لأن الرسول ﷺ قد أخبر أن الشيطان يأتي إليه في صلاته، فيقول له: اذكر كذا اذكر كذا؛ لأنه موكل به في ذلك[2].

أمَّا ابن رجب الحنبلي فقد نوَّه إلى أنَّ الالتفات نوعان: أحدهما: التفات القلب إلى غير الصلاة ومُتعلقاتها، وهذا يخل بالخشوع فيها، والثاني: التفاتُ الوجه بالنظر إلى غير ما فيه مصلحة الصلاة.

أما الالتفات لمصلحة الصلاة، كالتفات أبي بكر لمَّا صفَّق الناسُ خلفه وأكثروا التصفيق فلا ينقص الصلاة [3].

المسألة الثالثة: نوم النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الوتر

حدَّثت عائشة ﵂ عن صفة صلاة النبي صلى الله عليه في رمضان، وطولها وحُسنها، وقد سُئلت عنها، ولم تنْسَ أن تذكُر سؤالها لرسول الله ﷺ عن نومه قبل أن يُصلِّي الوتر، فأخبرها عليه الصلاة و السلام أن قلبه لا ينقطع عن ذكر الله، إنما هي عينه التي تغفو وتنام.

قَالَتْ عائشة ﵂:" مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟، قَالَ:" تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي[4]".

(1) عمدة القاري للعيني، كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة 105/9.

(2) أورد ابن بطال قول المهلب ذاك في شرحه لصحيح البخاري، في بَاب الالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ 365/2.

(3) فتح الباري لابن رجب الحنبلي، كتاب الصلاة، باب الالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ 448/6.

(4) صحيح البخاري واللفظ له، في كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، ح (3569)، وكتاب صلاة التراويح وفضل ليلة القدر، باب فضل من قام رمضان، ح (2013)، وكتاب التهجد، باب قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، ح (1147).
وصحيح مسلم بنحوه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، ح (738).

تعجَّبت السيدة عائشة ﵄ من نوم رسول الله ﷺ إثْر صلاة العشاء، قبل أن يوتر، وهي تعلمُ حرص النبي ﷺ على أن يؤدِّيها، وعلمها فضل صلاة الوتر.

قال الباجي: وَقَوْلُهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ بِإِثْرِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ قَبْلَ أَنْ يُوتِرَ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ لِصَلَاتِهِ وَوِتْرِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: كَيْفَ تَفْعَلُ ذَلِكَ وَرُبَّمَا ذَهَبَ بِك النَّوْمُ عَنْ وِتْرِك؟، وَيَحْتَمِلُ: أَنْ تَكُونَ أَرَادَتْ أَنَّهُ صَلَّى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَامَ قَبْلَ أَنْ يُوتِرَ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةَ "إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي"، يَعْنِي وَاَللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّهُ لَا يَنَامُ عَنْ مُرَاعَاةِ الْوَقْتِ، وَهَذَا مِمَّا خُصَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالْعِصْمَةِ، وَلِذَلِكَ كَانَ ﷺ لَا يَحْتَاجُ إلَى الْوُضُوءِ مِنْ النَّوْمِ لِعِلْمِهِ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ[1].

أمَّا أبو سليمان الخطابي؛ فاستنتج أنَّ النوم عينه ليس بحدث، قال أبو سليمان: وفي ذلك دليل على أن النوم عينه ليس بحدث، إذ لا فرق بين رسول الله وبين أمته في الأحداث، وإنَّما النَّوم مظنة للحدث؛ لأن النائم قد يوجد في الأغلب منه الحدث فحُمل على حكم الأحداث[2].

المسألة الرابعة: حكم مناولة الحائض مَنْ في المسجد

عن عائشة ﵂ قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم:" نَاوِلِيني الخُمْرَةَ[3] مِن المَسْجِد، قالت: فقُلتُ: إنِّي حَائِض، فقال:" إنَّ حَيْضَتَكِ ليستْ في يَدِك[4]".

كانت عائشة ﵂ تعلمُ أنَّ الحيض من نواقض الطهارة، فلمَّا أمرها رسول الله ﷺ أن تُناوله الخُمرة وهو في المسجد؛ ذكَّرته مُستفسرةً بأنها حائض، فأجابها ﷺ أنّ الحيض من سنن الكون التي كتبها الله عز وجل على بنات آدم، وهي ليست في يدها أن ترْفعها أو تمنعها فلا تتحكَّم بذلك، وهذا من الرحمة بالنساء، إذ جُعل الحُكم بالتخفيف فيما لا تستطيع الواحدة منعه.

(1) المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد الباجي، في شرحه لصلاة النبي ﷺ في الوتر، من كتاب النداء للصلاة، 216/1.

(2) غريب الحديث للخطابي 178/1.

(3) الخُمرة: السجادة التي يسجد عليها المصلي، ويقال: سُمِّيت خُمرة لأنها تخمر وجه المصلي عن الأرض أي تستره، قاله الخطَّابي في معالم السنن 82/1.

(4) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، ح (298).

وقد استفاد العلماء من هذا الحديث وغيره مما يشهد له عدة فوائد وأحكام، منها ما استدلَّه ابن رجب الحنبلي في الفتح: على أن الحائض لها أن تمر في المسجد لحاجة إذا أمنت تلويثه[1].

أمَّا ابن بطال فقال في قوله ﷺ:" إنَّ حَيْضَتَكِ ليستْ في يَدِكِ": بَانَ أنَّ كُل موضِع لا يكون موضعًا للحيض لا يتعلق به حكم الحيض[2] .

المسألة الخامسة: حُكم طواف الوداع للحائض

ذَكرتْ عائشة ﵂ أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَاضَتْ بَعْدَمَا أَفَاضَتْ[3]، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَذَكَرْتُ حَيْضَتَها لِرَسُول الله صلى الله عليه و سلم، فقَالَ رسولُ الله صلى الله عليه و سلم:" أَحَابِسَتُنَا هِيَ؟"، قَالَتْ: فقُلتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّهَا قَدْ كَانَتْ أَفَاضَتْ وطَافَتْ بالبَيْتِ ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الإفَاضَة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" فلْتَنْفِرْ [4]".

لمَّا حاضت أم المؤمنين صفيَّة ﵂ بعدما طافت طواف الإفاضة، سألت أم المؤمنين عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن الحُكم الواقع على السيدة صفية ﵂، فأفتاها النبي ﷺ أنَّ عليها النَّفير.

وفي الحديث من الفقه أن طواف الإفاضة يغنى عن طواف الوداع، لأنه غير واجب، وأنَّ على الإنسان في حجه كله طوافًا واحدًا، وهو طواف الإفاضة[5].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي، في شرحه لباب في كتاب الحيض 152/2.

(2) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، خلال شرحه لكتاب الحيض، باب مُبَاشَرَةِ الْحَائِضِ 418/1.

(3) الإفاضة في الأصل: الصبّ، فاستعيرت للدفع في السير، كذا في الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، باب الفاء مع الياء ص356.

(4) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، وقد أخرجه في كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ح (1211).

والبخاري أورده بمثله في كتاب الحج، بَاب تَقْصِيرِ الْمُتَمَتِّعِ بَعْدَ الْعُمْرَةِ، ح (1733)، و في باب إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ بَعْدَ مَا أَفَاضَتْ، ح (1757) و في باب حجة الوداع ح (4401) من نفس الكتاب.

(5) قاله: النووي في شرحه لصحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الاحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع 139/8.

واستدلَّ الإمام مالك به على أنَّه لا شيء على من ترك طواف الوداع حتى يرجع إلى بلاده لسقوطه عن الحائض(1).

أمَّا العيني فاستدلَّ به على أنَّ الحائض لا تطوف بالبيت(2)، والخطَّابي زاد على أنَّه دليل أن الحائض لا تدخل المسجد ولا يصح منها الطواف(3).

وقد استنبط ابن المُنيِّر من هذا الحديث فائدة جميلة: أنَّ النبي ﷺ لمَّا رتَّب على مجرد قول صفية إنها حائض، تأخيره السفر، أُخِذ منه: تعدي الحكم إلى الزوج ، فتُصَدَّق المرأة في الحيض والحمل باعتبار رجعة الزوج وسقوطها وإلحاق الحمل به(4).

المسألة السادسة: نقْضُ الكعبة وبناؤها

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: " أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوْا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟، قَالَ: " لَوْلَا حِدْثَانُ(5) قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ".

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ(6) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ ﵂ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ مَا أُرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ اسْتِلَامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحِجْرَ إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ(7).

---

(1) قاله: ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري، باب إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ مَا أَفَاضَتْ 426/4.

(2) عمدة القاري للعيني، كتاب الحج، باب المرأة تحيض بعد الإفاضة 313/3.

(3) معالم السنن للخطابي، في باب الحائض تخرج بعد الإفاضة 215/2.

(4) المتواري على أبواب البخاري لابن المُنيِّر، باب قوله عز وجل: (ولا يَحِلُّ لهُن أنْ يَكْتمْنَ ما خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِن) من الحيض وهي الآية 228 من سورة البقرة، من كتاب الطلاق، ص 299.

(5) حِدثان: هو مَصْدَر حَدَث يَحْدُثُ حُدوثاً وحِدْثاناً، والحديث: ضدُّ القديم ، كذا في النهاية، في باب الحاء مع الدال، مادة حدث263/1.

(6) هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(7) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الحج، بَاب فضل مكة وبنيانها، ح (1583)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، في بابٍ [ولم يُسمِّه]، ح (3368)، وكذلك في كتاب التفسير، بَاب (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الآية 127من سورة البقرة، ح (4484).

أمَّا مسلم فقد أخرجه في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ح (1333).

كان النبي ﷺ يتحدَّث مع زوجه عائشة ﵂، ويتدارسون شئون دنياهم، فسألها إن كانت قد لاحظت أنَّ قومها قريش قد قصروا بناء الكعبة عمَّا كانت عليه زمن إبراهيم ﵇.

فاستفسرت منه لِمَ لا يرُدّها على ما كانت عليه زمن إبراهيم ﵇، فأجابها ﷺ انَّ قومها حديثو عهد بكفر.

قال ابن الأثير: و المراد من جواب رسول الله ﷺ: قُرْب عهدِهِم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام، وأنه لم يَتَمكَّن الدِّين في قلوبهم، فلو هَدَمْتُ الكعبة وغَيَّرْتُها ربَّما نَفَروا من ذلك[1].

وقد استنبط الفقهاء من الحديث أحكام فقهية جليلة، منها: ما قاله ابن بطال: وفي هذا من الفقه أنه يجب اجتناب ما يُسْرِعُ الناس إلى إنكاره وإن كان صوابًا[2].

وقال العيني: فيه أن النفوس تحب أن تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض[3].

فيما استنبط النووي من الحديث: أنَّه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدأ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن رد الكعبة إلى قواعد إبراهيم ﵇ مصلحة، ولكن يعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا لما كانوا يرون تغييرها عظيمًا، فتركها النبي ﷺ.

وقال: فيه فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا، إلا الأمور الشرعية، كأخذ الزكاة وإقامة الحد.

وفيه: تأليف قلوبهم وحسن حياطتهم، وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي[4].

---

(1) النهاية، في باب الحاء مع الدال، مادة حدث263/1.

(2) شرح ابن بطال للبخاري، في شرحه لباب فضل مكة وبنيانها من كتاب الحج 264/4.

(3) عمدة القاري، في شرحه لباب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الإِخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْض النَّاسِ عَنْهُ فَيقعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ، من كتاب العلم 202/2.

(4) المنهاج، في شرحه لباب نقض الكعبة وبنائها من كتاب الحج 89/9.

أمَّا ابن عبد البر فقال: فيه وجوب معرفة بناء قريش للكعبة وأن بنيانهم لها لم يتم على قواعد إبراهيم، وفيه أيضًا: حديث الرجل مع أهله في باب العلم وغيره من أيام الناس، وغير ذلك من معاني الفقه(1).

المسألة السابعة: في المُكاتبة والشروط

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ(2) تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا(3)، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الْوَلَاءُ(4) لِي، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَّرْتُهُ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا(5)، فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ".

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:" مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ؛ وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ"(6).

---

(1) الاستذكار، باب ما جاء في بناء الكعبة 185/4.

(2) هي: بَرِيرة بنت صفوان، مولاة عائشة بنت أبى بكر الصديق، رضى الله عنهم، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة ﵂، كذا في الاستيعاب لابن عبد البر، باب الباء 1796/4.

(3) قال ابن الأثير: الكِتابة: أن يُكاتب الرَّجُلُ عَبْدَه على مال يؤدِّيه إليه مُنَجَّماً، فإذا أدّاه صار حُرّاً، وسُمِّيت كِتابة لِمَصْدر كَتَبَ، كأنه يَكْتُب على نَفْسِه لِمَوْلاه ثمَنه، ويَكْتب مَوْلاَه له عليه العِتْق، وقد كاتَبه مُكاتَبة، والعَبْد مكاتَب وإنما خُصَّ العَبْد بالمفعول لأن أصْلَ المُكاتبة من المَولى وهو الذي يُكاتِب عَبْدَه (النهاية، باب الكاف مع التاء، مادة كتب1190/3) .

(4) الولاء: من ولي، قال ابن فارس: الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب، ومن الباب المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَق، والصَّاحب، والحليف، وابن العَمّ، والنَّاصر، والجار؛ كلُّ هؤلاءِ من الوَلْيِ وهو القُرْب. وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّه، والولاء: ولاءُ المُعْتَق، وهو أن يكون ولاؤه لمُعْتِقِه، كأنَّه يكون أولى به في الإرْثِ من غيره إذا لم يكن للمُعْتَقِ وارثُ نَسَب (مقاييس اللغة، مادة ولي 141/6).

(5) العتق: تقول العرب للشيء إذا بلغ الغاية قد عتق، فإعتاق النَّسَمة: [أي النَّفس] إنما هو إطلاقها من الملك وتخليصها من الرق، انظر: غريب الحديث للخطَّابي 706/1 بتصرُّف.

(6) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ للبخاري الذي أورده في عدة مواضع: في كتاب الشروط؛ بَاب الْمُكَاتَبِ وَمَا لَا يَحِلُّ مِنْ الشُّرُوطِ الَّتِي تُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ؛ ح (2735)، وبَاب مَا يَجُوزُ مِنْ شُرُوطِ الْمُكَاتَبِ إِذَا رَضِيَ بِالْبَيْعِ عَلَى أَنْ يُعْتَقَ؛ ح (2726)، وبَاب الشُّرُوطِ فِي الْبُيُوعِ؛ ح (2717)، وباب الشروط في الولاء؛ ح (2729)، الكُلُّ من نفس الكتاب.

وكذلك في كتاب الصلاة، باب ذكر الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْمَسْجِدِ، ح (456)، وكتاب الزكاة؛ بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى مَوَالِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ ح (1492)، وكذا في كتاب البيوع؛ بَاب الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ مَعَ النِّسَاءِ؛ ح (2155) و ح (2156)، وبَاب إِذَا اشْتَرَطَ شُرُوطًا فِي الْبَيْعِ لَا تَحِلُّ؛ ح (2168) و ح (2169).

جاءت بريرة للسيدة عائشة رضي الله عنهما تستعينُها في تحريرها، على أواقٍ كتبتها على أنفسها عند مواليها، فاستجابت السيدة عائشة ﵂ لطلبها، وخيَّرتها أن تؤدي ما عليها شرط أن يكون ولاء بريرة لعائشة ﵂، إلَّا أن موالي بريرة أرادوا أن يُبقوا بريرة مولاة لهم، رغم تأديتها ما عليها، وفيه ما فيه من الجَور والإهدار لحق بريرة وعائشة إذ ستُعينها، مما حدى بأم المؤمنين لأن تستفتي رسول الله ﷺ وتستشيره في الحُكم.

وقد أفتى لها ﷺ بأن تبتاعها وتُعتقها، والولاء لمن أعتق رغم أي شروط باطلة وإن كثُرت.

قال الخطَّابي: وقوله:" ما بالُ أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله"، يريد أنها ليست من حُكم كتاب الله تعالى، وعلى موجب قضاياه، ولم يُرِد أنها ليست في كتاب الله مذكوراً، ولكن الكتاب قد أمر بطاعة الرسول ﷺ، واعلم أن سُنَّته بيان له ، وقد جعل الرسول ﷺ الولاء لمن أعتق، فكان ذلك مُنصَرفاً إلى الكتاب ومضافاً إليه على هذا المعنى[1].

وقال الشافعيُّ: فَكَانَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَرِيرَةَ فِي إبْطَالِ شَرْطِ مَالِكِيهَا الَّذِينَ بَاعُوهَا عَلَى عَائِشَةَ؛ عَلَى أَنَّ الْوَلاَءَ لَهُمْ، وَإِثْبَاتُهُ لِبَرِيرَةَ الْعِتْقُ[2]. وقال: أَبْطَلَ رَسُولُ

وأورده في كتاب النكاح؛ بَاب الْحُرَّةِ تَحْتَ الْعَبْدِ؛ ح (5097)، وكتاب الطلاق؛ باب لَا يَكُونُ بَيْعُ الْأَمَةِ طَلَاقًا؛ ح (5279)، وباب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ ؛ ح (5284).

وفي كتاب العتق؛ بَاب بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهِبَتِهِ، ح (2536)، وبَاب الْمُكَاتِبِ وَنُجُومِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَجْمٌ، وَقَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ) من سورة النور؛ الآية 33؛ ح (2560)، ومَا يَجُوزُ مِنْ شُرُوطِ الْمُكَاتَبِ وَمَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ ح (2561) و ح (2562) و ح (2373)، و في بَاب اسْتِعَانَةِ الْمُكَاتَبِ وَسُؤَالِهِ النَّاسَ؛ ح (2563)، وكذلك في بَاب بَيْعِ الْمُكَاتَبِ إِذَا رَضِيَ؛ ح (2564)، وبَاب إِذَا قَالَ الْمُكَاتَبُ اشْتَرِنِي وَأَعْتِقْنِي فَاشْتَرَاهُ لِذَلِكَ؛ ح (2565) من نفس الكتاب.

وفي كتاب الهبة؛ بَاب قَبُولِ الْهَدِيَّةِ؛ ح (2578)، وكتاب الأطعمة؛ باب الأُدْم؛ ح (5430)، وكذلك في كتاب كفارات الأيمان؛ بَاب إِذَا أَعْتَقَ فِي الْكَفَّارَةِ لِمَنْ يَكُونُ وَلَاؤُهُ؛ ح (6717).

وكتاب الفرائض؛ بَاب الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ وَمِيرَاثُ اللَّقِيطِ؛ ح (6751)، وباب ميراث السَّائبة؛ ح (6754)، وباب إذا أسلم على يديه؛ ح (6757) و ح (6758)، وبَاب مَا يَرِثُ النِّسَاءُ مِنْ الْوَلَاءِ؛ ح (6759) كلها من نفس الكتاب.

أمَّا مسلم فقد أخرجه في كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق، ح (1504).

(1) معالم السنن للخطابي، في شرحه لباب بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبة، 66/4.

(2) الأم للشافعي 79/5.

اللَّهِ ﷺ كُلَّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِذَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خِلَافُهُ[1].

وتُعتبر قصة بريرة مع العتق، وسؤال عائشة ﵂ للنبي ﷺ، من أزخر الحوادث فائدةً وفقهاً، فقد استنبط العلماء من الروايات المتعددة لقصة بريرة الكثير من الأحكام الفقهية، والدَّلالات الشرعية.

قال البدر العيني: فيه دليل على جواز الكِتابة، و جواز تزويج الأَمَة المُزَوَّجة، وفيه ثبوت الولاء للمعتِق عن نَفْس، وأنَّه يستحب للإمام عند وقوع بدعة أن يخطب الناس، ويبين لهم حكم ذلك وينكر عليها، و فيه أنه يستحب للإمام أن يحسن العشرة مع رعيته، أَلاَ ترى أنَّه لما خطب لم يواجه صاحب الشرط بعينه، لأن المقصود يحصل له ولغيره بدون فضيحة وشناعة عليه .

كما فيه المبالغة في إزالة المنكر والتغليظ في تقبيحه، و جواز كتابة الأَمَة دون زوجها، و أنَّ زوج الأَمَة ليس له منعها من السَّعي في كتابتها، وفيه دليلٌ على أن العبد زوج الأمة له منعها من الكتابة التي تؤول إلى عتقها وفراقها له، كما أنَّ لِسيد الأمة عِتق أمته تحت العبد، وإن أدَّى ذلك إلى إبطال نكاحه، وكذلك له أن يبيعها من زوجها الحر وإن كان في ذلك بطلان عَقده .

وفيه دليلٌ على أن بَيع الأَمَة ذات الزوج ليس بطلاق لها، وفيه أيضاً دليل على جواز أخذ السيد نجوم المكاتب من مسألة الناس، و دليلٌ على جواز نكاح العبد الحرة.

وقالوا: فيه ما يدل على ثبوت الولاء في سائر وجوه العتق : كالكتابة والتعليق بالصيغة وغير ذلك، وفيه دليل على قبول خبر العبد والأمة [2].

كما استنبط الخطَّابي بعض الدُّرر الفقهية، منها: أنَّ بَيْع المُكاتِب سائغٌ لأنَّه عَبْد، وأنَّ في الحديث حصرٌ للولاء فيمن حصل منه العتق، ولو كان امرأة، والنِّساء لا يرثن بعصوبة النفس إلا في باب الولاء فقط[3].

---

(1) الأم،188/6.

(2) عمدة القاري، للبدر العيني، في شرحه لباب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد 227/4.

(3) معالم السنن للخطابي، في شرحه لباب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة 64/4.

أمَّا النووي فقد قال: فِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل عَلَى أَنَّهُ لَا وَلَاء لِمَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا لِمُلْتَقِطِ اللَّقِيط وَلَا لِمَنْ حَالَفَ إِنْسَانًا عَلَى الْمُنَاصَرَة، وأَنَّ الْمُكَاتَب لَا يَصِير حُرًّا بِنَفْسِ الْكِتَابَة بَلْ هُوَ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَم، وأَنَّ الْكِتَابَة تَكُون عَلَى نُجُوم، وفيه تَصْحِيح الشُّرُوط الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا أُصُول الشَّرْع وَإِبْطَال مَا سِوَاهَا، وجَوَاز تَصَرُّف الْمَرْأَة فِي مَالهَا بِالشِّرَاءِ وَالْإِعْتَاق وَغَيْره إِذَا كَانَتْ رَشِيدَة إِعَانَة الْمُكَاتَب فِي كِتَابَته، و جَوَاز اِكْتِسَاب الْمُكَاتَب بِالسُّؤَالِ، وجَوَاز خِدْمَة الْعَتِيق لِمُعْتِقِهِ بِرِضَاهُ[1].

المسألة الثامنة: الصَّدَقة وقد تحوَّلت إلى هديَّة

قالت عائشةُ ﵂: كانت فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ قَضِيَّاتٍ[2]، كانَ النَّاسُ يَتَصدَّقُون عليها وتُهْدي لنا، فذَكَرْتُ ذلك للنبيِّ صلى الله عليه و سلم، فقال:" هُو عليها صَدَقَة، ولكم هَدِيَّة، فكُلُوه[3]".

لقد كان النَّاس يتصدَّقون على بريرة مولاة السيدة عائشة ﵂، فكانت تخُصُّ بيت النبي ﷺ ببعض ما يُتصدَّق به عليها من لحمٍ وغيره، وقد كان النبي ﷺ يقبلُ الهدية، أمَّا الصَّدقة فلا، فسألته السيدة عائشة ﵂ عن حُكم هذه الهدايا وأصلها قد كان من الصَّدقات، فأخبرها ﷺ أنَها قد تَحوَّلت من صدقةٍ لهدية، فلتطِب نفسها.

قال النووي: أمَّا قَوْله: (كَانَ فِي بَرِيرَةَ ثَلَاثُ قَضِيَّاتٍ): فَذَكَرَ مِنْهَا قَوْله ﷺ :" هُوَ عَلَيْهَا صَدَقَة وَلَكُمْ هَدِيَّة" ، وَلَمْ يَذْكُر هُنَا الثَّانِيَة وَالثَّالِثَة، وَهُمَا: الْوَلَاء لِمَنْ أَعْتَقَ، وَتَخْيِيرُهَا فِي فَسْخ النِّكَاح حِينَ أُعْتِقَتْ تَحْتَ عَبْد[4].

---

(1) المنهاج للنووي، في شرحه لباب إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ 274/5.

(2) تفسرها الروايات الأخرى في الصحيح: (كانَ في بَرِيرَةَ ثَلاثُ سُنَنٍ عُتِقَتْ فخُيِّرَتْ، وقال رسولُ الله ﷺ: "الوَلَاءُ لِمَنْ أعْتَقَ") (في البخاري في كتاب النكاح؛ باب الحرة تحت العبد؛ ح (5097)، وكتاب الطلاق؛ باب لا يكون بيع الأمة طلاقً؛ ح (5279)، وكتاب الأطعمة؛ باب الأُدم؛ ح (5430)، وعند مسلم في كتاب العتق؛ باب إنما الولاء لمن أعتق؛ ح (1504) قال العيني: أي ثلاث طرق أحكاما شرعية (العمدة، باب الحرة تحت العبد 90/20).

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم الذي أورده في كتاب الزكاة؛ باب إباحة الهدية للنبي صلى الله عليه و سلم ولبني هاشم وبني المطلب، وإنْ كان المُهدي مَلَكَها بطريق الصدقة، وبيان أنَّ الصدقة إذا قبضها المتصَدَّق عليه زال عنها وصف الصدقة وحَلَّت لكل أحدٍ ممن كانت الصدقة محرمة عليه؛ ح (1075)، وفي كتاب العتق؛ باب إنما الولاء لمن أعتق؛ ح (1504).

أمَّا البخاري فقد رواه بنحوه في كتاب الزكاة؛ بَابُ إِذَا تَحَوَّلَتْ الصَّدَقَةُ؛ ح (1495)، وكتاب النكاح؛ بَاب الْحُرَّةِ تَحْتَ الْعَبْدِ؛ ح (5097)، وكتاب الطلاق؛ بَاب لَا يَكُونُ بَيْعُ الْأَمَةِ طَلَاقًا؛ ح (5279).

(4) المنهاج، في شرحه لباب إباحة الهدية للنبي ﷺ 40/4.

أمَّا في قوله ﷺ: "هو عليها صدقة"، فقال العيني: ليفيد الحصر، أي: عليها صدقة لا علينا، وحاصله أنها إذا قبضها المتصدق زال عنها وصف الصدقة وحكمها ، فيجوز للغني شراها للفقير ، وللهاشمي أكله منها[1].

وفي تفسير تحويل الصَّدقة لهدية، قال ابن عبد البر: لمَّا كانت الصدقة يجوز فيها التَّصرف للفقير، للبيع والهبة والهدية والعوض وغير العوض بصحة ملكه لها، وأهْدَتها بريرة إلى بيت مَولاتها عائشة، حَلَّت لها وللنبي ﷺ، لأنَّه قُصد بالهدية إليه، وتَحَوَّلت عن معنى الصدقة بمُلْك المتصدَّق عليه بها إلى معنى الهدية الحلال للنبي ﷺ[2].

المسألة التاسعة: أي جار أَوْلى بالإهداء؟

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ:" إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا[3]".

سألت عائشة ﵂ النبي ﷺ عمَّن تبدأ به من جيرانها في الهدية، فأخبرها أنه من قَرُب بابه أولى بها من غيره، فدَلَّ بهذا أنه أولى بجميع حقوق الجوار وكرم العشرة والبر ممن هو أبعد منه بابًا، وبه استدلَّ ابن بطَّال على أنه لا حجة في هذا الحديث لمن أوجب الشُّفْعة بالجوار[4].

وممن قال بذلك بدر الدين العيني، قال: الجار الذي يستحق الشُّفعة هو الجار الملاصق، وهو الذي داره على ظهر الدار المشفوعة.

أمَّا ابن المُنذر فقد قال: وهذا الحديث دالٌ على أن اسم الجار يقع على غير الملاصق، لأنه قد يكون له جار ملاصق وبابه من سِكَّة غير سِكَّتِه، وله جار بينه وبين بابه قدر ذراعين وليس بمُلاصق، وهو أدناهما بابا[5].

---

(1) عمدة القاري للعيني، في شرحه لباب إذا تحولت الصدقة 92/9.
(2) الاستذكار لابن عبد البر، باب ما جاء في الخيار 70/6.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة، بَاب أَيُّ الْجِوَارِ أَقْرَبُ، ح (2259)، وفي كتاب الهبة، بَاب بِمَنْ يُبْدَأُ بِالْهَدِيَّةِ، ح (2595)، و في كتاب البر والصلة، بَاب حَقِّ الْجِوَارِ فِي قُرْبِ الْأَبْوَابِ، ح (6020).
(4) شرح ابن بطال للبخاري، خلال شرحه لكتاب الشفعة، بَاب أي الْجِوَارِ أَقْرَبُ 382/6.
(5) أورد العيني قول ابن المنذر في العمدة، في شرحه لباب أي الجوار أقرب، من كتاب الشفعة 76/12=

قال ابن بطَّال: وفى حديث عائشة أن أقرب الجيران أولى بالصلة والبر والرعاية، وأن صلة الأقرب منهم أفضل من صلة الأبعد، إذ لا يقدر على عموم جميعهم بالهدية، وقد أكد الله تعالى ذلك فى كتابه، فقال: (والجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ)[1] ، فدلَّ هذا على تفضيل الأقرب.

وقال المُهلَّب: إنما أمر بالهدية إلى من قرب بابه لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها، فإذا رأى ذلك أحب أن يشارك فيه، وأنه أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه من حاجة إليه في أوقات الغفلة والغرة، فلذلك بدأ به على من بعد باب داره وإن كانت داره أقرب[2].

ومن الفوائد المستنبطة من الحديث: افتقاد الجيران بإرسال شيء إليهم، ولا سيما إذا كانوا فقراء وفيهم أغنياء كما قال العيني[3]، أمَّا ابن حجر فجاء بفائدة لطيفة، وهي: أنَّ الأخذ في العمل بما هو أعلى أولى، وفيه تقديم العلم على العمل[4].

المسألة العاشرة: عن كفارة الإناء المكسور

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ صَانِعَةَ طَعَامٍ مِثْلَ صَفِيَّةَ، أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَاءً فِيهِ طَعَامٌ، فَمَا مَلَكْتُ نَفْسِي أَنْ كَسَرْتُهُ، فسَأَلْتُ النبيّ ﷺ عن كَفَّارَته؟، فَقَالَ:" إِنَاءٌ كَإِنَاءٍ وَطَعَامٌ كَطَعَامٍ[5]".

= وابن المنذر هو: أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ولد في الزمن الذي توفي فيه أحمد بن حنبل، له مؤلفات عدة: كالمبسوط في الفقه، وكتاب الإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع وغيرهن، توفي في سنة ثماني عشرة وثلاث مئة. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي 6/3، وسير اعلام النبلاء للذهبي 301/11).

(1) سورة النساء، الآية 36.

(2) أورد العيني قول المهلب في العمدة، في شرحه لباب أي الجوار أقرب، من كتاب الشفعة 76/12.

(3) المصدر السابق.

(4) فتح الباري، خلال شرحه لكتاب الشفعة، باب حق الجوار في قرب الأبواب 163/17.

(5) أخرجه النَّسائي في سننه الصغرى، واللفظ له وبإسناده قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ابن مهدي) عَنْ سُفْيَانَ عَنْ فُلَيْتٍ عَنْ جَسْرَةَ بِنْتِ دَجَاجَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (عشرة النساء، باب الغيرة، ح (3957)، وعن عبد الرحمن بن مهدي أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده به بمثله (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (25898).
ورواة الحديث ثقات إلاَّ فليت و جسرة بنت دجاجة فهما صدوقان.
أمَّا جسرة فقد قال الدارقطني عنها: يُعتبر بحديثها إلاَّ أن يُحدِّث عنها من يُترك [وفُليت ليس ممن يُترك حديثهم] (سؤالات البرقاني للدارقطني ص 20)، وقال البخاري: عند جسرة عجائب (التاريخ الكبير 67/2)، وقال ابن حجر:

تروي السيدة عائشة ﵂ بإنصافٍ أنَّ أم المؤمنين صفية ﵂ كانت بارعة في إعداد الطعام، وأنَّها ما رأت صانعة طعامٍ مثلها، وهو يُبيِّن موضوعية أم المؤمنين عائشة ﵂ في روايتها، رغم أنَّ القصَّة الي تُحدِّث عنها تُثبتُ غيْرتها منها واستعجالها في تصرُّفها.

فقد أرسلت صفية ﵂ طعامًا لزوجها ﷺ، فما استطاعت عائشة ﵂ أن تمنع نفسها من الغيرة، وما كان منها إلاَّ أن كَسرت الإناء، لكنَّها ما لبثت أن أدركت خطأ ما فعلت، فسألت رسول الله ﷺ عن كفَّارة الطعام الذي أهدرت، والإناء الذي كسرت، فأجابها ﷺ أنَّ الطعام يُكفِّر عنه طعامٌ، والإناء كفارته إناءٌ.

وفي الحديث فوائد عدة، منها: ما ذكره العيني بقوله: فيه بَسْط عُذر المرأة في حالة الغيرة، لأنه لم ينقل أنه ﷺ عاتب عائشة على ذلك(1).

قال ابن حجر: وَفِي الْحَدِيث حُسْن خُلُقِهِ ﷺ وَإِنْصَافه وَحِلْمُه، قَالَ اِبْن الْعَرَبِيِّ : وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يُؤَدِّبْ الْكَاسِرَة وَلَوْ بِالْكَلَامِ لِمَا وَقَعَ مِنْهَا مِنْ التَّعَدِّي لِمَا فَهِمَ مِنْ أَنَّ الَّتِي أَهْدَتْ أَرَادَتْ بِذَلِكَ أَذَى الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا وَالْمُظَاهَرَة عَلَيْهَا فَاقْتَصَرَ عَلَى تَغْرِيمِهَا لِلْقَصْعَةِ(2).

المسألة الحادية عشر: ما يَحْرم من الرّضاع

ذكرتْ عَمْرَة بِنْت عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا، وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أُرَاهُ فُلَانًا" – لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنْ الرَّضَاعَةِ–، فَقَالَتْ

مقبولة ويقال: إن لها إدراكاً (التقريب ص744)، لكنَّ العجلي وثقها (معرفة الثقات ص518)، وذكرها ابن حِبَّان في الثقات (الثقات 121/4)، وعليه فهي صدوقة.

وأما فُليت: فهو أفلت بن خليفة أبو حسان (التاريخ الكبير للبخاري 67/2)، قال الدارقطني: صالح (سؤالات البرقاني للدارقطني 16/1)، وقال أحمد بن حنبل: ما أرى به بأس (العلل ومعرفة الرجال 136/3)، وعليه فهو صدوق.

قالت الباحثة: وإسناد الحديث حسن.

(1) العمدة، خلال شرحه لكتاب المظالم، بابٌ إِذَا كَسَرَ قَصْعَةً أَوْ شَيْئاً لِغَيْرِهِ 26/13.

(2) أورد ابن حجر قول ابن العربي في كتابه فتح الباري، خلال شرحه لكتاب المظالم والغصب، باب إِذَا كَسَرَ قَصْعَةً أَوْ شَيْئًا لِغَيْرِهِ 417/7.

عَائِشَةُ: لَوْ كَانَ فُلَانٌ حَيًّا– لِعَمِّهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ–، دَخَلَ عَلَيَّ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" نَعَمْ، إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنْ الْوِلَادَةِ[1]".

سألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن حُكم دخول عمّها من الرّضاعة عليها فأفتاها ﷺ بالجواز، وأنَّ الرضاعة تُحرِّم ما تُحرمه الولادة في النَّسب.

نبَّه العيني في العمدة أنَّ قوله:" إنَّ الرّضَاعة تُحرم ما تَحْرُم من الولادة" محلُّ إجماع في حكمه.

قائلاً: وهذا إجماعٌ لا خلاف فيه بين الأئمة، فإذا حرمت الأم فكذا زوجها؛ لأنَّه والده، لأنَّ اللَّبن منهما جميعًا، وانتشرت الحُرمة إلى أولاده: فأخو صاحب اللبن عَم، وأخوها خاله من الرضاع فيحرم من الرضاع: العَمَّات والخالات والأعمام والأخوات وبناتهن كالنَّسب[2].

المسألة الثالثة عشر: الشهر تسع وعشرون

عن عائشة ﵂ قالت: لَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وعِشْرون لَيْلَةً أَعُدُّهُنَّ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، (قالت بَدَأَ بِي)، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، إنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لا تَدْخُلَ عَلَيْنا شَهْرًا وإنَّكَ دَخَلتَ مِنْ تِسْعٍ وعِشْرِين أَعُدُّهُنّ، فقال:" إنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وعِشْرون[3]".

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب الشهادات، بَاب الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ وَالرَّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ، ح (2646)، وفي كتاب فرض الخُمس، بَاب مَا جَاءَ فِي بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نُسِبَ مِنْ الْبُيُوتِ إِلَيْهِنَّ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من سورة الأحزاب؛ آية 33، وَ ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية 53 من نفس السورة، ح (3105)، وكتاب النكاح، بَاب ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ الآية 32 من سورة النساء، وَيَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ، ح (5099).

ومسلم أخرجه في الصحيح، في كتاب الرّضاع، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، ح (1444).

(2) عمدة القاري، في شرحه لكتاب الشهادات، باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) آية 32 من سورة النساء، 92/20.

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، وقد أخرجه في كتاب الصيام، باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، ح (1083)، وفي كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) الآية 4 من سورة التحريم، ح (1475).

والبخاري أخرجه في كتاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ، بَاب الْغُرْفَةِ وَالْعُلِّيَّةِ الْمُشْرِفَةِ وَغَيْرِ الْمُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، ح (2468)، وكذلك في كتاب النكاح، باب مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، ح (5191)، وفي باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ الآية 34 من سورة النساء، ح (5201) من نفس الكتاب.

كان الرسول ﷺ قد أقسم ألاَّ يدخل على نسائه شهرًا، هُجراناً لهن وتأديباً رضي الله عنهن، وذلك من شدَّة موجدته عليهن لما كان من إيذائهن للنبي ﷺ وقد أفشين سرَّه وتظاهرن عليه، حتى عاتبه الله عز وجل في ذلك، والقصة مشتهرة معروفة.

وكانت أم المؤمنين عائشة ﵂ تعُدُّ الأيام حتى ينقضي ذلك الشهر، لكنَّه ﷺ دخل على زوجه عائشة ﵂ ولمَّا يُتمم الثلاثين يوماً، فسألته عائشة ﵂ عن ذلك، وعِلمُها أنَّ الشهر ثلاثين يوماً، وذكَّرته بقسمه، فأخبرها ﷺ أنَّ الشهر تسع وعشرون يوماً وقد يُتِمُّ الثلاثين، فقد أبَرَّ بقسمه دونما خُلْف، وبَدَأ بها لعلو منزلتها عنده ﷺ.

وقد استنبط القاضي عياض من الحديث جواز القَسَم على مثل هذا[1]، كذلك استدلَّ من قوله ﷺ:" الشهر تسع وعشرون" أنَّ مَنْ عليه صيام شهر فصامه بالأيام أنَّه يجزيه، خِلاف قول مالك وأصحابه: أنه يُتِمّ ثلاثين؛ إذ ليس في هذا الحديث صومه للهلال، بل قول عائشة: (أعدّهن عدّاً) يدل على ما قُلناه[2] .

أمَّا المُهلَّب فقد فهم منه أنَّ الله أباح هُجران الأزواج عند نشوزهن، ورَخَّص في ذلك عند ذنب أو معصية تكون منهن[3].

والنووي احتجَّ بهذا الحديث على أنَّه يحقُّ للزوج هجران زوجته واعتزالها في بيتٍ آخر إذا جرى منها سبب يقتضيه، كما أنَّ فيه فضيلة عائشة للابتداء بها في التخيير وفي الدخول بعد انقضاء الشهر.

المسألة الرابعة عشر: الجارية يُنْكِحها أهلها

قالت عائشة ﵂: سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَن الجَارِيَة يُنْكِحُها أَهْلُهَا أَتَسْتَأْمِر[4] أَمْ لا؟، فقالَ لها رسول الله ﷺ:" نَعَمْ، تَسْتَأْمِر"، فقالت عائشةُ: فقلتُ لَهُ: فإنَّها تَسْتَحْي، فقال رسول الله ﷺ: "فَذَلِكَ إِذْنُهَا إِذَا هِيَ سَكَتَتَ[5]"

---

(1) إكمال المعلم، للقاضي عياض، في شرحه لباب في الإيلاء واعتزال النساء من كتاب الطلاق 25/5.
(2) المصدر السابق27/5.
(3) أورد ابن بطال قول المهلب في شرحه لصحيح البخاري، باب قول الله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامون على النِّساء) آية 34 من سورة النساء، من كتاب النكاح 322/7.
(4) تُستأمر: أي تُستشار، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الهمزة مع الميم، مادة أمر 43/1.
(5) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، مسلم أورده في كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، ح (1420) واللفظ له.
امَّا البخاري ففي كتاب النكاح، باب لَا يَجُوزُ نِكَاحُ الْمُكْرَهِ (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَّ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الآية 33 من سورة النور، ح (6946).

ويدُلُّ سؤال السيدة عائشة ﵂ على حرصها على التَّفقُّه في دينها، فقد أرادت أن تفقه حُكم تزويج الأهل للفتاة البِكر، هل تجب مُشاورتها في زواجها إذ هو حدثٌ مهمٌ في حياة كل فتاة، فلمَّا أجابها رسول الله ﷺ بالإيجاب؛ لم تَغْفل عن حال الأبكار وما هُنَّ عليه من الحياء، فأرشدها رسول الله ﷺ أنَّ سكوتها هو إذنٌ منها وإشعارٌ برضاها، فالرَّافض للشيء لا يسعه الصمت، بل يظهر عليه الإنكار في أي صورة من صور الرفض، أمَّا في حال القبول فالفتاة الحَيِيَّة يكفي صمتها ليُعلم رضاها.

والمقصود بالجارية في الحديث: البِكْر، قال ابن حجر: ودلَّت رواية البخاري على أن المراد بالجارية في رواية مسلم البكر دون الثَّيِّب... والصحيح الذي عليه الجمهور استعمال الحديث في جميع الأبكار بالنسبة لجميع الأولياء.

والحديث نَصَّ على أن الحياء يتعلق بالبِكْر، وقابلها بالثَّيِّب، فدَلَّ على أن حكمهما مختلف[1].

المسألة الخامسة عشر: حكم النُّمْرُقَة ذات التصاوير

حَدَّثت أم المؤمنين عَائِشَةَ ﵂: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً[2] فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا[3]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ"، وَقَالَ:" إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ[4]".

---

(1) فتح الباري، في شرحه لكتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها 396/14.

(2) نمرقة: أي وِسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاءٍ، وجمعُها : نَمارِقُ، كذا في النهاية لابن الأثير، باب النون مع الميم، مادة نمرق 1437/4.

(3) والمقصود: تتخذها وِسادة، و الوِسادُ والوِسادة : المِخَدَّة، والجمع: وَسائِدُ، وقد وَسَّدْتُه الشيءَ فَتَوَسَّده إذا جَعَلْتَه تحتَ رأسِه، فكَنَى بالوِسادِ عن النَّوم لأنه مَظِنَّتُه، كذا في النهاية لابن الأثير، باب الواو مع السين، مادة وسد 1483/4.

(4) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري بلفظه رواه في كتاب النكاح، بَاب هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ، ح (5181)، وفي كتاب اللباس، باب مَنْ كَرِهَ الْقُعُودَ عَلَى الصُّورَةِ، ح (5957)، وباب مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، ح (5961) من نفس الكتاب، وكذلك في كتاب البيوع، بَابُ التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ح (2105).

ومسلم رواه في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب، ح (2107).

أرادت السيدة عائشة ﵂ أن تُكرِم زوجها وتُدلِّله، فاشترت وسادة موشحة بالصُّور، ليقعد عليها رسول الله ﷺ ويستند عليها، وينتفع بها بما تصلُح له، لكنَّها فطِنت لإشاحة النبي ﷺ عنها، فسألته حين رأت الكراهة في وجهه، وأبدت التوبة لله ورسوله مما صنعت، مما يَكْره رسول الله ﷺ، واستفسرت عمَّا أذنبت، وهو من وَرعها وتُقاها وانقيادها لله وللرسول ﷺ، إذ تابت لمجرد أن لَمَحت أنَّها أذنبت في شيء تجهله، فاستفسر منها النبي ﷺ عن تلك النمرقة، وأخبرها أن أصحاب الصور يعذَّبون يوم القيامة، ويُطلب منهم على وجه التعجيز أن يُحيوا ما صَوَّروا، وأنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير.

وقد فسَّر العيني قول النبي ﷺ:" يُقَالُ لَهُم: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم"، بأنَّه أمرُ تعجيز من الإحياء، و قوله:" مَا خَلَقْتُم"، أي: صَوَّرْتُم كصورة الحيوان.

أمّا قوله:" لا تَدْخُلهُ المَلائِكَة"، أي: غير الحَفَظَة، وقيل: ملائكةُ الوحي، وأمَّا الحفظة فلا تفارقه إلا عند الجماع والخلاء[1].

كما احتوى هذا الحديث على الكثير من الدلالات الفقهية، أشار لها العلماء وعمل بها الفقهاء، فقد استدل ابن بطَّال أنه لا يجوز الدخول في الدعوة التي يكون فيها منكر، مما نهى الله عنه ورسوله، وما كان مثله من المناكير، وقال: ألا ترى أنه ﷺ رجع من بيت عائشة ﵂ حين رأى النمرقة بالتصاوير، فلا ينبغي حضور المنكر والمعاصي ولا مجالسة أهلها عليها؛ لأن ذلك إظهار للرضا بها، ومن كثَّر سَواد قوم فهو منهم، ولا يأمن فاعل ذلك حلول سخط الله وعقابه عليهم وشمول لعنته لجميعهم[2].

واستدل أيضًا على أنَّ التجارة فيما يكره لبسه جائزة، إذا كان في المَبيع منفعة لغير اللباس، وأمَّا إذا لم يكن فيه منفعة لشيء من المنافع فلا يجوز بيعه ولا شراؤه؛ لأن أكل ثمنه من أكل المال بالباطل، وأما بيع الثياب التي فيها الصُّوَر المكروهة، فظاهر حديث عائشة يدل بأن بيعها لا يجوز، لكن قد جاءت آثار مرفوعة عن النبي ﷺ تَدُلُّ على جواز بيع ما يوطأ و يمتهن من الثياب التي فيها الصور[3].

---

(1) عمدة القاري، خلال شرح كتاب باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء374/13.
(2) شرح البخاري لابن بطَّال، خلال شرحه لبَاب هَلْ يَرْجِعُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا فِي الدَّعْوَةِ 292/7.
(3) المصدر السابق، باب التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، 239/11.

وقال الشافعي: إِذَا دُعِيَ الرَّجُلُ إِلَى الْوَلِيمَةِ وَفِيهَا الْمَعْصِيَةُ مِنْ الْمُسْكِرِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ نَهَاهُمْ، فَإِنْ نَحَّوْا ذَلِكَ عَنْهُ وَإِلَّا لَمْ أُحِبَّ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ، فَإِنْ عَلِمَ قَبْلُ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ فَلاَ أُحِبُّ لَهُ أَنْ يُجِيبَ وَلاَ يَدْخُلَ مَعَ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ رَأَى صُوَرًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى فِيهِ ذَوَاتِ أَرْوَاحٍ لَمْ يَدْخُلْ الْمَنْزِلَ الَّذِي تِلْكَ الصُّوَرُ فِيهِ، إنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنْصُوبَةً لاَ تُوطَأُ فَإِنْ كَانَتْ تُوطَأُ فَلاَ بَأْس أَنْ يَدْخُلَهُ، وَإِنْ كَانَتْ صُوَرًا غَيْرَ ذَوَاتِ أَرْوَاحٍ مِثْلَ صُوَرِ الشَّجَرِ فَلاَ بَأْسَ، إنَّمَا الْمَنْهِيُّ عَنْهُ أَنْ يُصَوِّرَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي هِيَ خَلْقُ اللَّهِ[1].

المسألة السادسة عشر: جهاد المرأة

كانت عائشة ﵂ تُحبُّ أن تحظى بكل ضروب الأجر وأسباب المثوبة، فسألت رسول الله ﷺ عن النِّساء، هل عليهنَّ جهاد، وهُنَّ شقائق الرجال؟، فأجابها ﷺ: أنَّ جهاد المرأة يختلف عن جهاد الرجال، فجهادها لا قتال فيه، إنَّما هو الحج أو العمرة.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟، قَالَ:" نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ[2]".

قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني: في قول عائشة ﵂: (قُلْت : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ)، هُوَ إخْبَارٌ يُرَادُ بِهِ الِاسْتِفْهَامُ، واستفاد من قول النبي ﷺ: " الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ"، أنَّه أَطْلَقَ عَلَيْهِمَا لَفْظَ الْجِهَادِ مَجَازًا، شَبَّهَهُمَا بِالْجِهَادِ وَأَطْلَقَهُ عَلَيْهِمَا بِجَامِعِ الْمَشَقَّةِ[3].

---

(1) الأم للشافعي 196/6.

(2) أخرجه ابن ماجة في سننه واللفظ له، بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي شيبة قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (كتاب المناسك، باب الحج جهاد النساء، ح (2892).

وإسناد الحديث صحيح، رغم أنَّ محمداً بن فضيل الضَّبِّي قد رُمي بالتَّشيُّع وهو ثقة، إلا أنَّ تشيّعه لا يؤثر في روايته لحديثنا هذا ، كما أنَّ الحديث له أصل صحيح عند البخاري، أخرجه البخاري في صحيحه من طريق خالد بن عبد الله الواسطي عن حبيب بن أبي عمرة به بنحوه (كتاب الحج؛ باب فضل الحج المبرور؛ ح (1520)، وفي كتاب الجهاد والسير في أول باب، ح (2784).

وقد اخترت رواية ابن ماجة في متن البحث لأنَّ سؤال عائشة ﵂ فيها أوضح.

(3) سبل السلام للأمير الصنعاني، 178/2.

واستدلَّ أبو بكر بن خُزيمة من قول رسول الله ﷺ:" عليهن جِهَادٌ لا قِتَالَ فيه" أنَّ في إعْلامه أنَّ الجهاد الذي عليهن الحج والعمرة بيانُ أنَّ العمرة واجبة كالحج، إذ ظاهر قوله عليهن أنه واجب، إذ غير جائز أنْ يُقال على المرء ما هو تطوع غير واجب[1].

أمَّا عن حُكم الجهاد للمرأة فقد استنبطه ابن بطَّال من مُجمل الأحاديث التي قال فيها ﷺ: "جهادكن الحج"، قال ابن بطَّال: هذا الحديث يدل على أن النساء لا جهاد عليهن واجب، وأنهن غير داخلات في قوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[2]، وهذا إجماعٌ من العلماء، وليس في قوله ﷺ:" جهادكن الحج" دليل أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنَّما فيه أنه الأفضل لهن، وإنَّما كان الحج أفضل لهن من الجهاد؛ لأنهن لسْنَ من أهل القتال للعدو ولا قدرة لهن عليه ولا قيام به، وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك المباشرة للرجال بغير قتال، فكيف في حال القتال التي هي أصعب؟.

والحج يمكنهن فيه مجانبة الرجال والاستتار عنهم؛ فلذلك كان أفضل لهن من الجهاد، والله أعلم[3].

المسألة السابعة عشر: سِرّ تعبُّد الرسول ﷺ وقد غُفر له

تعجَّبت أم المؤمنين ﵂ من كثرة عبادة النبي ﷺ، رغم أنَّه قد غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ولقد كان طبيعياً أن يجول بذهنها ذاك الخاطر، فالنَّفس البشرية عادةً ما تركَن إذا ما أمِنت، وقد تحقَّق الغُفران والأمان لرسول الله ﷺ.

مما جعلها تسأل النبي ﷺ، ليقوم بدوره بإرشادها إلى طريق الحمد والشُّكر على النِّعم، في كل وقت وحين.

عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قَامَ حَتَّى تفَطَّر[4] رِجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتَصْنَع هذا وقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّر؟ فقال:" يا عائِشةُ، أَفَلا

---

(1) صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب الدليل على أن جهاد النساء الحج والعمرة، ح (3074).

(2) سورة التوبة، آية 41.

(3) شرح ابن بطال، باب جهاد المرأة 76/5.

(4) تفطَّر: أي تتشقَّق، يقال: تَفَطَّرَت وانْفَطرت، كذا عند ابن الأثير في النهاية، باب الفاء مع الطاء، مادة فطر 1063/3.

أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا[1]".

وقد فسَّر القاضي عِياض الشُّكر بقوله: الشُّكرُ معرفة إحسان المُحسن والتَّحدُّث به ، وسُمي المُجازاة على فِعل الجميل شكراً، لأنها بمعنى الثناء عليه وسطوته على ذلك، والشُّكر بالفِعل أظهر منه بالمَقال، وشُكر العباد لله: اعترافهم بنعمه وثناؤهم عليه، وتمام ذلك مواظبتهم على طاعته، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شكَرْتم لأَزِيدَنَّكمْ﴾[2][3] .

و ذكر أبو سليمان الخطَّابي أنَّ الشُّكر يكون على ثلاث منازل: شكر القلب، وهو الاعتقاد بأن الله ولي النعم، قال الله تعالى: ﴿ومَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِن الله﴾[4]، وشُكرُ اللِّسان، وهو إظهار النعمة بالذكر لها والثناء على مُسْديها، قال الله: ﴿وأَمَّا بِنعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]، وهو رأسُ الشُّكر المَذكور في الحديث، وشكر العمل، وهو إدْآبُ النَّفْس بالطاعة، قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرًا﴾[6][7].

والشُّكر منه ما هو واجبٌ وما هو مستحب، فصَّل فيه القول ابن رجب الحنبلي، فقال عن الشكر الواجب: هو أنْ يأتي بالواجبات، ويجتنب المحارم، فهذا لابدَّ منه، أمَّا الشكر المستحبُّ: فهو أنْ يعملَ العبدُ بعد أداءِ الفرائض، واجتنابِ المحارم بنوافل الطَّاعات، وهذه درجةُ السَّابقين المقرَّبين[8].

ومن فِقه هذا الحديث: أنه لا يجب أن يَتَّكل العامل على عمله، وأن يكون بين الرجاء والخوف وأنَّ الرَّجل الصالح يلزمه من التقوى والخشية ما يلزم المُذنب التائب، لا يُؤَمِّن الصالح

(1) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ح (2820).
(2) سورة إبراهيم، الآية 7.
(3) إكمال المُعْلم للقاضي عياض، في شرحه لكتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة 177/8.
(4) سورة النحل، آية 53.
(5) سورة الضحى، آية 11.
(6) سورة سبأ، آية 13.
(7) غريب الحديث للخطَّابي 360/1.
(8) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص246.

صلاحه ولا يُوئس المذنب ذنبه ويُقنطه، بل الكُلُّ خائف راجٍ، وكذلك أراد تعالى أن يكون عباده واقفين تحت الخوف والرجاء اللذين ساس بهما خلقه سياسة حكمه لا انفكاك منها[1].

قال المُهلَّب: فيه أخذُ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة، وإن أضَرَّ ذلك ببدنه، وذلك له حلال، وله أن يأخُذ بالرُّخْصة ويُكَلِّف نفسه ما عَفَتْ له به وسَمَحت، إلاَّ أنَّ الأخذ بالشِّدة أفضل[2].

كما قال ابن حجر: أنَّ فِيهِ مَشْرُوعِيَّة الصَّلَاة لِلشُّكْر[3].

المسألة الثامنة عشر: دعاءُ ليلة القدْر

سألت عائشة ﵂ النبي ﷺ عن ما تدعو به ليلة القدْر إذا وافتها، حِرصًا منها على الأجر والمثوبة.

ومعروفٌ ما لليلة القدر من الفضيلة على باقي ليالي السنة وأيامها، لذا كان تحرِّي الدُّعاء بأفضل الكلم وأجمعه، تحصيلاً لأعظم الخير وأوفره، من المغفرة والرضا من رب العالمين.

قالت عائشة ﵂: قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ، مَا أقولُ فِيهَا؟، قَال:" قُولِي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي[4]".

---

(1) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، في شرحه لباب قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: "تمت أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ "، وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ 73/1.

(2)أورد قوله ابن بطال في شرحه للصحيح، باب قِيَامِ النَّبي ﷺ اللَّيْلَ 121/3.

(3) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، خلال شرحه لكتاب الجمعة، باب قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّيْلَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ وَالْفُطُورُ الشُّقُوقُ 109/4.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، واللفظ له و بإسناده قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ عَنْ كَهْمَسِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (سنن الترمذي، في الدعوات عن رسول الله ﷺ، منه ح (3435)، وعقَّب أبو عيسى الترمذي على الحديث بقوله: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" .

قالت الباحثة: والإسناد صحيح فرواته ثقات.

كما أخرجه النَّسائي عن قتيبة بن سعيد به بمثله (السنن الكبرى للنسائي، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقول إذا وافق ليلة القدر، ح (10642) ، وأخرجه النسائي أيضاً في سننه من طريق أبي مسعود الجريري عن عبد الله بن بريدة عن عائشة ﵂ (الباب السابق، ح (10642) بنحوه.

و كذلك أخرجه من طريق خالد بن الحارث (ح 10643 من الباب السابق) بنحوه، وابن ماجة أخرجه في سننه من طريق وكيع (في الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، ح (3840)، كلاهما عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة ﵂.

وعليه فإنَّ المرء قد يُكشفُ له فيعلم بالدلائل أيّ ليلة تكون ليلة القدر، وقد لا يتحصَّل له ذلك على إيمانه، فإنَّما هي منحة من رب العالمين وخيرٌ يرزقه من يشاء من عباده.

وقد أشار الأمير الصَّنعاني إلى بعض ما تُعْرف به ليلة القدر، فقال: قِيلَ: عَلَامَتُهَا أَنَّ الْمُطَّلِعَ عَلَيْهَا يَرَى كُلَّ شَيْءٍ سَاجِدًا، وَقِيلَ: يَرَى الْأَنْوَارَ فِي كُلِّ مَكَان سَاطِعَةً حَتَّى الْمَوَاضِعِ الْمُظْلِمَةِ، وَقِيلَ: يَسْمَعُ سَلَامًا أَوْ خِطَابًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ، وَقِيلَ: عَلَامَتُهَا اسْتِجَابَةُ دُعَاءِ مَنْ وَقَعَتْ لَهُ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: ذَلِكَ غَيْرُ لَازِمٍ فَإِنَّهَا قَدْ تَحْصُلُ وَلَا يُرَى شَيْءٌ وَلَا يُسْمَعُ[1] .

وفي إخفاء ليلة القدر عن العباد حكمة بالغة، نبَّه لها السيوطي بقوله: والحكمة في ذلك بعْث العباد على الاجتهاد في الطلب، واستيعاب الوقت بالعبادة[2].

المسألة التاسعة عشر: إطعام الضَّب للمساكين

عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَت: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَبٍّ[3]، فَلَمْ يَأْكُلْهُ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُطْعِمُهُ الْمَسَاكِينَ؟، قَالَ:" لَا تُطْعِمُوهُمْ مِمَّا لَا تَأْكُلُونَ[4]".

---

(1) أورد الأمير الصنعاني قول الطبري في سُبُل السلام، خلال شرحه لكتاب الصيام 176/2.

(2) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي، ص100.

(3) الضَّب: دُوَيْبَّة من الحشرات معروف، وهو يشبه الوَرَلَ، والجمع أَضُبٌّ، والعرب يَحْرِصُون على صَيْده وأَكله، والضَّبُّ أَحْرَشُ الذَّنَب خَشِنُه، مُفَقَّرُه، ولونُه إِلى الصُّحْمَةِ، وهي غُبْرَة مُشْرَبةٌ سَواداً، وإِذا سَمِنَ اصْفَرَّ صَدْرُه، ولا يأْكل إِلاَّ الجَنادِبَ والدَّبى والعُشْبَ ولا يأْكل الهَوامَّ، وصفه ابن منظور في لسان العرب، مادة ضبب 539/1.

(4) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده واللفظ له قال: حدثنا أَبُو سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حَمَّادٍ (بن أبي سُليمان)، عَنْ إِبْرَاهِيمَ (النخعي)،عَنِ الأَسْوَدِ (بن يزيد) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (25473)، ورواه أحمد عن عفَّان بن مسلم (في نفس المسند، ح25659)، و عن يزيد بن هارون (ح 25852 من المسند ذاته)، كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (فيما روى الأسود عن عائشة ﵂، ح (1487)، و إسحاق بن راهوية أخرجه كذلك في مسنده عن سليمان بن حرب (في بقية أحاديث عن مشيخة عَنْ عَائِشَةَ ﵂ عن رسول الله ﷺ يلحق في أبوابها، ح (1758)، جميعهم عن حماد بن سلمة به بنحوه.

وإسناد أحمد رواته ثقات، غير أنَّ حماد بن سلمة كان عنده تخليط عن حماد بن أبي سليمان كما قال: أحمد بن حنبل (كذا في سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل 291/1)، لكن أبا داود السجستاني قال عنه: حسن الحديث (سؤالات الآجري لأبي داود243/1)، وقال عنه أحمد: ما أرى بأساً (العلل1:553)، ونقل الأثرم عن أحمد قوله : رواية القدماء عن حمَّاد [ابن سليمان]مقاربة: شعبة ، والثوري ، وهشام الدستوائي ، وأما غيرهم فقد جاؤوا عنه بأعاجيب، قلت له: حجاج وحماد بن سلمة ؟، قال : حماد على ذلك، قال ابن رجب الحنبلي: أي لا بأس به (شرح علل الترمذي لابن رجب، ذكره في قوم ثقات لهم كتاب صحيح وفي حفظهم شيء 761/2)، وبالتحقيق ثبت أن=

سألت أم المؤمنين عن إطعام الضَّب الذي لا يأكلونه للمساكين، فأجابها رسول الله ﷺ أنْ لا تُطعمهم ما لا تأكُل، فالصدقة لا تكون من الرديء الذي تعافه نفس المُتصدِّق، إنّما تكون من الجيد المُستحسن.

قال سفيان بن عُيينة: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم يبعث إلى غيره ما يكرهه لنفسه[1].

وقد كان النبي ﷺ يعافُ الضَّب ولا يأكُله لكنَّه لم يُحرِّمه، بل أقرَّ صنيع من أكله بحضوره، فقد روى خَالد بن الْوَلِيدِ أنَّه دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ مَيْمُونَةَ[2]، فَأُتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ[3]، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ: أَخْبِرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ، فَقَالُوا: هُوَ ضَبٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ:" لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ[4]"، قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ[5]، فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ[6].

=حماد بن سلمة كان قد أخذ الحديث مع هشام الدستوائي عن حماد بن أبي سليمان حين قدم البصرة، أي قبل اختلاط ابن أبي سليمان (انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 324/6)، وعليه فهو حسن الحديث.

وكذلك حماد بن أبي سليمان ، واسمه: حماد بن مسلم، أبو إسماعيل (انظر: الكامل في الضعفاء لابن عدي3/3) شيخ أبي حنيفة، وقد صحبه أبو حنيفة ثمانية عشرة سنة، قال عنه شعبة: كان حماد بن أبي سليمان لا يحفظ ، ولحمَّاد بن سلمة قول يبين فيه ثقل الرواية على حمَّاد بن سليمان، قال ابن سلمة: كنت أسأل حماد بن أبي سليمان عن أحاديث مسنده، وكان الناس يسألونه عن رأيه ، فكنت إذا جئت قال : لا جاء الله بك (كذا في شرح علل الترمذي لابن رجب 835/2)، وقد ضعفه أحمد (العلل 551/1)، وابن سعد قال: كان حمَّاد ضعيفاً في الحديث فاختلط في آخر أمره، وكان مُرجئًا (الطبقات الكبرى 324/6)، فيما وثقه العجلي قائلاً: ثقة في الحديث كان أفقه أصحاب إبراهيم (معرفة الثقات ص 131)، وذكره ابن حبَّان في الثقات (الثقات 160/4)، وقال شعبة حين سُئل لِم يروي عن حماد بن أبي سليمان رغم إرجائه: كان صدوق اللسان (انظر: الكامل لابن عدي5/3)، وقال ابن عدي: يُحدِّث بحديث صالح، ويقع في أحاديثه إفرادات وغرائب، وهو متماسك في الحديث لا بأس به (الكامل 8/3)، وعليه فهو صدوق.

تقول الباحثة: وإسناد الحديث حسن.

(1) أورد قوله ابن عبد البر في الاستذكار 532/1.

(2) هي: مَيْمُونَة بنت الحَارِث بن حَزْن الهِلالية، زوج النبي ﷺ، وكان اسم ميمونة (بَرَّة)، فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وهي خالة عبد الله بن عباس، وخالد بن الوليد، انظر: أسد الغابة لابن الأثير، باب الميم 294/7.

(3) مَحْنُوذٍ: أي مَشْوِيٍّ، كذا في غريب الحديث لابن الجوزي، باب الحاء مع النون 247/1.

(4) أعافه: أيْ أكْرَهُه، قاله الزمخشري في الفائق في غريب الحديث، في باب العين مع الياء 42/3.

(5) اجتررته: أي سحبته، انظر النهاية، باب الجيم مع الراء، مادة جرر 193/1.

(6) رواه البخاري بلفظه في كتاب الذبائح والصيد، بَاب الضَّبِّ، ح (5537)، وفي كتاب الأطعمة، باب الشِّوَاءِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ الآية 69 من سورة هود، ح (5400).

ومسلم رواه في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، باب إباحة أكل الضب، ح (1946).

وقد ذكر العيني أنَّ كسب المسلم لا يكون خبيثًا، ولكن لا يتصدَّق بالحشف والدِّرهم الزَّيف وما لا خير فيه[1].

المسألة العشرون: قبول الهدايا من الأعراب

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: أَهْدَتْ أُمُّ سُنْبُلَةَ[2] إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ لَبَنًا، فَلَمْ تَجِدْهُ، فَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَى أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامُ الْأَعْرَابِ[3]، فَدَخَلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا مَعَكِ يَا أُمَّ سُنْبُلَةَ؟"، قَالَتْ: لَبَنًا أَهْدَيْتُ لَكَ يَا رَسُول اللَّهِ، قَالَ:" اسْكُبِي[4] أُمَّ سُنْبُلَةَ"، فَسَكَبَتْ، فَقَالَ: "نَاوِلِي أَبَا بَكْرٍ" فَفَعَلَتْ، فَقَالَ:" اسْكُبِي أُمَّ سُنْبُلَةَ"، فَسَكَبَتْ، فَنَاوَلَتْ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَشَرِبَ، قَالَتْ عَائِشَةُ وَرَسُول اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ مِنْ لَبَنٍ: وَأَبْرَدِهَا عَلَى الْكَبِدِ يَا رَسُول اللَّهِ، كُنْتُ حُدِّثْتُ أَنَّكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ طَعَامِ الْأَعْرَابِ، فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِالْأَعْرَابِ، هُمْ أَهْلُ بَادِيَتِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ حَاضِرَتِهِمْ[5]، وَإِذَا دُعُوا أَجَابُوا، فَلَيْسُوا الْأَعْرَابِ[6]".

---

(1) عمدة القاري، باب صدقة الكسب والتجارة، من كتاب الزكاة 368/13.

(2) هي: أُم سُنْبُلَةَ الأسْلَمِيَّةُ، تعد في أهل المدينة، انظر: أسد الغابة، باب السين 336/7 ، ولم تُذكر لها ترجمة تُفيد اسمها.

(3) قال ابن الأثير: الأعراب: ساكنُو البادية من العَرَب الذين لا يُقِيمُون في الأمصارِ ولا يَدْخُلُونَها إلا لحاجةٍ، والعَرَبُ : اسمٌ لهذا الجِيل المَعْرُوف من الناس، ولا واحدَ له من لَفْظِه، وسَواءٌ أقام بالبَادِية أو المُدُن، والنَّسب إليهما: أعرابيٌّ وعربيّ، كذا في النهاية، باب العين مع الراء، تحت: عرب 888/3.

(4) قال الزَّمخشري: أصْلُ السَّكْب الصَّبّ، في الفائق، باب السين مع الكاف190/2.

(5) قال الزمخشري: يقال: بادية، من بدو بدوْت أبدْوُ، إذا أتيت البَدْوَ، ومنه قيل لأهل البادية: بادية، كما قيل لحاضري الأَمْصَار: حاضرة، انظر: الفائق، في الباء مع الدال 87/1.

(6) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نِيارٍ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ مرفوعاً (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23861)، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي (في حديث عمر، من كتاب الأطعمة، ح (7272) بنحوه.

و الحديث حسن لأجل عبد الرحمن بن حرملة، فقد كان صدوقاً، أمَّا بقية الرواة فهم ثقات.

وقد ليَّنه البخاري (ذكر الذهبي قول البخاري في المغني في الضعفاء 776/2)، وأبو حاتم قال: يُكتب حديثه ولا يحتج به (الجرح والتعديل 223/5)، والذهبي قال في ترجمته: ليس بالمتين عندهم (المقتنى في سرد الكنى 136/1)، وقد ضعَّفه أحمد بن حنبل (الجرح والتعديل 223/5)، وحدَّث يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة أنه قال: كنت سيء الحفظ أو كنت لا أحفظ قال فرخص لي سعيد بن المسيب في الكتاب (تاريخ ابن معين برواية الدوري 206/3).

بلغ السيدة عائشة ﵂ نهي النبي ﷺ عن أكل طعام الأعراب، لكنَّه شرب لبناً من الأعرابية أم سنبلة، فأرادت عائشة ﵂ وهي الحريصة على العلم أن تتأكَّد ممَّا أُخْبِرت، وتعرف حُكم طعام الأعراب، فأعلمها النبي ﷺ أنَّ هؤلاء الذين قبل طعامهم إنَّما هم أهل البادية، يُجيبون الدعوة، ففي قلوبهم رِقَّة للحقِّ يفتقر إليها الأعراب، كما أنّهم يعرفون مكارم الأخلاق، فهم ليسوا بالأعراب.

قال أبو جعفر الطَّحاوي: فكان فيما رويناه من حديث عائشة هذا إخبار رسول الله ﷺ عن أَسْلَم، أنَّهم وإن كانوا قد تَبَدّوا؛ فإنهم قد كانوا يجيبون إذا دُعوا إلى ما يريده ﷺ، كما كانوا يجيبون إلى مثل ذلك لو لم يَتبَدّوا، وأنَّهم لمَّا كانوا كذلك كانوا كأنهم لو لم يتَبدّوا، وكان في ذلك ما قد دَلَّ أن التَّبدِّي المذموم هو التَّبدِّي الذي لا يُجيب أهله إذا دعوا فأما التبدي الذي هو بخلاف ذلك فهو كالمقام بالحَضرة، وقد ذَكَر الله عز وجل الأعراب في كتابه في موضع، فذمَّهم وأخبر أنهم أشد كفرًا ونفاقًا، وأجْدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، وذكرهم في موضع آخر من كتابه فوصفهم بالإيمان، فقال: ﴿وَمِن الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ الله وصَلواتِ الرَّسُول﴾[1] فكان الأعراب المذمومون فيما تلونا هم الذين يَغيبون عن رسول الله ﷺ حتى لا يعلموا أحكام الله عز وجل الذي ينزلها عليه، ولا فرائضه التي يجريها على لسانه، وكان مَنْ هو خِلافهم منهم ما ذكرهم عز وجل به من الأمور التي حَمَدهم عليها وأثنى عليهم بها، فكان الأسْلَميُّن رضوان الله عليهم ممن دخلوا في ذلك فكانوا كمن لا يفارقه[2].

وزاد الطَّحاوي في معاني الآثار: أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ؛ فَهُوَ كَأَهْلِ الْحَضَرِ وَأَنَّ الأَعْرَابَ الْمُتَقَوِّمِينَ الَّذِينَ لاَ تُقْبَلُ هَدَايَاهُمْ بِخِلاَفِ هَؤُلاَءِ، وَهُمْ الَّذِينَ لاَ يُجِيبُونَ إِذَا دُعُوا، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُمْ[3].

أمَّا ابن معين فقد قال: صالح (الجرح والتعديل 223/5)، والنسائي قال: ليس به بأس، وابن عدي قال: لم أر في أحاديثه حديثا منكراً ، مما يُشعر بدرجة من القبول والتوثيق (الكامل في ضعفاء الرجال 503/5)، كما ذكره ابن حبان في الثقات (95/5)، وابن حجر قال: صدوق ربما أخطأ (تقريب التهذيب 339/1).

(1) سورة التوبة، آية 99.

(2) بيان مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في إطلاقه لأسلم أن يبدوا في الشعاب والأودية، بعد بيعتهم إياه قبل ذلك على الهجرة 435/4.

(3) معاني الآثار بَابُ شَهَادَةِ الْبَدْوِيِّ ، هل تُقْبَلُ عَلَى الْقَرَوِيِّ؟، 167/4.

المسألة الحادية والعشرون: التخلص من السِّحر

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طُبَّ[1]، حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ الشَّيْءَ وَمَا صَنَعَهُ، وَإِنَّهُ دَعَا رَبَّهُ، ثُمَّ قَالَ:" أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ:" جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟، قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟، قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟، قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[2] وَجُفِّ طَلْعَةٍ[3]، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟، قَالَ: فِي ذَرْوَانَ[4]، وَذَرْوَانُ بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ[5]، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ:" وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ"، قَالَتْ: فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهَا عَنْ الْبِئْرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلَّا أَخْرَجْتَهُ؟، قَالَ: " أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا[6]".

وفي رواية أخرى: "فأَمَرَ بِهَا فَدُفِنت[7]".

---

(1) طُبَّ: يعني سُحِر، قال أبو عبيد بن سلام: منه: رجل مطبوب، ونرى أنه إنما قيل له: مطبوب، لأنه كنى بالطب عن السحر، كما كنوا عن اللديغ فقالوا: سليم، تطيرًا إلى السلامة من اللدغ، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام 43/2.

(2) المُشاطة: ما يسقط من الرأس إذا مُشط، كذا قال الزمخشري في الفائق، في حرف الطاء 353/2.

(3) جُفُّ طلعة: يعني طلع النخل، وجُفُّه وعاؤه الذي يكون فيه، قاله: أبو عبيد بن سلام، في غريب الحديث 266/2.

(4) بئر ذروان: بفتح الذال المعجمة وسكون الراء، هي بئر في منازل بني زريق بالمدينة، وعند مسلم هي بئر ذي أروان، وقيل: ذو أروان، موضع آخر على ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار، انظر: معجم البلدان للحموي، باب الباء مع الهمزة 299/1.

(5) بنو زُريق: هم بطن من الانصار، يقال لهم: بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، انظر: الأنساب للسمعاني 17/3.

(6) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ للبخاري الذي رواه في كتاب الدعوات، بَاب تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ ح (6391)، وفي كتاب الطب، باب السحر، ح (5763)، وح (5766)، و كذلك في كتاب بدء الخلق ، بَاب صِفَةِ إبليس وجنوده، ح (3268).

أمَّا مُسلم فقد رواه في كتاب السلام، باب السحر، ح (2189).

(7) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، ح (5766)، وعند مسلم في الصحيح في كتاب السلام، باب السحر، ح (2189).

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن كيفية التَّخلص من السحر، فقالت له: (فهلاَّ أخرجته)، فقال النبي ﷺ: أنَّه قد عافاه الله وشفاه ولا داعي لإثارة شر السحر على الناس، ومن ثَمَّ أَمر بالسحر فتخلَّص منه بدفنه.

ولقد ساق العيني قصة شفاء رسول الله ﷺ من السحر، فقال: مرض النبي ﷺ حين سُحر، وانتشر شَعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه ويُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، حتَّى أنبأه الله عز وجل بدائه، فبعث علياً والزبير وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم ، فنزحوا ماء تلك البئر، وكأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجُف، فإذا فيه مُشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خِفَّة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه الصلاة والسلام يقول: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من عين وحاسد والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟، فقال ﷺ: أمَّا أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً[1].

وقد ترك النبي ﷺ استخراج السحر، لأنَّ الله قد عافاه من مرض السحر فلا حاجة لاستخراجه، أو لأنَّ الله عز وجل عافاه من الاشتغال باستخراج ذلك، لأنَّ فيه تهييج الشر، من إثارة للمنافقين لتعلم السحر، وإيذاء المسلمين به[2].

قال العيني: وفي هذا الحديث: أن آثار الفعل الحرام يجب إزالتها[3]، و قال النووي: فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات، و تكريره، وحُسن الالتجاء إلى الله تعالى[4] .

أمَّا ابن حجر فقد استدلَّ أن النبي ﷺ كان قد سلك مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أوَّل الأمر فوَّض وسلَّم لأمر ربه، فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثُمَّ لمَّا تمادى ذلك

---

(1) عمدة القاري، خلال شرح باب هَلْ يُعْفَى عنِ الذِّمِّيِّ إذَا سَحَرَ، 97/15.
(2) العمدة، باب السحر 282/21.
(3) العمدة، باب صفة إبليس وجنوده 170/15.
(4) شرح النووي على مسلم، في شرحه لباب السحر 176/14.

وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء، وكُل من المقامين غاية في الكمال[1].

المسألة الثانية والعشرون: كوامل الدُّعاء

عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ، وَعَائِشَةُ تُصَلِّى، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ[2]"، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ عَائِشَةُ سَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا:" قُولِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَداً[3]".

سألت السيدة عائشة ﵂ النبي ﷺ عمَّا قاله لها عن الكوامل، أرادت أن تفقه ما يقصد، فإذا به ﷺ يُعلِّمها جوامع الدعاء و كوامله، ما تنال به سعادة الدَّارين و خيرهما.

وفي هذا الدُّعاء يتحقق نيل الخير الأوفى للنَّفس، ممَّا يعلمه المرء وما لا يعلمه مما قُدِر له، ويُعاذ من الشرور كافة، وتُطلب الجنة ويُستجار من النار، ولا أفضل من أن ننال من الدعوات ما يوافق دعاء الأنبياء عليهم السلام.

---

(1) فتح الباري لابن حجر، في شرحه لباب السحر 296/16.

(2) الكوامل: جمع الكامل، وهو من الكمال، قال ابن منظور: و الكَمَال التَّمام، وقيل: التَّمام الذي تَجَزَّأَ منه أَجزاؤه، كذا في اللسان، مادة كمل 598/11.

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده و اللفظ له، قال: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حدثنا شُعْبَةُ عَنْ جَبْرِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23984)، ومختصراً من طريق حماد بن سلمة عن جبر بن حبيب به (المسند السابق، ح (23870)، والإسناد صحيح، فرواته ثقات.
ومن طريق شعبة أخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده به بنحوه (زيادات عروة بن الزُّبير عَنْ عَائِشَةَ ﵂، ح(1165).
كما أخرجه أبو بكربن أبي شيبة في مصنفه، من طريق حماد بن سلمة عن جبر بن حبيب به بما يقاربه في الألفاظ (فيما علّمه النَّبِيُّ ﷺ عائِشة أن تدعو بِهِ، 44/6، ح (29957)، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه ابن ماجه في سننه (الدعاء، بَاب الْجَوَامِعِ مِنْ الدُّعَاءِ، ح (3836).

المسألة الثالثة والعشرون: عن قليل الصَّدقة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَذَكَرَتْ شَيْئًا قَلِيلًا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:" أَعْطِي وَلَا تُوعِي فَيُوعَى عَلَيْكِ(1)".

والمقصود من إجابة الرسول ﷺ: لا تَجْمَعِي وَتَشِحِّي بالنَّفقة فَيُشَحَّ عليك وتُجَازَيْ بِتَضْيِيقِ رِزْقِكِ، كما ذكر ابن الأثير(2).

فقد وجَّه النبي ﷺ زوجه إلى خُلق عظيم، ألا وهو الكرم والإحسان، والبسْط في الخيرات، كي يُبسط لها في الرزق، فما جزاء الإحسان إلا إحساناً مثله، والله يضاعف في الأجور.

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيكٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ح (24106).
قالت الباحثة: رواة الإسناد ثقات والإسناد صحيح.
(2) النهاية لابن الأثير، باب الواو مع العين، مادة وعا 1501/4.

المبحث الثالث
سؤالات السيدة عائشة ﵂ في التفسير

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تدبّر الكتاب العزيز، وفهمُه في حياة أم المؤمنين رضي الله عنها.

المطلب الثاني: سؤالات عائشة ﵂ في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول

تدبّر الكتاب العزيز، وفهمُه في حياة أم المؤمنين

كانت السيدة عائشة ﵂ تصوغ حياتها وفق ما وعته من كتاب الله العزيز، وسنة النبي الأمين ﷺ، فكانت مُلمَّة بمعاني الآيات القرآنية الكريمة، وتعرف أسباب نزولها، وتُطلق الأحكام وفق ما علمته.

فكانت تُقوِّم ما ترى من اعوجاج في فهم الدِّيانة عند المسلمين، وتُصحِّح ما يقع فيه النَّاس من أغلاط لقصور زادهم في فهم القرآن الكريم ومقاصده.

ورد في الصحيح أنَّه ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ"، فَقَالَتْ: وَهَلَ[1]، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ"، قَالَتْ: وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ[2] وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ: إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ، إِنَّمَا قَالَ:" إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ"، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[3]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[4]، يَقُولُ: حِينَ تَبَوَّءُوا[5] مَقَاعِدَهُمْ مِنْ النَّارِ[6].

---

(1) وهَل: تريد غَلِط، والوَهَل: أَنْ يذهب وهَمْكُ الى الشيء وليس هو كذلك، يُقال: وَهَلْت، أَهِل، وَهْلاً، قاله ابن قتيبة في غريب الحديث 472/2.س

(2) القليب: البئر قبل أن تطوى، وجمعه القُلُب، كذا في معجم البلدان لياقوت الحموي، باب القاف واللام 386/4.

(3) سورة النمل، الآية 80.

(4) سورة فاطر، الآية 22.

(5) تبوءوا: أصْلُ الْبَواء اللُّزُوم، ومعناها: لِيَنْزِلْ مَنْزِلَه من النار يقال بَوَّأه اللّه مَنْزِلا أي أسْكَنَه إيَّاه، انظر: النهاية لابن الأثير، باب الباء مع الواو، مادة بوأ 116/1.

(6) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري، وقد رواه في كتاب المغازي، بَاب قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ، ح (3978)، و ح (3979)، و ح (3980)، وكذلك في كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، ح (1371). أمَّا مسلم فقد رواه بمثله في كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح (932).

اعترضت أم المؤمنين عائشة ﵂ على قول ابن عمر: أنَّ الميت يُعذَّب ببكاء أهله، وخطَّأته، إذ رخَّص النبي ﷺ في بكاء أهل الميت عليه، و أعذرهم في ذلك، واستدلَّت بالآية الكريمة فيما ذهبت إليه[1].

وقد مال الإمام الشافعي رحمه الله إلى قول عائشة ﵂، فقال: وما روت عائشة عن رسول الله ﷺ، أشبه أن يكون محفوظا عنه ﷺ بدلالة الكتاب ثم السنة .

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[5].

وأمَّا السُّنة فقوله ﷺ لرجل:" هذا ابنك؟"، قال: نعم، قال: أمَا إنَّه لا يَجْنِي عَلَيْكَ ولا تَجْنِي عليه[6]"، فأعلم رسول الله ﷺ مثل ما أعلم الله من أن جِناية كل امرىء عليه كما عمله له، لا لغيره[7].

وقال النووي : أنكرت عائشة روايتهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه ، وأولت الحديث بأن معناه يعذب في حال بكاء أهله لا بسببه[8].

---

(1) انظر: عمدة القاري للبدر العيني، بتصرُّف، في شرحه لباب قول النبي ﷺ: "يعذب الميت ببكاء أهله عليه" 79/8.

(2) وردت في سورة الإسراء الآية 15، و سورة فاطر الآية 18، وسورة الزمر الآية 7، وسورة الأنعام الآية 164.

(3) سورة النجم، الآية 39.

(4) الآيات 7 و 8 من سورة الزلزلة.

(5) الآية 15 من سورة طه.

(6) أخرجه أحمد في مسنده قال: حدثنا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ (الثوري) عَنْ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ السَّدُوسِيِّ عَنْ أَبِى رِمْثَةَ التَّمِيمِيِّ مرفوعاً (حديث أبي رمثة التميمي، ح (17956)، و بنحوه في ح (17954)، وإسناد الحديث صحيح، فرواته ثقات.

(7) أورد أبو بكر البيهقي قول الشافعي في كتابه معرفة السنن والآثار، في: ما قيل في: الميت يعذب ببكاء أهله عليه348/5.

(8) المنهاج للنووي، في شرحه لبَاب الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ 339/3.

وفي حادثة أخرى، يقول ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لمَّا أنْ أصيب عُمَر[1] رضي الله عنه دخل صهيب رضي الله عنه يبكي، يقول: وا أخاه، وا صاحباه، فقال عمر: يا صهيب أتبكي عَلَيَّ؟، وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" إنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ ببعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْه".

قال ابن عباس: فلمَّا مَاتَ عُمَر ذَكَرْتُ ذَلكَ لِعائشة ﵂، فقالت: يَرْحَم اللهُ عُمَر، لا واللهِ مَا حَدَّثَ رَسولُ الله صلى الله عليه و سلم: إنَّ الله يُعَذِّبُ المُؤْمِنَ ببُكاءِ أحد، ولكنْ قَال:" إنَّ اللهَ يَزيدُ الكَافِرَ عَذابًا ببُكاءِ أهْلِهِ عَلَيْه"، قال: وقالت عائشة ﵂: حَسْبُكُمْ[2] القُرآن ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾[3] [4].

أنكرت عائشة ﵂ ما رواه عمر رضي الله عنه من قول النبي ﷺ: إنَّ الله يُعَذِّبُ المُؤْمِنَ ببُكاءِ أحد، واستدركت عليه مُتَرَحِّمة داعية له بالمغفرة، بأنه ﷺ قَال:" إنَّ اللهَ يَزيدُ الكَافِرَ عَذابًا ببُكاءِ أهْلِهِ عَلَيْه"، واحتجَّت بالآية القرآنية الكريمة، و قالت: أنَّها تكفي في بيان المُراد.

وقد كانت عائشة ﵂ إذا ذُكِر لها الرَّجُل يَحْلف أنْ لا يَأتِي امرأته، فيَدَعها خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، لا تَرى ذَلكَ شَيْئًا؛ حَتَّى يُوقَفَ، وتَقُول: كيف قال الله تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمعْروفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[5][6].

لم تكن أم المؤمنين عائشة ﵂ ترى الإيلاء[7] حتى يُوقف، مُدلِّلةً بالمفهوم من الآية الكريمة، وقد قال صاحب سُبل السَّلام: وَفِي الْبَابِ آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنْ السَّلَفِ كُلُّهَا قَاضِيَةٌ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ

(1) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي رضي الله عنه، أبو حفص أمير المؤمنين، انظر: الإصابة لابن حجر، في ذكر من اسمه عمر 484/4.

(2) حسبكم: أي يكفيكم، انظر: النهاية، باب الحاء مع السين، مادة حسب 287/1.

(3) سورة فاطر، الآية 18، وتقدَّم ذكر المواضع الأخرى للآية من السور الكريمة.

(4) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ح (927) و ح (929).

(5) سورة البقرة، آية 229.

(6) أخرجه الشافعي في مسنده، قال: حدثنا سفيانُ (ابن عيينة) عن أبي الزِّنَادِ عن القاسمِ بنِ محمدٍ (كتاب الطلاق، الباب الثاني في الإيلاء، ح (143)، ورواة الإسناد ثقات، وعليه فالإسناد صحيح.

(7) الإيلاء: الحلف والحُكم، وللإيلاء في الفقه أحكام تخصه لا يُسمى إيلاء دونها، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب الهمزة مع اللام، مادة ألى 41/1.

بَعْدَ مُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ مِنْ إِيقَافِ الْمُولِي، وَمَعْنَى إِيقَافِهِ: هُوَ أَنْ يُطَالَبَ إِمَّا بِالْفَيْءِ وَإِمَّا بِالطَّلَاقِ، وَلَا يَقَعُ الطَّلَاقُ بِمُجَرَّدِ مُضِيِّ الْمُدَّةِ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْجَمَاهِيرُ [1].

وقد روي أنَّ الرَّجُل كان يُولي من امرأته سَنة، فيأتي عائشة فتقرأ عليه: ﴿ لِلَّذِين يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِم﴾ [2] الآية، وتأمره باتقاء الله وأن يفيء[3].

لقد كانت ﵂ تُطبِّق القرآن منهجاً في حياتها وحياة من عاش معها وعاصرها.

كما كانت ﵂ ترى ترك الوصية وإبقاء المال للورثة أفضل في حال القِلَّة، مُستندةً على ما حفظت وتدبَّرت من آي القرآن الكريم، فقد روى ابن أبي مليكة عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أنَّ رَجُلاً قال لها: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ، قَالَتْ: كَمْ مَالُك؟، قَالَ: ثَلاَثَةُ آلاَفٍ، قَالَتْ: فَكَمْ عِيَالُك؟، قَالَ: أَرْبَعَةٌ، قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[4]، وَإِنَّهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعْهُ لِعِيَالِكَ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ[5].

قال ابن بطَّال: دَلَّ هذا أن ترك المال للورثة خير من الصدقة به، وأن النَّفقة على الأهل من الأعمال الصالحة[6].

وقد كانت عائشة ﵂ تعلم أسباب نزول القرآن الكريم، و معروف أنه علم هام تتبني عليه الكثير من الأحكام الفقهية، لما فيه من فهم المسائل وأسباب ورود التشريعات.

---

(1) سبل السلام للأمير الصنعاني، في أحكام الإيلاء 185/3.

(2) سورة البقرة، الآية 226، وفيها يقول الله عز وجل: ﴿لِلَّذِين يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِم تَرَبُّصُ أَرْبعةِ أَشْهُرٍ فإِنْ فَاءو فإنَّ الله غَفُورٌ رَحيم﴾.

(3) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن القاسم بن محمد رضي الله عنه (كتاب الطلاق، باب انقضاء الأربعة، 458/6، ح (11660)، ورواة الحديث ثقات، والإسناد صحيح.

(4) سورة البقرة، آية 180.

(5) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه بإسناده عن أَبُي مُعَاوِيَةَ الضريرعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَرِيكٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (كتاب الوصايا، في الرجل يكون له المال الجدِيد القلِيل، أيوصِي فِيهِ ؟، 229/6، ح (30946)، ورجال الإسناد ثقات، والحديث صحيح.

(6) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، خلال شرحه لباب الوصية بالثلث 144/8.

روى عروة أنَّه سأل عَائِشَةَ ﷺ، فقال لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[1]، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ كَانَتْ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ[2]لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلَّلِ[3]، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ) الْآيَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا[4].

قوَّمت أم المؤمنين تأويل عروة للآية الكريمة، وذكرت له التفسير الصحيح للآية فيما علمت من صحبتها لرسول الله ﷺ وعلمها بأيَّام العرب و تاريخهم.

و في قوله عز و جل: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا)[5] قالت عائشة ﷺ: هِيَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ لَا يَسْتَكْثِرُ مِنْهَا فَيُرِيدُ طَلَاقَهَا وَيَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا تَقُولُ لَهُ أَمْسِكْنِي وَلَا تُطَلِّقْنِي ثُمَّ تَزَوَّجْ غَيْرِي فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ النَّفَقَةِ عَلَيَّ وَالْقِسْمَةِ لِي فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)[6][7].

---

(1) سورة البقرة، آية 158.

(2) الإهلال: هو رَفْع الصَّوْت بالتَّلْبِيَة، كذا في النهاية لابن الأثير، باب الهاء مع اللام، مادة هلل 1544/4.

(3)المُشلَّل: هو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب الميم والشين 136/5، أمَّا مناة: فاسم صنم في جهة البحر مما يلي قديداً بالمشلل على سبعة أميال من المدينة، انظر: باب الميم والنون من المعجم 204/5.

(4) صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ وُجُوبِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَجُعِلَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، ح (1643).

(5) سورة النساء، آية 128.

(6) سورة النساء، آية 128.

(7) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب النكاح، بَاب (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) آية 128 من سورة النساء، ح (5206)، وفي كتاب التفسير، بَاب (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) ، ح (4601) ،وفي كتاب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: (أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا =

قال ابن بطَّال: أجمع العلماء على جواز هذا الصلح، وكذلك فعلت سودة بالنبي ﷺ حين وهبت يومها لعائشة تبتغى بذلك مرضاة رسول الله ﷺ[1].

=صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) الآية نفسها في كل المواضع؛ آية 128من سورة النساء، ح (2694)، وكذلك في كتاب المظالم والغصب، بَاب مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ عِنْدَ الرَّجُلِ فَحَلَّلَهَا لَهُ هَلْ يُبَيِّنُ مَظْلَمَتَهُ، ح (2450).
أمَّا مسلم فقد أخرجه مختصراً في كتاب التفسير، ح (3021).
(1) شرح ابن بطال للبخاري، خلال شرحه لبَاب (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) الآية 128 من سورة النساء، 327/7.

المطلب الثاني

سؤالات عائشة ﵂ في تفسير القرآن الكريم

حرصت أم المؤمنين عائشة ﵂ على معرفة تفسير آيات القرآن الكريم، وفهم معانيه، فسألت رسول الله ﷺ عمَّا كان يعِنُّ لها من استفسارات تتعلَّقُ بتدبُّر آي الكتاب العزيز، وكان النبي ﷺ يُجيبها، فتتعم بفهم الكتاب العزيز وتفسير آياته.

تفسير قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهم إلى ربِّهم رَاجِعون﴾[1].

قالت عَائِشَةَ ﵂: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[2].

قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟، قَالَ:" لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ؛ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ[3]".

لقد وضَّح رسول الله ﷺ لعائشة ﵂ الآية بعدما سألته، وأبان لها من تُقبل منهم الطاعات، وقد فسَّر الألوسي قوله عز وجل: ﴿والذين يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ﴾، فقال: أي يُعطون ما أعطوا من

(1) الآية 60، سورة المؤمنون.

(2) قلوبهم وجلة: أي خائفة من أن لا يُقبل منهم، انظر: روح المعاني لمحمود بن عبد الله الألُوسي، في تفسيره لسورة المؤمنون.

(3) أخرجه الترمذي في سننه بإسناده من طريق مَالِك بْنُ مِغْوَلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيِّ عن عَائِشَةَ ﵂، واللفظ له (في تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المؤمنون، ح (3099)، ومن نفس طريق مالك بن مغول أخرجه ابن ماجه في سننه (الزهد، باب التَّوَقِّي عن العمل، ح (4188)، ومدار الإسناد على مالك بن مغول وهو ثقة كما بقية الرواة، تقول الباحثة: وإسناد الحديث صحيح.

الصدقات، (وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) خائفة من أن لا يُقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به[1].

تفسير قول الله عز وجل: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)[2].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُول اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)، فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُول اللَّهِ؟، قَالَ:" هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ[3]".

كانت عائشة ﵂ تتدبَّر ما تقرأ من الذكر الحكيم، وتتفكَّر في أهوال يوم القيامة، فسألت النبي ﷺ عن النَّاس يومئذٍ، أين يكونون؟، وقد طُويت السماوات، وتبدَّلت الأرض غير الأرض، فأخبرها ﷺ أنَّهم على الصراط، موقوفون على جسر جهنم

تفسير قول الله عز وجل: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ، رِيحٌ فِيهَا عَذابٌ أَلِيم)[4].

عَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ[5]، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ

---

(1) روح المعاني للألوسي، في تفسيره للآية 60 من سورة المؤمنون.

(2) سورة الزمر، آية 67.

(3) أخرجه الترمذي في سننه بإسناده واللفظ له، قال: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ مُجَاهِدٍ عن ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن عائشة ﵂ (تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الزمر، ح (3164)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى عن سويد بن نصر به بنحوه (كتاب التفسير، في تفسير قوله تعالى: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) آية 67 من سورة الزمر، ح (11389).

قالت الباحثة: جميع رواة الحديث ثقات، وهو صحيح الإسناد.

(4) سورة الأحقاف، آية 24.

(5) اللَّهَوَات: جمع لَهَاة، وهي اللَّحَمَات في سَقْف أَقْصَى الفَمِ، قاله: ابن الأثير في نهايته، باب اللام مع الهاء، مادة لها 1284/4.

الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: (هَذَا عَارِضٌ[1] مُمْطِرُنَا)[2].

بدأت السيدة عائشة ﵂ بتوصيف ضحك رسول الله ﷺ، وإنما هو تبسُّمٌ، ثم نقلتنا إلى حاله ﷺ حين كان يرى الغيم أو الريح، فقد كان يُقبِلُ و يُدْبِر، ويسأل الله خيرها وخير ما أُرسلت له، و يستعيذ بالله من شرها وشر ما أُرسلت له، وكان يُرى في وجهه الكراهة، عكس ما اعتاده النَّاس من فرح وسرور بالمطر وبُشرياته.

فسألته عن سِرِّ تبدُّل حاله، وكراهته، فأجابها نبي الرحمة أنَّه لا يأمَن على قومه من العذاب وهم في غفلةٍ من أمرهم ولهو، كما عُذِّب مَن قبلهم من القرون بجرائر ذنوبهم.

ومن فوائد هذا الحديث: الاستعداد بالمراقبة لله عز وجل، والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يُخاف بسببه، والله أعلم بحقيقة الحال، كما قال العيني[3].

تفسير قول الجليل: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)[4]

عن عائشةَ ﵂ قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبْ"، فقُلتُ: أليْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلْ: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟)، فَقَالَ:" لَيْسَ ذَاكَ الحِسَابُ، إنَّمَا ذَاكَ العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوم القِيَامَة عُذِّب".

سألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن تفسير قوله عز وجل: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)، وكيف يتوافق مع ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنَّ من حُوسب يوم القيامة عُذِّب، والنبي ﷺ في

---

(1) العارض: السحاب يعترض في الأفق، كذا في فتح القدير للشوكاني، في تفسيره لسورة الأحقاف 33/5.

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ للبخاري، وقد رواه في كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) الآية 24 من سورة الأحقاف، ح (4828)، وكذلك في كتاب بدء الخلق، بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) آية 57 من سورة الأعراف، ح (3206).

أمَّا مسلم فقد أورده في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، ح (899).

(3) عمدة القاري، شرح باب إذا هبت الريح، من كتاب الاستسقاء 55/7.

(4) سورة الانشقاق، آية 8.

قوله ذاك لم يستثن أحداً من الخلائق، في حين أخبر الله عزَّ وجل أنَّ أهل اليمين يكون حِسابهم هيِّناً يسيرًا، فأجابها ﷺ عن تساؤلها الذَّكي، بأنَّ ما قصده من العذاب في الحساب إنَّما يكون في العرض، وأنَّ من نوقش حسابه وقتها يناله العذاب الأليم، أعاذنا الله وإيَّاكم.

وقد تناولت هذا التساؤل في مبحث الإشكالات التي واجهتها السيدة عائشة ﵂، ومبحث العقيدة أيضاً، وفصَّلتُ في المسألة، بيد أنَّه كان لابد من الإشارة لهذا التساؤل في مبحث التفسير إذ هو بائن الخصوصية فيه و التَّعلُّق.

تفسير قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾

روت عائشة ﵂ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه و سلم كان يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: "سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إليْهِ"، قَالَتْ: فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ:

سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إليْهِ؟، فقال:" خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإذا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِه، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إليْهِ، فَقَد رَأَيْتُها، ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحِ**﴾؛ فتحُ مَكَّة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفْواجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1][2].

وقد فسَّر ابن عبَّاس رضي الله عنهما تلك الآيات بأنها إعلامٌ بأجل محمد ﷺ، قال ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟، فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ[3] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(1) الآيات من سورة النصر.

(2) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، واللفظ لمسلم، وقد ذكره في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح (484)، أمَّا البخاري فقد ذكره في كتاب التفسير، في تفسير سُورَةُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ، ح (4967).

(3) الأجل: هو الوقت المضروب المحدود في المستقبل، كما قال ابن الأثير، في النهاية، في باب الهمزة مع الجيم، مادة أجل 13/1 والمقصود: موعد موت النبي ﷺ.

أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ[1].

وابنُ عباس رضي الله عنهما يوافق في تفسيره ما روته أم المؤمنين عائشة ﵂ من أنَّ النبي ﷺ كان يُكثر من التسبيح والاستغفار قبل وفاته.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ؛ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا:" سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي[2]".

ذكر ابن بطال أنَّ أولى العباد بالاجتهاد في العبادة الأنبياء عليهم السلام، لما حباهم الله به من معرفته، فهم دائبون في شكر ربهم، معترفون له بالتقصير، لا يدلون عليه بالأعمال، مستكينون خاشعون[3].

وقد فهم القاضي عياض من قوله تعالى: ﴿فَسَبح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاستغفِرْهُ إِنهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4] أنَّ فيه حجة لمن أجاز الدعاء في الركوع[5].

---

(1) صحيح البخاري، ورد في كتاب التفسير، بَاب قَوْلُهُ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ آية 3 من سورة النصر، ح (4970)، و بَاب قَوْلُهُ: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ آية 2 من نفس السورة، ح (4969) من نفس الكتاب، وفي كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ وَوَفَاتِهِ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ آية من سورة ، ح (4430)، وفي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ح (4294) من الكتاب نفسه، و كذلك في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح (3627).

(2) صحيح البخاري واللفظ للبخاري، كتاب التفسير، في تفسير سورة النصر، بابٌ [ولم يُسمِّه]، ح (4967)، وصحيح مسلم، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ح (484).

(3) شرح بن بطال لصحيح البخاري، باب اسْتِغْفَارِ النَّبِي ﷺ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ 101/19.

(4) الآيات من سورة النصر.

(5) إكمال المُعْلِم، لعياض اليَحْصُبي، في شرحه لباب ما يقال في الركوع والسجود، من كتاب الصلاة 223/2.

المبحث الرابع
سؤالات عائشة رضي الله عنها في شؤون الحياة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فقه الحياة، وبراعة أمّ المؤمنين فيه.

المطلب الثاني: سؤالات عائشة رضي الله عنها في شؤون الحياة.

المطلب الأول

فقه الحياة، وبراعة أمّ المؤمنين فيه

ألمَّت السيدة عائشة ﵂ بالكثير من ضروب الآداب والعلوم، فبرعت في معترك الحياة، فقد كانت تفهم ما يُقال وتعي ما يحيط بها، وتعتبرُه حين تُصدر أحكامها وآراءها.

فمن ذلك أنه كان لها ﵂ نظرةٌ فقهية مختلفةٌ لخروج النساء للمساجد، بنتها وفقاً لما علمته من مقاصد الشريعة، وأنزلته على ما عاصرت من واقع، فقد أحدثت النساء بعد رسول الله ﷺ ما يتنافى مع الشرع وآداب خروج المرأة للصلوات من زينة وطِيب وحُسن ثياب.

ففي الصحيح أن عائشة ﵂ قالت:" لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ؟، قَالَتْ: نَعَمْ[1]".

وفي هذا الحديث فوائد، منها بصرُها بفقه الواقع، وإشارةٌ إلى إمكان تغيّر الفتوى بتغيّر الزمان والمكان، ويظهرُ في الحديث إلمامُها بتاريخ تشريع أهل الكتاب، وأخبار بني إسرائيل.

وقد كان من فقهها في الحياة كراهيةُ التنطّع والتشدّد، والإزراء بأهله، وتوبيخُ من يقعُ في شيءٍ منه، ومن ذلك أن امرأة سألتها يومًا:

أَتَقْضِي إِحْدَانَا الصَّلاَةَ أَيَّامَ مَحِيضِها؟، فقَالَتَ عَائِشةُ: أَحَرُورِيَّةٌ[2] أَنْتِ؟، قَدْ كَانَتْ إِحْدَانَا تَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم ثُمَّ لا تُؤْمَرُ بِقَضَاءٍ[3].

ولم تكُن أم المؤمنين لتصم سائلتها بالحرورية، لولا أن فقهها مبنيّ على الفهم واليُسر وبُغض التشديد والإفراط.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة، ح(445).

(2) الحرورية: الخوارج، وهي نسبة إلى حَرُورَاء؛ قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنُسبوا إليها، انظر: معجم البلدان لياقوت، باب الحاء والراء 245/2.

قال السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه: " وكان عندهم تشدّدٌ في أمر الحيض، شبهتها بهم في تشددهم في أمرهم، وكثرة مسائلهم وتفننهم بها، وقيل: أرادت أنها خرجت عن السنة كما خرجوا عنها"51/2.

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، مسلم واللفظ له أورده في كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة ح (335)، والبخاري اورده بنحوه في كتاب الحيض، بَاب لَا تَقْضِي الْحَائِضُ الصَّلَاةَ، ح(321).

المطلب الثاني
سؤالات عائشة ﵂ في شؤون الحياة

لقد كانت أم المؤمنين ﵂ تسأل رسول الله ﷺ عن كلِّ ما يعِنُّ لها من خواطر وأفكار، وتستفيدُ من حكيم رأيه وسديد حُكمه ﷺ.

وكانت تُحاول دوماً الاستفادة من خبرة النبي ﷺ وسعة تجربته في الحياة مع كونه رسول الله عز وجل، وكانت أسئلتها تلقائيةً بلا تكلُّف أو تَعَنٍّ، بل هي من وحي الواقع الذي تعيشه والأحداث التي تُعاصرها وتمرُّ بها.

وسأضرب بعض الأمثلة على سؤالاتها المُتعلقة بأمور الحياة وشؤونها.

المسألة الأولى: عن إمامة أبي بكر الصِّدِّيق الناس في مرض رسول الله ﷺ

قالت عَائِشَةَ ﵂: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلَالٌ يُؤذِنُهُ(1) بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ:" مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ(2)، وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ:" مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ"، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ:" إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ".

فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً؛ فَقَامَ يُهَادَى(3) بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ يَخُطَّانِ فِي الْأَرْضِ؛ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا،

---

(1) يؤذنه: يُعْلمه، فالأذان هو الإعلام بالشيء، كذا في النهاية لابن الأثير، في باب الهمزة مع الذال، مادة أذن 19/1.

(2) الأسيف: هو السريع الحُزْن والبكاء، فعيل بمعنى فاعل، من أسف، يُقال: أسوُف أيضاً، انظر: الفائق للزمخشري، في الهمزة مع السين 42/1.

(3) المعنى: أَنَّهُ كانَ يَعْتَمِدُ عليهما من ضَعْفِهِ وتمايله، قاله: ابن الجوزي في كتابه غريب الحديث، في باب الهاء مع الدال 493/2.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

سألت أم المؤمنين عائشة ﵂ رسول الله ﷺ ضمنياً إن كان أبو بكر يصلُح لإمامة المسلمين في صلاتهم، فهو رجلٌ رقيق لا يملك دمعه، ولن يُسمع صوته من بكائه، ثُمَّ استعانت بحفصة ﵂ في تكرار السؤال، فأجابها النبي ﷺ بالإصرار على إمامة أبي بكر الصدِّيق، في إشارة منه ﷺ إلى أنَّ أبا بكر هو الأنسب والأصلح.

أمَّا تشبيه النبي ﷺ لفعل السيدتان عائشة وحفصة رضي الله عنهما بصواحب يوسف ﵇؛ فلأنَّ عَائِشَة ﵂ هِيَ الَّتِيْ أشارت بصرف الإمامة عَن أَبِي بَكْر لمخافتها أن يتشاءم النَّاس بأول من خلف رَسُول الله ﷺ فِي الإمامة، فكان إظهارها لرقة أَبِي بَكْر خشية أن لا يسمع النَّاس توصلاً إلى مَا تريده من صرف التشاؤم عَن أبيها، ففيه نوع مشابهة لما أظهره النسوة مَعَ يوسف ﵇ مِمَّا لا حقيقة لَهُ توصلاً إلى مرادهن، وهو ما قاله ابن رجب الحنبلي في الفتح [2].

وكان قصد النَّبِيّ ﷺ تقديم أَبِي بَكْر عَلَى النَّاس فِي أهم أمور الدين حَتَّى تكون الدنيا تبعاً للدين فِي ذَلِك.

وفي هذا الحديث دلالات عظيمة، ففي تحامل النبي ﷺ وخروجه بين اثنين دلالة على تعظيم أمر الجماعة، ويدل أيضاً على فضل الشدة على الرُّخصة، وفيه ترغيب لأمته في شهود

---

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري بلفظه في كتاب الأذان؛ باب الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالْإِمَامِ، وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ ؛ ح (713)، وفي بَاب حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ، ح (664)، وكذلك في بَاب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ؛ ح (678)؛ و ح (679)؛ و ح (682)، وكذا في باب مَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ تَكْبِيرَ الْإِمَامِ؛ ح (712)، وباب مَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ تَكْبِيرَ الْإِمَامِ ؛ ح (716)، الكل من نفس الكتاب.

ورواه أيضًا في كتاب أحاديث الأنبياء؛ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِين﴾ آية 7 من سورة يوسف؛ ح (3384)؛ و ح (3385)، وفي كتاب الاعتصام؛ بَاب الِاقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ؛ ح (7303).

أمَّا مسلم فقد أخرجه بمثله في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، وأنَّ من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام، ح (418)، و ح (420).

(2) فتح الباري، لابن رجب الحنبلي، خلال شرحه لكتاب الصلاة، بَاب حَدِّ المَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الجَمَاعَةَ، 40/5.

الجماعة لما لهم فيه من عظيم الأجر، ولئلا يعذر أحد منهم نفسه في التخلف عن الجماعة ما أمكنه وقدر عليها[1].

المسألة الثانية: الكلمات التي كان يُردِّدها رسول الله ﷺ عقب الصلوات والمجالس

حدَّثت عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنْ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ:" إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا[2] عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ[3]".

لم تكن للسيدة عائشة ﵂ لتغفل عن صنيع رسول الله ﷺ عقب المجالس والصلوات، والكلمات التي كان يتكلَّم بهن، فسألته لتتعلمهن وتنال من خيرهن فأرشدها النبي ﷺ إلى التسبيح والاستغفار والتوبة، فسبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك كفَّارة للمجالس وما يُقال فيهن.

المسألة الثالثة: الاستئذان لزيارة المرضى من الصحابة

قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: لَمَّا قَدِمَ النَّبِي ﷺ الْمَدِينَةَ اشْتَكَى أَصْحَابُهُ، وَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِى بَكْرٍ وَبِلاَلٌ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَائِشَةُ النَّبِي ﷺ فِي عِيَادَتِهِمْ، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ لأَبِى بكر: كَيْفَ تَجِدُكَ؟، فَقَالَ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ[4] فِي أَهْلِهِ، وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[5].

وَسَأَلَتْ عَامِرًا، فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ، إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ[6].

---

(1) انظر: قول ابن بطَّال في شرحه للبخاري، خلال شرحه لباب حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ من كتاب الصلاة 361/3، وما قاله: البدر العيني في عمدته، في شرحه للحديث من بابُ حَدِّ المَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الجَمَاعَةَ 290/2.

(2) الطَّبْع بالسكون : الخَتْم، قاله: ابن الأثير في باب الطاء مع الباء، تحت طبع 249/2.

(3) أخرجه النسائي في سننه الصغرى بلفظه وإسناده قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ الصَّاغَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ سُلَيْمَانَ – قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَكَانَ مِنْ الْخَائِفِينَ– عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ (التَّجيبي التُّونسي، واسم أبا عمران زيد، انظر: تهذيب الكمال للمِزِّي 142/8) عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (كتاب السهو، في نَوْعٌ آخَرُ مِنْ الذِّكْرِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ ح (3141)، كما أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سلمة به بنحوه (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23346) .

تقول الباحثة: إسناد الحديث صحيح، إذ رواته ثقات.

(4) مُصبح: أي مأْتيٌّ بالموت صباحاً، قاله الزمخشري في الفائق، في الصاد مع الباء 283/2.

(5) الشّراك: أحد سُيور النَّعل التي تكونُ على وجْهِها، قاله ابن الأثير في النهاية، باب الشين مع الراء، مادة شرك703/2.

(6) قال أبو سليمان الخطَّابي في معنى "إن الجبان حتفه من فوقه": يريد إنَّ حذره وجُبنه غير دافع عنه المنية إذا حَلَّ به قدر الله عز و جل، كذا في غريب الحديث 41/2.

وَسَأَلَتْ ، فَقَالَ: يَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِفَجٍّ[1] وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ[2].

فَأَتَتِ النَّبِي ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِهِمْ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ:" اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا، وَفِى مُدِّهَا، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةَ[3]"[4] .

لقد سألت أم المؤمنين رسول الله ﷺ أن تعود الرجال من الصحابة ممن ألمَّ بهم المرض، فأجاب سؤلها، ومضت لتعود وتُحدِّثه بما بدر منهم، فدعا الله لهم وللمسلمين، أن يُحبِّب لهم المدينة كما حبَّب لهم مكة، وأن يصرف عنهم الشر والوباء إلى الجُحْفَة[5].

قال العيني: وكان أهلها يهود شديدي الإيذاء والعداوة للمؤمنين، فلذلك دعا عليهم وأراد الخير لأهل الإسلام .

---

(1) الفَجِّ وهو الطريق الواسع، كما قال ابن الأثير في النهاية، في باب الفاء مع الجيم، مادة فجج 1032/3.

(2) الإذخِرُ بكسر الهمزة : حشيشة طيبة الرائِحة تُسَقَّفُ بها البُيُت فوق الخشبِ وهمزتها زائدة، قاله ابن الأثير في نهايته، باب الهمزة مع الذال، مادة إذخر 19/1.

أمَّا الجَلِيل فهو: الثُّمام، واحِده جَلِيلَة، وقيل: هو الثُّمَام إذا عَظُم وجَلَّ، في النهاية ، باب الجيم مع اللام، مادة جلل 216/1، والثمام: نبْت ضعيف قصير لا يَطُول، النهاية، باب الثاء مع الميم، مادة ثمم 165/1.

(3) مهيعة: هي الجحفة، وقيل: قريب من الجُحفة، وهي ميقات أهل الشام، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب الميم والهاء 235/5.

(4) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده واللفظ له و بإسناده قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23224).

ورواة الحديث ثقات غير أبي بكر بن إسحاق، فهو مقبول، لذلك فالإسناد حسن، غير أنَّ له أصل صحيح عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂، وقد أخرجه البخاري في كتاب الحج؛ في بابٍ لم يُسمِّه؛ ح (1889)، وفي كتاب المناقب؛ باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة؛ ح (3926)، وكذلك في كتاب الطب؛ باب عيادة النساء الرجال؛ ح (5654)، وأيضاً في باب من دعى برفع الوباء والحُمَّى؛ ح (5677).

وقد تعددت روايات أحمد للحديث، فقد رواه عن حجَّاج عن الليث به بنحوه (حديث عائشة ﵂، ح (24672)، ومن طريق عبَّاد بن عبَّاد وحمَّاد بن زيد، كلاهما عن هشام بن عروة به بنحوه (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23391)، و ح (25040).

(5) الجُحفة: بالضم ثم السكون، كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة، من مكة على أربعة مراحل، وكان اسمها مهيعة، وإنما سمّيت الجحفة لأن السيل اجتحفها، وحمل أهلها في بعض الأعوام فصارت خرابا، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 111/2.

وفي الحديث الدعاء على الكفار بالأمراض والبليَّات[1]، وزاد القاضي عياض قائلاً: وفيه حجة لكافة المسلمين في جواز الدعاء بالخير وكشف الضر، خلافًا لبعض المتصوفة والمعتزلة[2]، وهو بذلك يوافق ابن بطَّال الذي قال: فيه من الفقه أن الله أباح للمؤمن أن يسأل ربه صحة جسمه وذهاب الآفات عنه إذا نزلت به، كسؤاله إياه في الرزق والنصر، وليس في دعاء المؤمن ورغبته في ذلك إلى الله لوم ولا قدح في دينه[3].

أمَّا ابن عبد البر فاستدل بالحديث على جواز تَمثُّل الصالحين والعلماء والفضلاء بالشِّعر، قال: وفي ذلك دليل على جواز إنشاد الشعر الرقيق الذي ليس خنى فيه ولا فحش، وفيه رفع العقيرة بالشعر، ورفع العقيرة هو الغناء الذي يسمونه غناء الرُّكبان، وغناء النصب، والحِداء وما أشبه ذلك[4].

المسألة الرابعة: عن الصلاة في الكعبة

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّها قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ أَهْلِكَ قَدْ دَخَلَ الْبَيْتَ غَيْرِي، فَقَالَ: " أَرْسِلِي إِلَى شَيْبَةَ[5] فَيَفْتَحَ لَكِ الْبَابَ"، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَ شَيْبَةُ: مَا اسْتَطَعْنَا فَتْحَهُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ بِلَيْلٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" صَلِّي فِي الْحِجْرِ[6]، فَإِنَّ قَوْمَكَ اسْتَقْصَرُوا عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ حِينَ بَنَوْهُ[7]".

---

(1) العمدة، باب عيادة الصبيان 217/21،و باب الدعاء برفع البلاء والوجع 8/23.

(2) إكمال المُعلم، في شرحه لكتاب الحج، باب الترغيب في سُكنى المدينة 258/4.

(3) شرح ابن بطَّال للبخاري، 559/4.

(4) الاستذكار، خلال شرحه لباب ما جاء في وباء المدينة 240/8.

(5) هو: شَيْبَةُ بن عُثْمان بن أبي طَلْحَة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، القرشي العبدري الحجبيّ، أسم يوم الفتح ، وقيل: أسلم يوم حنين، ودفع له رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، وتوفي سنة سبع وخمسين، وقيل: بل توفي أيام يزيد بن معاوية، انظر: أسد الغابة645/2.

(6) الحِجر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم ﵇، وحجرت على الموضع ليُعلم أنه من الكعبة فسمي حجرًا لذلك، وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها، فلما هدم الحجاج بناءه صرفه عما كان عليه في الجاهلية، وفي الحجر قبر هاجر أم إسماعيل ﵇، انظر: معجم البلدان، باب الحاء و الجيم 211/2.

(7) أخرجه أحمد في مسنده و بإسناده قال: حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23248) و نحوه في ح (23475) من المسند نفسه.
وإسناد الحديث فيه علتان: اختلاط عطاء بن السائب وهو صدوق، و تغيُّر حفظ الثقة حمَّاد بن سلمة بأخرة، أمَّا بقية الرواة فهم ثقات.

سألت عائشة أم المؤمنين النبي ﷺ إن كان لها أن تدخل الكعبة كما سائر أزواجه رضوان الله عليهن، فأرسلوا لشيبة قريبها، والذي أخبرهم أنَّ الكعبة لم تُفتح بالليل لا في الجاهلية ولا الإسلام، فأخبرها ﷺ أنَّ الحجر من البيت، فلتُصَلِّ فيه.

ويرى البدر العيني أنَّ الحِجر كله من البيت، فقد قصَّرت بهم النفقة الطيبة التي أخرجوها عن إتمام بناء الكعبة[1].

المسألة الخامسة: عن سبب غضب النبي ﷺ

قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ؟، قَالَ:" أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ؟!، – قَالَ الْحَكَمُ[2]: كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ–، وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا[3]".

فأمَّا عطاء بن السائب فقد نصَّ العلماء على أنَّ سماع حمَّاد بن سلمة منه كان قبل اختلاطه، قال يحيى بن معين: حماد بن سلمة سمع من عطاء بن السائب قديمًا قبل الاختلاط (سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين 478/1) ، ونقل عبد الله بن الدورقي عن ابن معين قوله: حديث سفيان وشعبة وحماد بن سلمة عن عطاء بن السائب مستقيم، وقال الدارقطني: دخل عطاء بن السائب البصرة وجلس ، فسماع أيوب وحماد بن سلمة في الرحلة الأولى صحيح ، والرحلة الثانية فيه اختلاط (سؤالات السّلمي للدارقطني 38/1)، وقال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى يقول : شعبة وسفيان وحماد بن سلمة في عطاء خير من هؤلاء الذين بعدهم (انظر قوله في: شرح علل الترمذي لأبي جعفر الطحاوي 735/2)، ولخَّص ذلك ابن الكيَّال بقوله: وقد استثنى الجمهور رواية حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب (الكواكب النيرات 325/1)، وخالفهم في ذلك العقيلي، فقد ذكر أنَّ حماد بن سلمة كان ممن سمع من عطاء بعد الاختلاط (انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي 399/3).

وأمَّا تغيُّر حفظ حماد بن سلمة بأخرة، فقد كان الثقة الحسن بن موسى الأشيب من متثبتي أهل بغداد كما قال عنه أحمد بن حنبل (الجرح والتعديل 38/3).

تقول الباحثة: إسناد هذا الحديث حسن، ومع ذلك فالحديث صحيح بلا خلاف، إذ له متابعة في الصحيح بنحوه (انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة، ح (1583)، و في كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، ح (3368)، وصحيح مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ح (1333).

(1) العمدة، خلال شرح باب فضل مكة وبنيانها، من كتاب أحاديث الأنبياء 219/9.

(2) هو الحَكم بن علي، أحد رواة الحديث، وقد شَكَّ في لفظ النبي ﷺ مع ضبطه لمعناه.

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه، ح (1211).

لقد سألت عائشة ﷺ وهي الزوجة المُحبة محمداً ﷺ عمَّن أغضبه، مُشاركةً إيَّاه في همِّه كما فرحه، فقد كان ﷺ مُستاءً من تردُّد المسلمين فيما أمرهم به ﷺ، وقد كان مُهِلّا بالحج.

قال النووي: أَمَّا غَضَبه ﷺ فَلِانْتِهَاكِ حُرْمَة الشَّرْع، وَتَرَدُّدهمْ فِي قَبُول حُكْمه وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى: (فَلَا وَرَبِّك لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَرَ بَيْنهمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسهمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْت وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)(1) ، وَالْحُزْن عَلَيْهِمْ فِي نَقْص إِيمَانهمْ بِتَوَقُّفِهِمْ.

وَفِيهِ دَلَالَة لِاسْتِحْبَابِ الْغَضَب عِنْد اِنْتِهَاك حُرْمَة الدِّين، وَفِيهِ جَوَاز الدُّعَاء عَلَى الْمُخَالِف لِحُكْمِ الشَّرْع، وفيه دَلِيل عَلَى جَوَاز قَوْل (لَوْ) فِي التَّأَسُّف عَلَى فَوَات أُمُور الدِّين وَمَصَالِح الشَّرْع، وَأَمَّا الْحَدِيث الصَّحِيح فِي أَنَّ " لَوْ تَفْتَح عَمَل الشَّيْطَان" فَمَحْمُول عَلَى التَّأَسُّف عَلَى حُظُوظ الدُّنْيَا وَنَحْوهَا(2).

المسألة السادسة: صلاة النبي ﷺ على أهل البقيع

قالت عَائِشَةَ ﷺ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجَ، قَالَتْ: فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي بَرِيرَةَ تَتْبَعُهُ، فَتَبِعَتْهُ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ(3)، فَوَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَسَبَقَتْهُ بَرِيرَةُ فَأَخْبَرَتْنِي، فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: " إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ لأُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ(4)".

---

(1) سورة النساء، آية 65.

(4) شرح النووي على مسلم 301/4.

(3) البَقيع: هو مقبرة أهل المدينة، وهو داخل المدينة، و أصل البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيع الغرقد، كذا في معجم البلدان للحموي، باب الباء و القاف 473/1.

(4) أخرجه مالك في الموطأ واللفظ له، وقد روى مالك الحديث عن عَلْقَمَةَ بْنِ أَبِي عَلْقَمَةَ (واسمه بلال) عَنْ أُمِّهِ (مُرجانة) أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ ﷺ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ تُحدِّث (الموطأ، الجنائز 341/2).

ومن طريق مالك بن أنس أخرجه النسائي في سننه الصغرى به بمثله (الجنائز، في الأمر بالاستغفار للمؤمنين، ح (3964)، و كذلك ابن حبَّان في صحيحه به بمثله (صحيح ابن حبان، كتاب الحج، ذكر أمر الله جل وعلا صفيه ﷺ أن يدعو لأهل البقيع 63/9 ح (3748)، والحاكم أيضاً أخرجه في مستدركه به بنحوه (كتاب المناسك، ح (1749).

وإسناد حديث مالك صحيح إذ رواته ثقات.

افتقدت السيدة عائشة ﵁ زوجها ليلاً، فأرسلت مولاتها بريرة في أثره، ولم تكتم محمدًا ﷺ ما راودها من خواطر، فسألته أين خرج، فطمأناها ﷺ بجوابه أنَّه كان يدعو لأهل البقيع من الأموات و يستغفر لهم، دون أن يتذمَّر من سؤالها ذاك، أو يستثقل من مُراقبتها له، و فيه من الأدب النبوي ما يُقوِّم حياة الأزواج و يرسم حدود حُرِّيتهم، كما فيه من حُسن مُعاملة الزوجة والرأفة بحالها خاصة إن كان من دلالات لغيرتها.

أمَّا صلاة النبي ﷺ على أهل البقيع، فقد فسَّرها أبو عمر بن عبد البر بقوله: يُحتمل أن تكون الصلاة ها هنا الدعاء، فإن كان ذلك ففيه دليل على أن زيارة القبور والدعاء لأهلها عندها أفضل وأرجى لقبول الدعاء، فكأنه أمر أن يستغفر لهم ويدعو بالرحمة كما قيل له: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1]، ويُحتمل أن تكون الصلاة ها هنا الصلاة على الموتى، وقد قيل: إن خروجه للبقيع للصلاة على أهله كان كالمودع للأحياء والأموات[2].

المسألة السابعة: حراسة رسول الله ﷺ بداية الدعوة

كانت عائشة ﵁ تُحدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَهِرَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهِيَ إِلَى جَنْبِهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَتْ: فَقَالَ:" لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ"، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ:" مَنْ هَذَا؟"، قَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ[3]، فَقَالَ:" مَا جَاءَ بِكَ؟"، قَالَ: جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ غَطِيطَ[4] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ[5].

---

(1) سورة محمد، آية 19.

(2) الاستذكار 120/3.

(3) سعد بن مالك: بن أهيب، ويقال له: ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، أبو إسحاق بن أبي وقاص ، أحد العشرة وآخرهم موتاً، وكان مجاب الدعوة ، اختُلف في سنة وفاته، فقيل: مات سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، والثاني أشهر، وقد قيل: إنه مات سنة خمس، وقيل: سنة أربع، كذا في الإصابة لابن حجر، في ذكر من اسمه سعد 62/3.

(4) الغطيط: هو صَوْتٌ يُخْرِجُهُ النَائِمُ مَع نَفَسِهِ، كذا في غريب الحديث لإبراهيم الحربي، 639/2.

(5) أخرجه أحمد بإسنادٍ صحيح وبلفظه، من طريق يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عائشة ﵁ (المسند، حديث السيدة عائشة ، ح (25835).

والحديث صحيح، وله أصل صحيح عند البخاري ومسلم من نفس طريق يحيى بن سعيد بنحوه (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَاب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ح (2672)، وكذلك في كتاب التمني، بَاب قَوْله ﷺ لَيْتَ كَذَا وَكَذَا، ح (6690)، ومسلم (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، بَاب فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح (4427)، و ح(4428).

لاحظت أم المؤمنين ﵂ السُّهاد وقد غزا النبي ﷺ، فسألته عن سببه، فأَعْلَمها ﷺ برغبته فيمن يحرُسه تلك الليلة، وقد حقَّق الله عز وجل لنبيَّه ما تمنَّى دون سؤلٍ منه ﷺ، وإذا بسعد بن مالك رضي الله عنه يُقبِل لحراسة رسول الله ﷺ، فارتاح النبي ﷺ ونام مُستغرِقاً حتى سُمع غطيطه.

وقد استنبط البدر العيني بعض الفوائد من الحديث، منها: الأخذ بالحذر والاحتراس من العدو، وأنَّ على النَّاس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل، كما فيه الثناء على من تَبَرَّع بالخير وتسميته صالحاً، و أنَّ التوكل لا يُنافي تعاطي الأسباب، لأنَّ التَّوكل عمل القلب، وهي عمل البدن[1].

وزاد المُهلَّب في الفوائد قائلاً: فيه دليل أنَّ هذا كان قبل أن ينزل عليه: (واللهُ يَعْصِمُكَ مِن النَّاسِ)[2] وقَبل أن ينزل عليه: (إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتهزِئِين)[3]، لأنَّه قد جاء في الحديث أنَّه لما نزلت هذه الآية ترك الاحتراس بالليل.

وفيه: أنه متى سمع الإنسان حِسّ سلاح بالليل أن يقول: من هذا؟، ويُعلم أنه ساهر لئلا يطمع فيه أهل الطلب للغرة والغفلة؛ فإذا عُلم أنه مستيقظ ردعهم بذلك[4].

وقد خالفه ابن بطَّال في كون الحدث وقع قبل نزول الآيات السابقة، فقال: يُمكن أن يكون هذا الحديث قبل أن ينزل عليه: (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[5]، فلما عَلم ذلك لم يَحْتَج إلى حارس بعد، ويمكن أن يفعله ﷺ بعد نزول الآية عليه ليسْتَنَّ به الأمراء، ولا يضيعوا حرس أنفسهم في أوقات الغرة والغفلة، كما نبَّه ابن بطَّال على أنَّ الحديث فيه إباحة تمنِّي ما يُنتفع به في الدنيا[6].

ويُعدُّ هذا الحديث من دلائل فضل سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه وكراماته.

---

(1) العُمدة، خلال شرحه لبابُ الحِرَاسَةِ في الغَزْوِ في سَبيلِ الله، من كتاب الجهاد والسير 170/14.

(2) سورة المائدة، آية 67.

(3) سورة الحجر، آية 94.

(4) أورد ابن بطَّال قول المُهلَّب في شرحه للبخاري، خلال شرحه لباب الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، من كتاب الجهاد والسير 83/5.

(5) سورة المائدة، آية 67.

(6) شرح ابن بطَّال للبخاري، في شرحه لباب قَول النَّبِي ﷺ: " لَيْتَ كَذَا وَكَذَا"، من كتاب التَّمني 289/10.

المسألة الثامنة: أشدّ يوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدَّثت أم المؤمنين عائشة ﵂: أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ:" لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ(1)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ(2)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ(3)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا(4)".

سألته ﵂ كما يدور بين الأزواج من حوارات عن أشد يوم لقيه، وكانت تعلمُ ما لقي النبي ﷺ والمسلمون من العنت يوم أُحُد، فروى لها عن ما لقيه من قريش يوم العقبة، وقد كان أشد ما واجهه النبي ﷺ، وقد كان ذلك بعد موت زوجه خديجة ﵂ وعمه أبو طالب، ومع ذلك رحمهم ودعا الله أن يُخرج من ظهورهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

---

(1) العقبة: عقبةٌ بين مِنًى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين، وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدءِ أمره يوافي الموسم بسوق عُكاظ وذي المجاز ومَجَنةٍ، ويتتبع القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليبلغ رسالات ربه فلا يَجدُ أحداً ينصره، كذا في معجم البلدان لياقوت، باب العين والقاف وما يليهما 237/3.

(2) قرن الثعالب: هو نفسه قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة، وقيل: هو ميقات أهل اليمن والطائف، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب القاف والراء332/4.

(3)الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى مِنى، وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، وقيل: هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمِنى، انظر: معجم البلدان للحموي، باب الهمزة والخاء122/1.

ويقال بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك ويسميان الجبجبين أيض

(4) في الصحيحين، أخرجه البخاري و اللفظ له، في كتاب بدء الخلق، بَاب إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ح (3231).

ومسلم أخرجه بمثله، في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه و سلم من أذى المشركين والمنافقين، ح (1795).

وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحمله، وهو موافق لقوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ) [1]، وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [2]، كما قال العسقلانيُّ ابن حجر[3].

المسألة التاسعة: فَزَع النبي ﷺ لعثمان بن عفَّان دون أبي بكر وعُمر رضي الله عنهم جميعا

أخبرت عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لَابِسٌ مِرْطَ[4] عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ؛ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ:" اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ"، فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَالِي لَمْ أَرَكَ فَزِعْتَ[5] لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ؟، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ"[6].

سألت عائشة ﵂ زوجها ﷺ عن عدم اكتراثه لدخول أبي بكر الصِّدِّيق وعُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، واهتمامه بهيئته وزوجه عند استئذان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فأخبرها ﷺ أنَّ لعثمان فضيلة يتميَّز بها، ألا وهي الحياء

فخشي النبي اللبيب ﷺ أن يحول حياء عثمان مع تبسُّط النبي ﷺ في هيئته دون قضاءه حاجته التي أتى لأجلها، فكان المقام الأنسب لتعامل النبي ﷺ مع عثمان الحيي، الذي تستحيي منه الملائكة لشدة حيائه، و هو من باب إنزال النَّاس منازلهم.

---

(1) آية 159 من سورة آل عمران.

(2) آية 107 من سورة الأنبياء.

(3) فتح الباري، خلال شرحه لباب ذكر الملائكة من كتاب بدء الخلق 16/10.

(4) المُروط: هي أَكْسِيَةٌ من صُوف وربما كانت من خَزٍ، قاله: الزَّمخشري في الفائق، في الميم مع الراء، 359/3.

(5) قال ابن الأثير: يقال: فَزْعتَ لِمَجيء فُلان، إذا تأهَّبْتَ له مُتَحوِّلا من حالٍ إلى حال، كما يَنْتَقِل النائم من حال النَّوم إلى حال اليَقظة، كذا في النهاية، باب الفاء مع الزاي، مادة فزع 1053/3.

(6) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ح (2402).

قال القاضي عياض: وسؤال عائشة له بعد ذلك عن هذا، فقال :" إن عثمان رجل حييّ ، فإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إلى في حاجته"، فقد بيَّن العِلَّة التي خالف فعله مع عثمان فعله مع أبى بكر[1].

وقد أراد رسول الله ﷺ حين قال لزوجه عائشة ﵂: "اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ"، أنْ ضُمِّيها وزيدي في الاستتار بها، كما قال ابن الجوزي[2].

المسألة العاشرة: ما سيكون من رسول الله ﷺ لو ماتت عائشة ﵂

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: وَا رَأْسَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَا ثُكْلِيَاهْ[3]، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، وَأَعْهَدَ[4] أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ[5]".

أحبَّ النبي ﷺ أن يُداعب زوجه عائشة ﵂ تخفيفاً عمَّا تشعر به من ألم في رأسها، فمازحها بالتَّمنِّي لو ماتت قبله فيدعو لها و يستغفر، فلم يَرُق لعائشة ﵂ ما قال، فسألته بدلال وهي غَيرى، إن كان يُحِبُّ موتها، وإن كان سيتزوَّج بعدها وينشغل بعروسه، ومقال عائشة ﵂ نَبَع من حبها الشديد لزوجها ﷺ، ومعرفتها بمكانتها عنده ﷺ، وعادةً ما يَرِدُ ذلك بين الأزواج وأكثر.

فما كان من النبي ﷺ إلَّا أن أرضاها وصرفها عن وجع رأسها إلى ما ألمَّ به هو من ألم رأسه، وقد كانت بداية مرضه الذي توفي فيه، وكأنَّه يقول لها: دعكِ من نفسك فلن تموتي الآن، وانشغلي بي وأنا المريض.

---

(1) إكمال المُعلم، للقاضي عياض اليحصُبي، في شرحه لفضائل عثمان بن عفَّان رضي الله عنه 204/7.

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي 122/1.

(3) واثكلياه: من الثّكل، والثُّكْل: فقْد الوَلَد، والموت يَعُمُّ كلَّ أحد فإذَنْ الدعاء به كَلاَ دُعَاء، ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تَجْري على ألسِنة العرب ولا يُرادُ بها الدُّعاء، كقولهم تَرِبَتْ يدَاك وقاتَلك اللّه، انظر: النهاية، باب الثاء مع الكاف، مادة ثكل 160/1.

(4) أعهد: من العهد، يعني الوصية والأمر، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام 582/2.

(5) صحيح البخاري، كتاب المرضى، بَاب قَوْلِ الْمَرِيضِ إِنِّي وَجِعٌ أَوْ وَا رَأْسَاهْ أَوْ اشْتَدَّ بِي الْوَجَعُ وَقَوْلِ أَيُّوبَ ﵇: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) آية 83 من سورة الأنبياء، ح (5666).

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يوصي بالخلافة لأبي بكر من بعده، لكنَّه عدَل عن ذلك، أمَّا في ذكره لابن أبي بكر وهو لا علاقة له بالخلافة فقد أجاب البدر العيني قائلاً: بأن المقام مقام استمالة قلب عائشة ﵂، يعني أن الأمر مفوض إلى والدك كذلك الائتمار في ذلك بحضور أخيك وأقاربك، هم أهل أمري وأهل مشورتي، أو لمَّا أراد تفويض الأمر إليه بحضورها أراد إحضار بعض محارمه حتى لو احتاج إلى رسالة إلى أحد أو قضاء حاجة لتصدي لذلك، والله أعلم[1].

والحديث فيه دليل قاطع على خلافة أبي بكر كما قال المهلَّب[2].

المسألة الحادية عشر: عن الصَّدقة

قالت عَائِشَةَ ﵂: ذَبَحُوا شَاةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ إِلَّا كَتِفُهَا؟!، قَالَ:" كُلُّهَا قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَتِفَهَا[3]".

(1) عمدة القاري، أثناء شرح باب قَوْلِ المَرِيضِ : إِنِّي وجِعٌ ، أَوْ : وَارَأْساه ، أَوِ : اشْتَدَّ بِي الوَجَعُ، من كتاب المرضى 223/21.

(2) رأي المُهلَّب أورده ابن بطَّال في شرحه للبخاري، خلال شرحه لباب الاستخلاف 282/8.

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده(مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، ح (24240)) ومن طريقه أخرجه الترمذي في سننه (في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في باب [لم يُسمِّه]،ح (2470)) عن يحيى بن سعيد، عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق (عمرو بن عبد الله السبيعي)، عن أبي ميسرة (عمروبن شُرَحْبيل الهَمَذاني)، عن عائشة رضي الله عنها.

وقد أخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده (فيما يروى عن أبي ميسرة وابن عابس وسالم وبقية المشيخة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ح 1595) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي به.

كما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الزكاة، فيما جاء في الحث على الصدقة وأمرها، ح (9909)) بنحوه من طريق مسروق عن عائشة رضي الله عنها به.

وقد قال الترمذي معقبا على الحديث: هذا حديث صحيح، وهو كما قال، فإسنادالحديث صحيح، لرجاله الثقات، وليس فيه إلا ما ذكر من اختلاط أبي إسحاق السَّبيعيّ وتدليسه.

(أبو إسحاق هو: عمرو بن عبد الله بن السَّبيع بن سبع الهمداني، من أئمة التابعين في الكوفة وأثباتهم، ولد في سلطان عثمان بن عفان رضي الله عنه، و توفي سنة تسع وعشرون ومئة (انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 6/ 311، و سؤالات الأثرم لأحمد بن حنبل ص 38).

أما اختلاطه: فقد نفاه الإمام الذهبيّ وقال: إنه نسي وشاخ ولم يختلط (ميزان الاعتدال270/3)، وقال العلائي: أنه أحد الأئمة التابعين المتفق على الاحتجاج به (المختلطين ص 94)، أمَّا مَنْ أَثْبَتَه فلم يذكر الثوريّ فيمن سمع منه بعد الاختلاط، بل قال ابن معين: إنما أصحاب أبي إسحاق شعبة وسفيان الثوري (ميزان الاعتدال 209/1)، وقد تابع الثوريّ على هذه الحديث إسرائيل بن يونس، وهو أثبتُ في أحاديث أبي إسحاق من شعبة والثوريّ، كما ذكر ابن مهدي (ميزان الاعتدال 210/1).

وأما التدليس فإن أبا إسحاق مشهورٌ به، مذكور في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين عند ابن حجر (طبقات المدلسين ص42)، لكن تابعه في هذا الحديث مسروقٌ، كما سبق في التخريج، فانتفت العلّة.

ذهلت أم المؤمنين ﵂ من توزيع بيت رسول الله ﷺ جميع الشاة، وعدم إبقائهم إلَّا الكتف، فأخبرها ﷺ أنَّهم بتصدُّقهم بجميع أجزاء الشاة قد نالوا الأجر الأوفى، إلَّا الكتف التي احتفظوا بها لم ينالوا بركة الإنفاق في سبيل الله فيها.

وقد فسَّر المُعاصر محمد العثيمين قوله ﷺ:" كُلُّهَا قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَتِفَهَا"، بلفتة لطيفة، قال رحمه الله: والمعنى: أنَّ الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأمَّا ما تصدَّقتم به فهو الذي بقي لكم، فالحاصلُ أنَّ الصحابةَ وذوي الهمم العالية هم الذين يعرفون قدر الدنيا وقدر المال، وأنَّ ما قدَّموه هو الباقي، وما أبقوه هو الفاني، نسأل الله أن يعيذنا والمسلمين من الشُّح والبُخل والجُبن والكَسَل(1).

المسألة الثانية عشر: عن الطَّاعون(2)

سأَلت عَائِشَةَ ﵂ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّاعُونِ، قالت: فَأَخْبَرَنِي:" أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيد(3)".

لقد أجاب النبي ﷺ على تساؤل أم المؤمنين ﵂ بأنَّه من أنواع العذاب التي يبتلي الله بها عباده، لشِدَّته و فتكه بمن يصيبه، أعاذنا الله وإياكم، ومع ذلك أخبرها ﷺ أنَّ فيه رحمة لمن أصابه من هذه الأُمَّة المُسلمة.

وقد أشار ابن بطَّال إلى أنَّ الله أعْلَم عباده أن ما يصيبهم في الدنيا من الشدائد والمِحَن والضيق والخصب والجدب، أنَّ ذلك كله فعل الله يفعل من ذلك ما يشاء بعباده، ويبتليهم بالخير والشر، وذلك كله مكتوب في اللوح المحفوظ (4).

---

(1) شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح العثيمين، خلال شرحه لباب الإنفاق مما يحب ومن الجيِّد، ضمن حديثه عن الآداب العامة 166/3.

(2) الطَّاعون: هو وباء فتَّاك معروف، عرَّفه ابن القيِّم الجَوزيَّة بقوله: هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الطّبّ: وَرَمٌ رَدِيءٌ قَتّالٌ، يَخْرُجُ مَعَهُ تَلَهّبٌ شَدِيدٌ مُؤْلِمٌ جِدّا يَتَجَاوَزُ الْمِقْدَارَ فِي ذَلِكَ، وَيَصِيرُ مَا حَوْلَهُ فِي الْأَكْثَرِ أَسْوَدَ أَوْ أَخْضَرَ أَوْ أَكْمَدَ، وَيَؤولُ أَمْرُهُ إلَى التّقَرّحِ سَرِيعًا، وَفِي الْأَكْثَرِ يَحْدُثُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْإِبْطِ ، وَخَلْفَ الْأُذُنِ وَالْأَرْنَبَةِ، وَفِي اللّحُومِ الرّخْوَةِ، انظر: الطِّب النبوي 48/1.

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم،(بابٌ) ولم يُسمِّه، ح (3474)، وفي كتاب الطِّب، باب ما يُذكر في الطَّاعون، ح (5734)، وكذلك في كتاب القَدَر، باب (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) الآية 51 من سورة التوبة، ح (6619).

(4) شرح ابن بطَّال للبخاري، خلال شرحه لباب (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا) آية 51 من سورة التوبة، من كتاب القَدَر 326/10.

قال العيني: هو رحمةٌ للمسلمين، رحمةٌ من حيث أنَّه يتضمَّن مثل أجر الشهيد، وإن كان هو مِحنة صُورة، أمَّا قوله ﷺ: "إلاَّ كان له مثل أجر الشهيد"، فقد وَضَّح العيني معنى المثلية هنا كونه جاء مَنْ مَاتَ بالطَّاعون كان شهيداً، قال: معنى المِثلية أنَّ من اتصف بالصفات المذكورة ووقع به الطاعون ثم لم يمت منه؛ أنه يحصل له مثل أجر الشهيد وإذا مات بالطاعون يحصل له أجر الشهيد، فقوله ﷺ: " مَنْ مَاتَ في الطَّاعون كان شهيداً[1]"، يعني: حُكماً لا حقيقة[2].

وكذلك قال القاضي عِياض: وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله على أربابها؛ لشِدَّتها وعظيم الألم فيها، فجازاهم الله على ذلك، بأنْ جعل لهم أجر الشهداء، أو يُحتمل أنهم سُمُّوا بذلك لمشاهدتهم فيما قاسوا من الألم عند الموت وشدته، ما أعد لهم كما أعد للشهداء ،أو سُمُّوا بذلك على أحد التأويلات[3].

لكنَّ النووي اختصَّ من كان قبلنا بكونه عذابًا لهم، قال: وأمَّا هذه الأمة فهو لها رحمة وشهادة.

ومذهب جمهور العلماء على منع القدوم على بلد الطاعون، ومنع الخروج منه فرارًا من ذلك، أمَّا الخروج لعارض فلابأس به، فقد اتفقوا على جواز الخروج بشغل وغرض غير الفرار[4].

المسألة الثالثة عشر: حكم من سبَّه النبي ﷺ أو لَعَنه

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُو، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا[5] وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، ح (1915).

(2) انظر: العُمدة بتصرُّف، خلال شرحه لكتاب الطِّب ، باب أجْرِ الصَّابِرِ في الطَّاعُونِ 261/21.

(3) الإكمال، باب بيان الشهداء، من كتاب الإمارة 174/6.

(4) المنهاج، خلال شرحه للطاعون والطيرة و الكهانة وغيرها 36/7.

(5) أصل اللَّعْن: الطَّرْد والإبْعاد من اللّه، ومن الخَلْق السَّبُّ والدُّعاء، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب اللام مع العين، مادة لعن 1266/4.

هَذَانِ، قَالَ:" وَمَا ذَاك؟" قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: "أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ[1] عَلَيْهِ رَبِّي؟، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً[2] وَأَجْرًا[3]".

تعجَّبت أم المؤمنين ﵂ من صنيع رسول الله ﷺ مع الرجلين فقد لعنهما وسبَّهما، وهو أمرٌ عظيم لم تعهده على رسول الله ﷺ في تعامله اللَّيِّن ورفقه بالنَّاس، فقد خاب وخسر هذان الرجلان، ولم ينالا من الخير شيئاً، فسألته عن ذلك مُشفقةً على الرَّجلين، فأجابها نبي الرحمة ﷺ، أنَّه بشر يغضب كما يغضبون، إلَّا أنَّه عهِد إلى ربِّه أنَّ من لعنه أو شتمه تكون له رحمةً و أجراً.

وقد يتساءل البعض كيف يدعو الرسول صلوات الله عليه بدعوة على من ليس لها بأَهْل وهذا مما لا يليق به ﷺ؟، فيجيبه القاضي عياض بقوله: المراد بقوله : ليس لها بأهلٍ عندك في باطن أمره، لا على ما يظهر اليه عليه الصلاة والسلام، مما يقتضيه حاله حين دعائه عليه، فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول: من كان باطن أمره عندك أنه ممن يرضى عنه فاجعل دعوتي عليه الذى اقتضاها ما ظهر إلي من مقتضى حاله حينئذٍ طهورًا وزكاة .

وهذا معنى صحيح لا إحالة فيه، وهو عليه الصلاة والسلام متعبد بالظواهر ، وحساب الناس في البواطن على الله تعالى[4].

قال ابن حجر العسقلانيُّ: وفي الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته، وجميل خلقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم، وهذا كله في حق مُعَيَّن، وفي زمنٍ واضح، وأما ما وقع منه بطريق التعميم لغير معين حتى يتناول من لم يدرك زمنه ﷺ فما أظنه يشمله والله أعلم[5].

---

(1) قال الزَّمخشري في الفائق: يقال: أشرط نفسَه لكذا إذا أعلَمها له وأَعَّدها، انظر: الشين مع الراء 238/2.

(2) أصل الزكاة في اللُّغة: الطَّهارةُ والنَّماءُ والبركَةُ والمدحُ، كذا قال ابن الأثير، في النهاية، باب الزاي مع الكاف، مادة زكا 584/2.

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة و الآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه و سلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرًا ورحمة، ح (2600).

(4) إكمال المعلم، في شرحه لباب من لعنه النبي ﷺ، من كتاب البر والصلة 34/8.

(5) فتح الباري، في شرحه لباب قول النبي ﷺ من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة، من كتاب الدعوات 142/18.

المسألة الرابعة عشر: في معرفة النبي ﷺ غضب عائشة ﵂ و رِضاها

حدَّثت أم المؤمنين ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال لها:" إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ"، قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ:" إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً؛ قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ"، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ لَسْتُ أُهَاجِرُ[1] إِلَّا اسْمَكَ[2].

كان النبي ﷺ يُخبر زوجه عائشة عن مدى معرفته بها وبِطِباعها، فهو يعرفُها في حال رِضاها أو سَخَطِها عليه ﷺ، فذهلت عائشة ﵂ من عميق معرفة زوجها ﷺ بشخصيَّتها، وسألته كيف له أن يعرفَ حال رضاها أو غضبها، فأعلمَها زوجها المُحِبُّ أنَّه التفت لتمييزها في الدَّعوة لرب العالمين، ففي حال المَسَرَّة تقول: ربُّ مُحَّمد، أمَّا في حال الغضب فربُّ إبراهيم عليهما السلام.

فأقَرَّت عائشة ﵂ بفطنته ﷺ في معرفة أحوالها المُتقلِّبة – حال البشر–، و بادرته بحُبٍّ أنَّها لا تقوى إلا على هجران اسمه فقط، فمهما غضبت منه لا يتزحزح مكانه من قلبها قيد أنملة.

وقد ذَكَرَت إبراهيم ﵇ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنه أولى الناس به، كما نص عليه القرآن، وفيه دلالة على فطنة عائشة ﵂ وقوة ذكائها كما قال البدر العيني[3].

ولقد أشار القاضي عياض إلى أنَّ مغاضبة عائشة ﵂ للنبي ﷺ هو من الغيرة التي عفا عنها لها من أجلها، وعن النساء في كثير من الأحكام، و إلَّا لكان على عائشة ﵂ في ذلك من الحرج ما فيه، لأن الغضب على النبي عليه الصلاة والسلام وهجره كبيرة لمن فعله واعتقده وعظَّمه.

وقد ذهب بعض اهل العلم إلى الاستدلال بهذا الحديث على أن مثل هذا: مِنْ ترك

---

(1) المعنى: لستُ أهجر إلا اسمك، من الهجر الذي هو ضد الوصل.

(2) أخرجه الشيخان، البخاري في صحيحه، واللفظ له، في كتاب البر والصلة، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْهِجْرَانِ لِمَنْ عَصَى، ح (6078) وفي كتاب النكاح، بَاب غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ، ح (5228).

ومسلم أخرجه في الصحيح بمثله، في كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب في فضل عائشة ﵂، ح (2439).

(3) عمدة القاري، خلال شرح كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن 210/20.

ذكر الاسم، وبسط الوجه ، وترك السلام ، والإعراض، هو الذى يباح عند المغاضبة بين المسلمين، والوجه عليه في أمور الدنيا، ولا يحل ذلك بعد ثلاث ، وأما ما زاد على ذلك من الاجتناب وقطع الكلام جملة ، فهذا لأهل الفسوق والمعاصي تأديبا لهم[1].

وقد استدلَّ ابن بطَّال من الحديث أنَّ فيه الصبر على النساء وعلى ما يبدو منهن من الجفاء والحرج عند الغيرة، لما جُبلن عليه منها، وأنَّهن لا تَملكنها، فعفى عن عقوبتهن على ذلك وعذرهن الله فيه[2].

المسألة الخامسة عشر: عطاء النبي ﷺ لأزواجه رضوان الله عليهن

عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَادِيَةِ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَعْطَى نِسَاءَهُ بَعِيرًا بَعِيرًا غَيْرِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَهُنَّ بَعِيرًا بَعِيرًا غَيْرِي فَأَعْطَانِي بَعِيرًا أَدَمًا[3] صَعْبًا، لَمْ يُرْكَبْ عَلَيْهِ، فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي بِهِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يُخَالِطُ شَيْئًا إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُفَارِقُ شَيْئًا إِلاَّ شَانَهُ[4]".

سألت عائشة ﵂ من زوجها ﷺ أن يعطيها بعيراً مثلما أعطى غيرها من أزواجه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، فاستجاب لسؤلها صلى الله عيه وسلم، وأعطاها ناقةً لم تُركب ولم تُذلَّل، لكنه لم ينس أن يلفتها للخُلُق الكريم والرفق في التعامل حتى مع البهائم، فما تحلَّى أحدٌ بالرِّفق إلا نال خيراً كبيراً، و اشتمل على مكارم الأخلاق التي ترفع من قدر صاحبها، وما نُزع الرِّفق واللين من شيء إلَّا عابه و أنقصه.

---

(1) إكمال المُعلم، خلال شرح باب فضل عائشة ﵂، من كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم 226/7.

(2) شرح ابن بطَّال للبخاري، خلال شرحه للحديث في باب غيرة النساء ووجدهن، من كتاب النكاح 352/7.

(3) الأُدْمة في الإبل: البياض مع سواد المقلتين، قاله: الزمخشري في الفائق، في الهمزة مع الدال 30/1.

(2) أخرجه أحمد في مسنده من طريق المقدام بن شريح عن أبيه (شريح بن هانئ) عن عائشة رضي الله عنها (مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، ح (24808)) وإسناد الحديث صحيح ، فرواته ثقات رجال مسلم. والحديث أصله عند مسلم (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ح (2549)).

المسألة السادسة عشر: تغيُّر حال النبي ﷺ بعد دخوله الكعبة

حدَّثت عائِشَة ﵂ قَائلة: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِي، وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ[1] طَيِّبُ النَّفْسِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ وَهُوَ حَزِينٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنْتَ قَرِيرُ الْعَيْنِ وَرَجَعْتَ وَأَنْتَ حَزِينٌ؟!، فَقَالَ:" إِنِّي دَخَلْتُ الْكَعْبَةَ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ أَتْعَبْتُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي[2]".

كان من حُسْن تَبَعُّل السيدة عائشة ﵂ سؤالها زوجها عمَّا يُهِمُّه من الأمر، ومراقبتها لتعابير وجهه المُتغيِّرة، ما بين فرح وحزن، وهو حال المُحبِّين.

فقد لفتها خروجه ﷺ من عِندها مُشرِقاً مُستبشِراً، وعودته كئيباً مهموماً، فما كان منها إلا أن سألتْه عمَّا طرأ عليه و غيَّر حاله، فأخبرها ﷺ أنَّه قد دخل الكعبة قُرباناً لله عز وجل، لكنَّه خشي أن يَشُقَّ على أُمَّته باقتدائهم بصنيعه ﷺ.

---

(1) قرير العين: أي فرِحاً مسروراً، وقيل: معنى أقَرّ اللّه عينَك: بَلّغَك أُمْنيَّتك، حتى تَرْضى نفْسُك وتَسْكُن عيْنُك، فلا تستشرف إلى غيره، انظر: النهاية لابن الأثير، باب القاف مع الراء، مادة قرر 1113/3.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه (في المناسك، باب دخول الكعبة، ح (3055)، وأبو داود (السنن، كتاب المناسك، باب في الحجر، ح (2031)، والترمذي (السنن، كتاب الصوم، باب ما جاء في دخول الكعبة، ح (873)، وأحمد في مسنده (في مسند السيدة عائشة ﵂، ح (23905) ، ابن خزيمة في صحيحه (كتاب المناسك، باب ذكر الدليل على أن دخول الكعبة ليس بواجب، ح (3014)، والحاكم في مستدركه (كتاب المناسك، ح (1717)، جميعهم من طريق إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيراء، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة ﵂.

وإسناد الحديث حسن، لأجل إسماعيل بن عبد الملك فقد اختُلف في توثيقه، ضعَّفه ابن معين بقوله: ليس بالقوي (تاريخ بن معين رواية الدُّوري 302/3)، وكذلك قال النّسائي (الضعفاء والمتروكون ص 16)، وكان عبد الرحمن بن مهدي يُحدِّث عنه ثم أمسك فما حدَّث عنه (الكامل في الضعفاء لابن عدي 450/1).

وقد حدَّث عنه عدد من الأكابر، قال ابن عدي: حدث عنه الثوري وجماعة من الأئمة وهو ممن يُكتب حديثه (الكامل 451/1)، وكان أحمد بن حنبل فيمن يُحدِّث عنه (سؤالات أبو داود، باب أهل الكوفة 312/1)، وقد ندم يحيى بن سعيد على تركه الأخذ عن إسماعيل بن عبد الملك، فروى عن سفيان عن إسماعيل، وهذا مما يدل على شدة الاختلاف في إسماعيل ، وتراجع يحيى بن سعيد المعروف بتشدُّده يحمل دلالة قوية لصالحه (التاريخ الكبير للبخاري 367/1)، وقد عدَّه ابن حجر فيمن اختُلف فيه والعمل على توثيقه (لسان الميزان178/7)، وكذلك الذهبي ذكره فيمن تُكلِّم فيه وهو موثق (ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ص46) والذي أراه أن حديثه حسنٌ إن شاء الله.

وقد عقَّب الترمذي على الحديث بقوله: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وكذلك قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن خوف النبي ﷺ على أُمَّته من التعب والمشقَّة قال أبو جعفر الطَّحاوي: يُحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أراد بذلك القول: الخوف منه على أنَّه يكون الاقتداء به فيما فعله حتى يكون عندهم مما لا يَتِم حَجُّهم إلا به، فأهَمَّه ذلك لا ما سواه[1].

قالت الباحثة: وهذا من جميل ما يُستدل به على عدم الوقوف على حرفيَّة النصوص، فقد كان النبي صلى الله علي وسلم يتعبَّد بروح الإسلام و خشي أن يَشُقَّ على أُمَّته، فيأتيهم ذو فهم قاصر ويجبرهم على ما هو ليس بفرض.

وياليت شعري ماذا يقول رسولنا ﷺ لو رأى ما عليه المسلمون اليوم من تناحرٍ مردوده إلى قصورٍ في فهم تعاليم الدين وسماحته، وكأنَّ هذا الحديث فيه رسالة للعلماء أن يسِّروا على النَّاس مما فيه فسحة، ولا تتنطَّعوا فتشُقُّوا عليهم.

المسألة السابعة عشر: من أسرع النَّاس لحاقاً بالنبي ﷺ ﵃

عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا"، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ لَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا ذَعَرَنِي[2]، فَقَالَ:" وَمَا هُوَ؟"، قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِي أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لَحَاقًا، قَالَ:" نَعَمْ"، قَالَتْ: وَعَمَّ ذَاكَ؟، قَالَ:" تَسْتَحْلِيهِمْ الْمَنَايَا[3]، فَتَنَفَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ؟، أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟، قَالَ:" دَبًى[4] يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمْ السَّاعَةُ[5]".

---

(1) بيان مشكل الآثار للطحاوي، ضمن باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من وده أنه لم يكن دخل الكعبة بعدما كان دخلها، 502/14.

(2) ذَعرني: أي أفزعني، فالذَّعْرُ: الفَزَعُ، انظر: غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي، باب ذعر 281/1.

(3) المنايا: جمع مَنِيَّة، وهي الموت، لأنها مُقَدَّرة بوقت مخصوص، انظر: النهاية ، باب الميم مع النون، مادة منا 1343/4.

(4) الدَّبا مقصورٌ: الجَراد قبل أن يطير، وقيل: هو نوع يشبه الجراد، واحدته دباة، كذا فسَّره ابن الأثير في النهاية، باب الدال مع الباء مادة دبا 430/2.

(5) أخرجه أحمد في مسنده، وبإسناده قال: حَدَّثَنَا هَاشِمٌ (ابن القاسم) قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ يَعْنِي ابْنَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23455)، وح (23378).
قالت الباحثة: رواة الحديث ثقات، وإسناده صحيح.

ابتدر النبي ﷺ عائشة بإخبارها أن قومها قريش أسرع قبائل العرب لحوقاً به، فذُعِرت أمّ المؤمنين من قوله ذاك، وسألته عن بِشارته تلك، فأنبأها أنَّ الموت سيَحِلُّ بهم، فأعادت السؤال عن حال النَّاس عندئذٍ، فكان الجواب أنَّهم يتصارعون كالجراد المنشر، يأكل قويُّه ضعيفه، حتى تقوم عليهم القيامة وهم كذلك.

و النَّاظر للحديث يرى تحقُّق ما بشَّر به النبي ﷺ، سواء في العهد الماضي أو العصر الحالي، فقد دبَّ القتل بين القُرشيِّين في الفتن التاريخية المشهورة، وسال الدم حتى جرى أنهارا، ولم يغيَر الحال إلاَّ للأسوأ، فما زالت الدماء مسفوحة والأرواح مُستباحة، نسأل الله الفرج .

وكان خير مثال ضربه النبي ﷺ، إذ شبَّههم بالجراد، فهو يأكل الأخضر واليابس ولا يُفرِّق، وكذلك الفتنة والقتل طال الصَّالح قبل الطَّالح، و القوي استبدَّ بالضعيف كما الدَّبا.

المسألة الثامنة عشر: مجيء جبريل عليه السلام على صورة دِحْيَة الكَلْبي

قالت السيدة عَائِشَةَ ﵂: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسٍ[1]، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلاً، قُلْتُ: رَأَيْتُكَ وَاضِعاً يَدَيْكَ عَلَى مَعْرَفَةِ فَرَسِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، قَالَ:" وَرَأَيْتِ؟"، قَالَتْ نَعَمْ، قَالَ:" ذَاكَ جِبْرِيلُ ﵇، وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ" قَالَتْ: وَ﵇ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ[2]، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ وَنِعْمَ الدَّخِيلُ[3].

(1) معرفة الفرس: أي مَنْبِت عُرْفه من رَقَبَته، كذا في النهاية، في باب العين مع الراء، مادة عرف 899/3.

(2) الدَّخِيلُ : الضَّيفُ والنَّزيلُ، المصدر السابق، باب الدال مع الخاء، مادة دخل 436/2.

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بلفظه قال: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ (ابن عيينة) عَنْ مُجَالِدٍ (ابن سعيد) عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ (ابن عبد الرحمن بن عوف) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (23322)، والحميدي أخرجه في مسنده عن سفيان به بنحوه (مسند عائشة أم المؤمنين ﵂، ح (279).

ورواة الحديث ثقات، غير مجالدٍ بن سعيد فهو يستدعي التوقف، فقد اختلف فيه العلماء النُّقاد، وهو أقرب للتعديل.

فقد وثَّقه يحيى بن معين قائلاً: ثقة (تاريخ ابن معين رواية الدوري 269/3)، والعجلي قال: جائز الحديث (الثقات ص 420)، و الذهبي قال: صالح الحديث (المُغني في الضعفاء542/2)، وابن حجر قال: صدوق يخطئ (تقريب التهذيب 109/1).

لكن جماعة من العلماء ضعَّفوه، منهم: النسائي (الضعفاء والمتروكون ص 95)، وابن سعد قال: ضعيف الحديث (الطبقات الكبرى 336/6)، و أحمد قال: ليس بشيء (الضعفاء وسؤالات البرذعي 663/2)، وقال ابن عدي: عامَّة ما يرويه غير محفوظ (الكامل 422/6) مما يُشعر بتضعيفه، وقد ضعَّفه يحيى رغم أنَّه كان قد وثقه مرة، قال البخاري: كان يحيى يُضعِّف حديث مجالد بن سعيد (التاريخ الصغير للبخاري 79/2)، وأشار أبو عيسى الترمذي لسوء حفظه فقال: كذلك من تكلم من أهل العلم في مجالد بن سعيد وعبد الله بن لهيعة، إنما تكلموا فيهم من قِبَل حفظهم وكثرة خطئهم، وقد روى عنهم غير واحد من الأئمة (شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي 416/1).

قالت الباحثة: هذا الإسناد يحتمل التحسين.

سألت أم المؤمنين عائشة رسول الله ﷺ عن الرَّجل الذي كان يُحدِّثه، فتعجَّب النبي ﷺ إذ كان جبريل هو ضيفه ودخيله، ونالت عائشة ﵂ من جبريل السَّلام، فكانت لها منقبة و مكرمة.

المسألة التاسعة عشر: ما كان من النبي ﷺ من الشكوى في مرضه

أخبرت السيدة عائشة ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَجَعٌ فَجَعَلَ يَشْتَكِي وَيَتَقَلَّبُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ صَنَعَ هَذَا بَعْضُنَا لَوَجِدْتَ عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُ لَا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ(1) مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً(2)".

لقد اشتكى النبي ﷺ من ألم أصابه؛ فسألته زوجته عائشة ﵂ بإنكار إن كان سيجد عليهن لو فعلن مثل ذلك، فأعلَمها رسول الله ﷺ أنَّ العبد المؤمن يُبتلى أكثر من غيره، لكنَّه يؤجر على ما يُصاب به حتى الشوكة يُشاكها فينال أجرها .

ويكون الابتلاء تكفير للذنب، إذ هو عقوبة بسبب ما كان قد صدر منه من المعصية ، فهو سببٌ لمغفرة ذنبه وهو قول ابن حجر العسقلاني.

إلاَّ أنَّ العز بن عبد السَّلام كان يرى أنَّ الثواب على البلاء إنَّما يكون لمن صبر وشكر، فقد قال: ظَنَّ بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح، فإنَّ الثواب والعقاب إنَّما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا.

---

(1) قال ابن الأثير: النَّكْبة: هي ما يُصِيب الإنسانَ من الحوادث، قاله ففي باب النون مع الكاف، مادة نكب 1433/4.

(2) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه قال: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا مُعَاوِيَةُ – يَعْنِى ابْنَ سَلاَّمٍ – قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِى كَثِيرٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو قِلاَبَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شَيْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ قالت: الحديث (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (26006)، والحاكم أبو عبد الله أخرجه في مستدركه من طريق معاوية بن سلَّام به مختصراً (المستدرك، كتاب الرقاق، 496/1 ح (1278)، وللحديث أصل عند مسلم، ذكره مختصراً في صحيحه عن عائشة ﵂ (كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ح (2572).

وإسناد الحديث صحيح، فرواته ثقات، وقد كان أبو قلابة مدلساً رغم توثيقه إلا أنَّه أثبت: أنَّ عبد الرحمن بن شيبة أخبره مما يزيل شبهة التدليس، وكذلك الحال مع الثقة يحيى بن أبي كثير صرَّح بالإخبار مما يدفع التدليس عنه، وقد عقَّب الحاكم على الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لكنَّ ابن حجر خالفه في رأيه، وتعقَّبه بأن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر، بمجرد حصول المصيبة ، وأما الصبر والرضا فقَدَر زائد يمكن أن يُثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة[1].

المسألة العشرون: رد السّلام على اليهود

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ قَالَ:" وَعَلَيْكُمْ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ"، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ:" أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ[2]".

لقد سألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ إن كان قد سمع مقالة اليهود وخبيث دعائهم، فأخبرها النبي ﷺ أنَّه قد ردَّ عليهم دعاءهم، لكنَّه لفتها إلى خُلُق كريم في التعامل مع النَّاس وإن كانوا يهوداً مؤذين أو مشركين، ألا وهو اللِّين، ونهاها عن العُنف والفُحش، فهو فنٌّ في المُعاملة يفتقرُ إليه النَّاس عامةً، والدُّعاة خاصَّة في تعاطيهم مع الآخرين سِيَّما لو كانوا مُخالفين لهم فِكرياً أو عَقدياً.

والحديث غنِيٌّ بالقيم الأخلاقية والمعاني الفقهية، وقد أشار العُلماء لها، فها هو المُهلَّب يقول: وفى الحديث من الفقه: جواز انخداع الرجل الشريف لمُكايدٍ أو عاصٍ، ومُقارضته من حيث لا يشعر إذا رجا رجوعه وتوبته، وفيه: الانتصار للسُّلَطَاء، ووجوب ذلك على حاشيته وحَشَمِه[3].

أمَّا ابن بطَّال فقال: هذا أصل في دعاء الظالم، أنَّه لا يُستجاب فيمن دعا عليه، وإنَّما يرتفع إلى الله تعالى من الدعاء ما وافق الحق وسبيل الصدّق[4].

---

(1) انظر: فتح الباري لابن حجر، وقد ساق قول العز بن عبد السلام و أبدى رأيه في المسألة، خلال شرحه لباب ما جاء في كفارة المرض، وقول الله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) الآية 123 من سورة النساء، من كتاب المرضى 105/10 بتصرُّف.

(2) تم تخريجه سابقًا ص65.

(3) أورد ابن بطَّال رأي المُهلَّب في شرحه لصحيح البخاري، خلال شرحه للحديث من باب كيف رد السلام على أهل الذمة 41/17.

(4) شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، خلال شرحه لبَاب قَوْلِ النَّبِي د: " يُسْتَجَابُ لَنَا فِي الْيَهُودِ، وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا " 131/10.

والنووي استنبط من سَبّ عائشة ﵂ لهم بأنَّ فيه الانتصار من الظالم، وفيه الانتصار لأهل الفضل ممن يؤذيهم، وقال: في هذا الحديث استحباب تغافُل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة[1].

(1) المنهاج، خلال شرح كتاب السلام، باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم 144/14.

الفصل الرابع
أدب السؤال عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعملها بعلمها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مراعاة أحوال المعلم.

المبحث الثاني: التأدّب مع المعلم، والعمل بالعلم.

المبحث الأول
مراعاة أحوال المعلم

وفيه: تمهيد ثُمَّ مطلبان:

المطلب الأول: اختيار الظرف المناسب، زمانًا ومكانًا.

المطلب الثاني: عدم الإثقال في المسألة.

تمهيد

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها طالبة علم نجيبة، تُتقن فنَّ الطَّلب، كما تُحسن التَّلقي وتُجيد الأداء، فقد كانت تتحيّن الأوقات المناسبة لتسأل عمَّا يعِنُّ لها من استفسارات وأسئلة، وهي العالمة بأحوال رسول الله ﷺ، فقد كانت تسأله في حال صفوه و تتجنَّب السؤال حال تكدُّره، كما كانت تتخيَّر المكان المناسب لتسأل فتكون الإجابة أكثر دقة ووضوحًا.

وكانت رضي الله عنها خفيفة الظل في سؤالاتها، لا تُثقل في السؤال كما يفعل بعض طلبة العلم، وفيما يلي سأذكرُ بعض النماذج من حياة السيدة عائشة رضي الله عنها العلمية الدَّالة على ما أشرت له من حُسن انتقائها للظروف المناسبة، وعدم إثقالها في السؤال.

المطلب الأول

اختيار الظرف المناسب، زمانًا ومكانًا

لم تكن السيدة عائشة ﵂ تستعجل السؤال، رغم رغبتها الشديدة في المعرفة، بل كانت تتريَّث حتى يحين الوقت الملائم، ثمَّ تسأل رسول الله ﷺ.

قالت عَائِشَةَ ﵂: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَلَبِسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجَ، قَالَتْ: فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي بَرِيرَةَ تَتْبَعُهُ، فَتَبِعَتْهُ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ ، فَوَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقِفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَسَبَقَتْهُ بَرِيرَةُ فَأَخْبَرَتْنِي، فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: " إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ لِأُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ[1]".

دفع الفضول والغيرة أم المؤمنين إلى إرسال من يتعقَّب رسول الله ﷺ، وكانت راغبةً جداً في معرفة مكان قضاء زوجها ﷺ ليلته، لكنها لم تذكر له شيئاً حين عاد، بل انتظرت حتى أصبح فسألته في وقت السَّعة والراحة، فأعلَمها أنَّه كان يدعو لأهل البقيع.

ولاحظت السيدة عائشة ﵂ تغيُّر وجه النبي ﷺ حين يرى الغيم الماطر، فقد كان يُقبل ويُدبر، وتبدو الكراهة على وجهه الكريم حتى يزول ذلك العارض من السماء، لكنها سألته عن ذلك حال انبساطه و انشراح صدره، كما بيَّنت روايات الحديث.

فقد قالت عَائِشَةَ أم المؤمنين ﵂: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: (هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)[2]"[3].

---

(1) سبق تخريجه في الفصل الثالث، في المبحث الرابع منه، بعنوان: سؤالات عائشة ﵂ في شئون الحياة.

(2) سورة الأحقاف، آية 24.

(3) الحديث سبق تخريجه في الفصل الثالث، في المبحث الثالث منه، في سؤالاتها في التفسير.

ففي قول عائشة ﵂ للنبي ﷺ: عُرِف في وجهك الكراهة، دليلٌ على أنَّ سؤالها كان بعد انقضاء ذلك الحال وتغيُّره.

ومرَّة أُخرى تتمنَّى أم المؤمنين أن تُصلِّي في حِجْر الكعبة، فيأخذ النبي ﷺ بيدها ويُدخِلها الحِجْر كما في روايات الحديث، فتسأله وهي واقفة في نفس المكان عن الجَدْر إن كان من الكعبة، ثم تسأله عن سبب ارتفاع بابه.

قالت عَائِشَةَ ﵂: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْجَدْرِ، أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ:" نَعَمْ"، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟، قَالَ:" إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ"، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟، قَالَ:" فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ، لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ[1]".

لقد اختارت السيدة عائشة ﵂ الوقت و المكان المناسبين للسؤال عن الجَدر، إذ كانا واقفين بباب الكعبة، مما يدلُّ على براعتها في اختيار الظروف المناسبة للسؤال.

(1) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له في كتاب الحج، باب فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِهَا ،ح (1584)، وفي كتاب التمنّي، بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ اللَّوْ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) سورة هود؛ آية 80، ح (7243). ومسلم أخرجه بمثله في كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها ، ح (1333).

المطلب الثاني
عدم الإثقال في المسألة

لم تكن السيدة عائشة ﵂ ترهق رسول الله ﷺ بكثرة الأسئلة، بل كانت لبيبة لمَّاحة تفهم من أول مرَّة، كما لم تكن تسأل إلاَّ بقدر الحاجة، وكانت تُطبِّق ذلك فيما تحضره من مواقف مع رسول الله ﷺ، فحين بايعت النساء النبي ﷺ على أن يؤمنَّ بالله تعالى، وأكثرت فاطمة بنت عُتبة من السؤال احتجَّت عليها عائشة ﵂ وأشارت عليها بالإقرار دون كثرة مجادلة .

فقد روت عَائِشَةُ ﵂: أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْت عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ(1) جاءت تُبَايِعُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ عَلَيْهَا: (أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ)(2) الْآيَةَ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَى مِنْهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَقِرِّي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، فَوَاللَّهِ مَا بَايَعَنَا إِلَّا عَلَى هَذَا، قَالَتْ: فَنَعَمْ إِذًا، فَبَايَعَهَا على الْآيَةِ(3).

كما تُمارس هذا الذوق في التعامل مع غير النبي ﷺ، ففي موقفها مع فاطمة الزهراء ﵂ ما يدلُّ على ذلك.

قالت عائشة ﵂: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيّ صلى الله عليه و سلم، فلَمْ يُغَادِرْ مِنْهنَّ امْرَأَةً فَجَاءَتْ فَاطِمةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَها مِشْيَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه و سلم، فقالَ:" مَرْحَبًا بِابْنَتِي" فأَجْلَسَهَا عَن يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِه، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمةُ، ثُمَّ إِنَّه سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيضًا، فقُلْتُ لَهَا: ما يُبكيكِ ؟ فقالتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرّ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم، فقلتُ: ما رَأَيتُ كاليومِ فَرَحًا أَقْرَبُ مِنْ حُزْنٍ، فقلتُ لهَا حينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه و سلم بِحَدِيثِهِ دُوننا ثُمَّ تَبْكِين؟ وسَأَلْتُها عَمَّا قَالَ، فقالتْ: مَا كُنتُ لِأُفْشِي سِرَّ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم،

---

(1) فاطمة: هي أُخت هند بنت عتبة، أسلمت يوم الفتح، وبايعت النبي ﷺ، انظر: أسد الغابة، باب الفاء 227/7.

(2) سورة الممتحنة، الآية 12.

(3) أخرجه عبد الرزَّاق الصَّنعاني في مصنفه بإسناد صحيح، عن معمر عن الزّهري عن عروة عن عائشة ﵂ (المصنف، كتاب أهل الكتاب، في بيعة النساء،7/6، ح (9827)، وفي روايته للكتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، باب الرزق ومبايعة النبي صلى الله عليه و سلم، ح (21020)، ومن طريقه أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (حديث السيدة عائشة ﵂، ح (25919)) .

حتَّى إذا قُبِضَ سَأَلْتُهَا، فقالتْ: إنَّهُ كانَ حَدَّثَنِي أنَّ جِبْرِيلَ كانَ يُعَارِضُهُ[1] بالقُرآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وإنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ في العَامِ مَرَّتَيْنِ، ولا أرَانِي إلاَّ حَضَرَ أَجَلِي، وإنَّكِ أوَّلُ أهْلِي لُحُوقًا بِي، ونِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فبَكَيْتُ لِذلك، ثُمَّ إنَّهُ سَارَّنِي فقالَ:" أَلَا تَرْضِينَ أَنْ تكُونِي سَيِّدَةَ نِساءِ المُؤْمِنينَ أوْ سَيِّدَةِ نِساءِ هذهِ الأُمَّة؟"، فَضَحِكْتُ لِذلِكَ[2].

أرادت عائشة ﵂ أن تَعرف ما أسرَّ به زوجها النبي ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام، فسألتها وحين أبتْ فاطمة ﵂ كشف سرِّ رسول الله ﷺ لم تُكثر عائشة ﵂ مُساءلتها، بل انتظرت حتى قُبض رسول الله ﷺ، ومن ثَمَّ عاودت سؤالها وعرفت سر ضحك فاطمة ﵂ و بكائها.

هاتان الواقعتان تُدلِّلان على عدم إثقال السيدة عائشة ﵂ في سؤالاتها عامَّة، بيد أنِّي لم أجد من الوقائع مما حدث بينها وبين رسول الله ﷺ، لذا اكتفيت بخُلُقها مع الصحابة الكرام.

(1) يعارضه: أي كَان يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَل من القرآن، مِن المُعَارَضة وهي المُقابلة، كذا في النهاية عند ابن الأثير، باب العين مع الراء، مادة عرض3/894.

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، ح (2450).

المبحث الثاني
التأدّب مع المعلم، والعمل بالعلم

وفيه تمهيد ثم مطلبان:

المطلب الأول: الأسلوب المهذّب في سؤال عائشة ﵂ النبي ﷺ.

المطلب الثاني: حسن الفهم والاستيعاب لإجابات النبيّ ﷺ.

تمهيد

لقد كانت السيدة عائشة ﵂ ترافق رسول الله ﷺ في مجالس العلم، تسمع وتعي، و كان الأدب سمتُها في مجالس العلم، حين تسأل رسول الله ﷺ وحين تُجيب، كما كانت تُساهم بأدبٍ في توضيح المُلتبس فيما يخصُّ أمور النِّساء تكسوها الهيبة بحضرة النبي ﷺ.

حَضَرت بيعة النِّساء لرسول الله ﷺ، وشاركت في إقناعهنَّ بالمُبايعة والسمع والطاعة، تأدُّباً مع رسول الله ﷺ وتوفيراً للعنت و الجُهد الذي قد يُبذل في المُساومة والإقناع.

تقول عَائِشَةَ ﵂: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تُبَايِعُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ عَلَيْهَا: **(أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ)**[1] الْآيَةَ، قَالَتْ: فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَى مِنْهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَقِرِّي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، فَوَاللَّهِ مَا بَايَعَنَا إِلَّا عَلَى هَذَا، قَالَتْ: فَنَعَمْ إِذًا، فَبَايَعَهَا بِالْآيَةِ[2].

وحين رأت النبي ﷺ غضبان، أظهرت الغضب لغضبه تأدُّبا معه، وسألته عن السبب في غضبه، قالت عائشة ﵂: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه و سلم لأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الحِجَّة أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَان، فقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ الله؟، أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ، قال: " أَوَ مَا شَعَرْتِ أنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فإذا هُمْ يتَرَدَّدون؟، وَلَوْ أنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيه ثُمَّ أُحِلُّ كمَا حَلُّوا[3]" .

كما كانت سريعة التَّطبيق للعلم الذي يبلُغُها، علمُها عملٌ، و قولها فعلٌ، تروي السيدة عائشة ﵂ ما رأته من فعل رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تقول: رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَاتِهِ، فَأَخَذْتُ نَمَطًا[4] فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ، فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ، فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ، وَقَالَ:" إِنَّ

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.
(2) سبق تخريجه ص 190.
(3) سبق تخريجه في الفصل الثالث، ص 178
(4) النَّمط: هو ضَرْب من البُسُطِ والفُرُشِ، جمعه أنماط، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، باب النون مع الميم 438/2.

اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ"، قَالَتْ: فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ، وَحَشَوْتُهُمَا لِيفًا، فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ[1].

لقد رأت أم المؤمنين عائشة ﵂ الكراهة في وجه النبي ﷺ، وسمعت نهيه عن ستر الجُدُر، قطعت النَّمط و صنعت منه وِسادتين تستفيد منهما، وحشتهُما ليفاً.

سمعت وأطاعت فأقرَّها النبي ﷺ على ما صَنَعت.

واستدلَّ النووي بهذا الحديث على تغيير المنكر باليد، وهتك الصور المحرَّمة، والغضب عند رؤية المنكر، وأنه يجوز اتخاذ الوسائد، و يرى أنَّ المنع من سَتر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب منع كراهة تنزيه لا تحريم، في حين رآه البعض للتحريم[2].

أمَّا ابن حجر العسقلانيّ فقد أخذ من الحديث أنَّ الأنماط لا يُكره اتخاذها لذاتها، بل لِما يُصنع بها[3].

وكانت ﵂ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا؛ فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ[4] مِنْ تَلْبِينَةٍ[5]، فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ[6] لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ"[7].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأنَّ الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب، ح (2107).

(2) انظر: المنهاج، خلال شرحه للحديث من باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأنَّ الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب 86/14.

(3) فتح الباري، في باب الأنماط ونحوه للنساء، 437/14.

(4) البُرْمَة: القِدر مطلقا، وجمعها بِرَام وهي في الأصل المتّخَذة من الحجر المعروف في الحجاز واليمن، كذا عند ابن الأثير في النهاية، باب الباء مع الراء، مادة برم 88/1.

(5) التَّلْبِينَةُ : هي حِساء من دقيق أو نخالة، يُقَال له بالفارسية: السُّبُوساب، وكأنه لشبهه باللبن في بياضه سمى بالمرة من التَّلْبين ، كذا في الفائق للزمخشري، في اللام مع الباء 298/3.

(6) أي: أي تسْرُوا عنه هَمَّهُ، كما قال ابن الجوزي في غريب الحديث، باب الجيم مع الميم 174/2.

(7) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له رواه في كتاب الأطعمة، باب التَّلْبِينَةِ، ح (5417)، وفي كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، ح (5689).

أمَّا مسلم فقد رواه بمثله في كتاب باب التلبينة مجمة لفؤاد المريض، ح (2216).

وفي حادثة أخرى يُرسَل لها بهريسة فتأكل منها هِرَّة، فتأكل عائشة ﵅ من الهريسة وتُخبر أنها ليست بنجس إنما هي من الطَّوافين، فقد رأت وسمعت من رسول الله ﷺ ما يدُلّ على ذلك، فكانت تعمل بما لديها من العلم.

روى دَاوُدُ بْن صَالِحِ بْنِ دِينَار التَّمَّار عَنْ أُمِّهِ أَنَّ مَوْلَاتَهَا أَرْسَلَتْهَا بِهَرِيسَةٍ إِلَى عَائِشَةَ ﵅ فَوَجَدَتْهَا تُصَلِّي، فَأَشَارَتْ إِلَيَّ أَنْ ضَعِيهَا، فَجَاءَتْ هِرَّةٌ فَأَكَلَتْ مِنْهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ أَكَلَتْ مِنْ حَيْثُ أَكَلَتْ الْهِرَّةُ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ الطَّوَّافِينَ[1] عَلَيْكُمْ"، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِفَضْلِهَا[2].

لقد كانت سُنَّة رسول الله ﷺ حاضرة في حياة السيدة عائشة ﵅، فكانت تستذكر ما سمعت من رسول الله ﷺ، وتُنفِّذه واقعاً لها في حياتها، كما كانت تنشُر العلم الذي بلغها عن طريق تطبيقه واتخاذه سبيل حياة.

---

(1) الطوَّافين: مأخوذة من الطّائف وهو: الخادمُ الذي يَخْدُمُك برفْقٍ وعنَاية، والطوَّاف فَعَّال منه، شَبَّهها بالخَادِمِ الذي يَطُوف على مَولاهُ ويدورُ حَوله، أخْذاً من قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُم وَلاَ عَليهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم) الآية58 من سورة النور، ولمّا كان فيهنّ ذكورٌ وإناثٌ قال : الطّوَّافون والطّوَّافات، قاله: ابن الأثير في نهايته، باب الطاء مع الواو، مادة طوف 843/2.

(2) أخرجه أبو داود في سننه من طريق داود بن صالح بن دينار التمار عن أمه عن عائشة ﵅ (كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة، ح (79)، والإسناد حسن لولا أم داود بن صالح التَّمار؛ فليس لها رواية غير هذه، وبذلك فهي مجهولة، غير أنَّ العقيلي ذكر هذا الإسناد مصححاً له مقارنة بإسنادٍ آخر (انظر: ضعفاء العقيلي 141/2).

كما أنَّ للحديث شاهدًا قوياً ومعروفًا عن أبي قتادة رضي الله عنه (سنن الترمذي، في سؤر الهرة من أبواب الطهارة، ح (92)، وله متابعة أيضاً عند ابن خزيمة في الصحيح (كتاب الوضوء، باب الرخصة في الوضوء بسؤر الهرة، ح 120)، والحاكم في المستدرك (263/1، ح (567) وهي متابعة ضعيفة لكن دافع عنها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في لسان الميزان (174/4).

وبالشاهد القوي والمتابعة المذكورة يكون الحديث حسناً إن لم يكن صحيحاً، كما هو قول الألباني في تعليقه على سنن ابي داود، والعمل على مقتضى هذا الحديث عند جمهور الفقهاء.

المطلب الأول

الأسلوب المُهذَّب في سؤال عائشة ﵂ النبي ﷺ

لقد كانت السيدة عائشة ﵂ مهذبة في حديثها مع النبي ﷺ بما يليق بمقامه ﷺ، تنتقي ألفاظها وتُحسن السؤال.

أرادت أن تتأكَّد من فهمها لآي القرآن الكريم، وتحظى بإقرار النبي ﷺ فيما خَلُصت إليه من معانٍ، فبادرته بقولها: يا رسول الله، ولا شك أنَّ في ذلك من الأدب العظيم ما فيه، وتقديرٌ للنبي المُعلِّم إذ هي في مقام المُتلقِّية، ثم عَرَضت عليه بتهذيبٍ رأيها، بأنها تعرف أشدَّ آيةٍ في القرآن الكريم، فناقشها المُعلِّمُ الحكيم فيما ذهبت إليه.

حدّثت عائشة ﵂ قائلةً: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَشَدَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ:

" أَيَّةُ آيَةٍ يَا عَائِشَةُ؟"، قَالَتْ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[1]، قَالَ:" أَمَا عَلِمْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ تُصِيبُهُ النَّكْبَةُ أَوْ الشَّوْكَةُ فَيُكَافَأُ بِأَسْوَأ عَمَلِهِ، وَمَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ"، قَالَتْ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[2]؟، قَالَ:" ذَاكُمْ الْعَرْضُ يَا عَائِشَةُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ[3]".

وفي بدأها سؤالاتها بيا نبي الله من الأدب الجم الذي كانت تتحلى به، كما كانت تفديه بنفسها حين تسأله، قائلة: جعلني الله فداءك، وفيه من التهذيب ما فيه.

---

(1) سورة النساء، آية 123.

(2) سورة الانشقاق، آية 8.

(3) أخرجه أبو داود في سننه بإسناده قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى ح، و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ (واللَفْظُ لابْنِ بَشَّارٍ) عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ (كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، ح (2689).

ورجال الإسناد ثقات غير أبي عامر الخزَّاز وهو صالح بن رُستم، فهو صدوق، ضعَّفه يحيى بن معين (تاريخ ابن معين رواية الدُّوري 143/4)، والعجلي قال: جائز الحديث (الثقات ص 225)، لكنَّ أحمد بن حنبل قال عنه: صالح الحديث (العلل ومعرفة الرجال 546/1)، وابن عدي قال: هو عزيز الحديث، ولعل جميع ما أسنده خمسين حديثاً، وقد روى عنه يحيى القطَّان مع شدة استقصائه، وهو عندي لا بأس به، ولم أر حديثاً منكراً جداً (الكامل في ضعفاء الرجال 111/5)، وقد ذكره ابن حِبَّان في الثقات (546/6).

وبذلك يكون إسناد الحديث حسن.

و قد مرَّ فيما سبق من البحث قول عَائِشَةَ ﵂: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا"، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ لَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا ذَعَرَنِي ، فَقَالَ:" وَمَا هُوَ؟"، قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِي أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لَحَاقًا، قَالَ:" نَعَمْ"، قَالَتْ: وَعَمَّ ذَاكَ؟، قَالَ:" تَسْتَحْلِيهِمْ الْمَنَايَا ، فَتَنَفَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ؟، أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟، قَالَ:" دَبًى يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمْ السَّاعَةُ[1]" .

---

(1) سبق تخريجه في الفصل الثالث، في المبحث الرابع منه، ص 173.

المطلب الثاني

حسن فهمها واستيعابها عن النبيّ ﷺ

كانت أم المؤمنين عائشة ﵂ مثالاً للمرأة اللَّقِنة الثَّقِفة، تميَّزت بالنُّبوغ و الذَّكاء، مما جعل فهمها لما عايشته من سيرة النبي ﷺ و أحاديثه مُيسَّراً، و استيعابها لإجابات رسول الله ﷺ على سؤالاتها وأسئلة الصحابة الكرام سريعاً و بلا مشقَّة.

غُسل المرأة

حدَّثت عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ:" خُذِي فِرْصَةً[1] مِنْ مَسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا"، قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ:" تَطَهَّرِي بِهَا"، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ:" سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي"، فَاجْتَذَبتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ[2].

كانت عائشة ﵂ حاضرةً لسؤال تلك المرأة، ففطنت لمُراد رسول الله ﷺ من إجابته عليها، في حين أرهقته تلك المرأة و لمَّا يصل لها لُبُّ الجواب، فاجتذبتها أم المؤمنين وفهَّمتها كيف يكون الغُسل من المحيض.

وقد أخذ ابن بطَّال من هذا الحديث الكثير من الفوائد الفقهية، التي أوجزها بقوله: فيه: أنَّه ليس على المرأة عار أن تسأل عن أمر حيضتها، وما تستبين به إذا كان من أمر دينها، وأنَّ العالم يجيب بالتعريض في الأمور المستورة و فيه: تكرير الجواب لإفهام السائل دون أن يكشف و مراجعة السائل إذا لم يفهم، وأنَّ السائل إذا لم يَفهم وفَهَّمه بعض من في مجلس العالِم والعالِم يَسمع، أنَّ ذلك سماعٌ مِن العالِم يجوز أن يقول فيه حدثني وأخبرني[3].

---

(1) الفِرْصَة بكسر الفاء: قِطْعة من صُوف أو قُطْن أو خِرْقة، يُتَتَبَّع بها أثَرُ الدَّم فيَحْصُل منه الطِّيب والتَّنْشِيف ، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب الفاء والراء، مادة فرص 1045/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب الحيض، باب دَلْكِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنْ الْمَحِيضِ وَكَيْفَ تَغْتَسِلُ وَتَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَتَّبِعُ أَثَرَ الدَّمِ، ح (314).

ومسلم أخرجه في صحيحه بمثله، في كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ح (332).

(3) انظر: شرح ابن بطَّال لصحيح البخاري، خلال شرحه للحديث من باب دَلْكِ الْمَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنَ الْمَحِيضِ 440/1 بتصرُّف.

النَّهي عن أَكل لحوم الأضاحي

وكان من نباهتها وحُسن فهمها أنْ عَلِمَت أنَّ نهي النبي ﷺ عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث إنَّما كان عام جاع النَّاس، وليس على إطلاقه.

فقد روى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ؟، قَالَتْ: مَا فَعَلَهُ إِلَّا فِي عَامٍ جَاعَ النَّاسُ فِيهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ، وَإِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ[1] فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ، قِيلَ: مَا اضْطَرَّكُمْ إِلَيْهِ؟، فَضَحِكَتْ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ[2].

قال العيني: أرادت عائشة بذلك أنَّ النَّهي عن ادِّخار لحوم الأضاحي بعد الثلاث نُسِخَ، وأنَّ سبب النَّهي كان خاصًا بذلك العام للعلَّة التي ذكَرَتها[3]، وأشار ابن حجر إلى أنَّ الحديث فيه بيان جواز ادخار اللحم وأكل القديد، وأنَّه ثبت أنَّ سبب ذلك قلة اللحم عندهم، بحيث إنَّهم لم يكونوا يشبعون من خبز البر ثلاثة أيام متوالية[4].

مواقيت الصلاة المنهيّ عنها

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب النَّاس على صلاة الرَّكعتين بعد العصر، ظنًّا منه أنها مما نهى عنه النبي ﷺ، فقالت عَائِشَةَ: وَهِمَ عُمَرُ، إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَحَرَّى طُلُوعُ الشَّمْسِ وَغُرُوبُهَا[5].

---

(1) الكراع والأَكَارِع، وأكارع الشَّاةِ هي قوائِمُها، والكِراع: هو ما دون الكَعْب، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، باب الكاف مع الراء 286/2.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب مَا كَانَ السَّلَفُ يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنْ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ، ح (5423)، و باب الْقَدِيدِ، ح (5438) من نفس الكتاب.

(3) العمدة ، في شرحه للحديث من باب مَا كَانَ السَّلَفُ يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنْ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ 57/21.

(4) فتح الباري، ، في شرحه لباب مَا كَانَ السَّلَفُ يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ مِنْ الطَّعَامِ وَاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ 316/15.

(5) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب لَا تَتَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، ح (833).

قال عِياض: وإنَّما قالت ذلك عائشة ﵂ لما روته من صلاة النبي ﷺ الركعتين بعد العصر[1]، فقد فهمت أم المؤمنين ﵂ أنَّ تقصُّد تلك الأوقات للصلاة هو المنهي عنه، فهمته من فِعل رسول الله ﷺ وصلاته للركعتين بعد العصر، وعليه كان إنكارها على عمر رضي الله عنه.

ما يَقْطَع الصلاة

ذُكِر عند عَائِشَةَ ﵂ مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَقَالُوا: يَقْطَعُهَا الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ قَالَتْ: لَقَدْ جَعَلْتُمُونَا كِلَابًا، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَإِنِّي لَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى السَّرِيرِ، فَتَكُونُ لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقْبِلَهُ فَأَنْسَلُّ[2] انْسِلَالًا[3].

غضبت السيدة عائشة ﵂ من مُساواتهم مقام المرأة بالكلاب و الحمير، وزعمهم أنَّها مما يَقطع الصلاة، فردَّتهم بالحُجَّة البالغة مما رأته من صلاة النبي ﷺ بحضرتها، وهي تعترضه فتنسَلُّ انسلالاً لقضاء حوائجها دون أن يقطع ﷺ صلاته.

وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الصلاة لا يقطعها شيء[4]، واستدلت عائشة ﵂ أنَّ المرأة لا تقطع الصلاة، خاصةً وهي من واقعت فعِل النبي ﷺ من صلاته وهي مُستقبلته، فوعت ذلك وحدَّثت به.

الطِيَرة في المرأة

دخل رَجُلَان عَلَى عَائِشَةَ ﵂، فَقَالَا: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا الطِّيَرَةُ[5] فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ، قَالَ: فَطَارَتْ شِقَّةٌ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ، وَشِقَّةٌ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَتْ:

---

(1) إكمال المُعلم 118/3.

(2) أنسلّ: أي أمضي وأخرج بِتَأَنّ وتَدْرِيج، انظر: النهاية لابن الأثير، باب السين واللام، مادة سلل، 648/2 بتصرُّف.

(3) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، البخاري واللفظ له أورده في كتاب الصلاة، بَاب اسْتِقْبَالِ الرَّجُلِ صَاحِبَهُ أَوْ غَيْرَهُ فِي صَلَاتِهِ وَهُوَ يُصَلِّي؛ ح (511)، وفي بَاب مَنْ قَالَ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ شَيْءٌ؛ ح (514) من الكتاب نفسه. أمَّا مسلم فقد ذكره في كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي ، ح (512).

(4) ذكره ابن بطَّال في شرحه للبخاري، خلال شرح باب من قال أنَّ الصلاة لا يقطعها شيء141/2.

(5) الطِّيَرَة: بكسر الطاء وفتح الياء وقد تُسَكّن: هي التَّشاؤم بالشَّيء، قاله: ابن الأثير في النهاية، باب الطاء مع الياء، مادة طير 848/2.

وَالَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ، مَا هَكَذَا كَانَ يَقُولُ، وَلَكِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ:" كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ"، ثُمَّ قَرَأَتْ عَائِشَةُ:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ)[1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[2].

لقد غضبت أم المؤمنين عائشة ﵂ غضباً شديداً حين بلغها قول أبا هريرة أنَّ الطِيرة في المرأة، فأقسمت أنَّ النبي ﷺ ما كان يقول ذلك، إنَّما هو مما لم يعيه أبو هريرة من قول النبي ﷺ، فقد كان ذلك مما تداوله النَّاس في الجاهلية، وهو حكاية للنبي ﷺ عن مقالتهم حال الجاهلية، أمَّا وقد هدوا للإسلام فالله عز وجل يقول: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير)[3].

وهذا الحديث يدلُّ على وعيها لما يُقال، وحُسن فهمها للأحاديث، فقد فرَّقت بين حديث الجاهلية وحديث الإسلام، وغضبت جداً مُنكرة ما لم يصح مما نُقل عن رسول الله ﷺ.

---

(1) سورة الحديد، آية 22.

(2) أخرجه أحمد بن حنبل بإسناده واللفظ له قال: حَدَّثَنَا بَهْزٌ (ابن أسد العمي)، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ (بن يحيى العوذي)، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ (بن دعامة السَّدوسي) عَنْ أَبِي حَسَّانَ الأعرج عن عائشة ﵂ (مسند أحمد، حديث السيدة عائشة ﵂، ح (24013) و ح (24894)، وإسناد الحديث صحيح إذ رواته ثقات.

كما أخرجه الحاكم في مستدركه مختصراً من طريق سعيد بن أبي عروبة (في تفسير سورة الحديد؛ ح (3747)، و الطبراني أخرجه في مسند الشاميين بنحوه من طريق سعيد بن بشير (في ما انتهى إليه من مسند سعيد بن بشير، ح (2635)، كلاهما عن قتادة عن أبي حسَّان الأعرج عن عائشة ﵂.

(3) سورة الحديد، آية 22.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، أما بعد؛
فقد يسّر الله إتمام هذه الدراسة في سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد كنتُ أول المنتفعين بها، من خلال العيش مع أم المؤمنين رضي الله عنها، والتفاعل مع أسئلتها الحاذقة، ومواقفها التي تفيضُ بالعلم والحكمة والأدب.

وأختمُ كما عادة الباحثون بأهمّ النتائج والتوصيات.
أولاً _ النتائج :

1- أبرزت هذه الدراسة المكانة العلمية السامقة للسيدة عائشة رضي الله عنها، مع تواضعها الجليل في حضرة العلم، و أدبها الجم في التلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2- أظهرت الدراسة شخصية السيدة عائشة رضي الله عنها، من خلال استعراضها وتحليلها وإبراز ملامحها التي رسمت خارطة حياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وخطَّت لها اسمها بين جهابذة طلبة العلم وحملة علوم الشريعة.

3- ظهر جلياً من خلال البحث كثرة سؤالات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و عمق مغزاها، كما وضح اهتمام السيدة عائشة رضي الله عنها بشتى ضروب العلم، وتنوع محاور الأسئلة في العقيدة والتفسير والفقه وسائر شئون الحياة، مما جعلها ذات قدم ثابتة في الدين والدنيا.

5-أثبتت الدراسة أن السيدة عائشة رضي الله عنها ضربت مثالاً للمرأة العظيمة، التي تحدَّت ظروف بيئتها وصعاب زمانها، وتفوَّقت لتكون نموذجاً يُحتذي ممن يخلفها من النساء، في التميز والعطاء وقهر المستحيل.

6-رسَّخت هذه الدراسة مبدأ أهلية المرأة لحمل العلم والارتقاء به، خلافاً لما يُشيعه بعض المنتسبين لرَكْب العلم؛ من أنَّ العلم إنما يقوم به الرجال.
7- خَلُصت هذه الدراسة إلى أنَّ نجم السيدة عائشة رضي الله عنها قد لمع بامتلاكها الحجة والدليل مع الثقة والجرأة، وهو ما يكفي لنجاح أي امرأة مهما قوبلت بالتسخيف والإحباط، كما برز دورها

في المشاركة للمجتمع من خلال استدراكاتها على الصحابة و مناقشاتها، وعدم سكوتها على ما رأته مخالفة للسنة النبوية.

ثانياً- التوصيات:

1- توصي الباحثة نفسها وطلبة العلم؛ بمزيد من الاهتمام بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بحثاً واستفادة واقتداءً.

2- و توصي بتتبّع سؤالات غيرها من الصحابة الكرام للنبي صلى الله عليه وسلم، المكثرين منهم خاصة.

3- كما توصي بالاستفادة من سؤالات السيدة عائشة رضي الله عنها، والأخذ بالإجابات عليها، وتطبيقها في ميادين الحياة، خاصة وأنَّ سؤالاتها كانت عميقة البُعد ومتشعبة في كل المجالات النافعة.

4- وصية خاصة لبنات حواء في كل عصر ومكان أن تمثَّلن عائشة رضي الله عنها، في الارتقاء الفكري، والانخراط في هموم المجتمع، والمشاركة وإبداء الرأي وممارسة حرية الفكر والتعبير.

5- أوصي بأن يكون هذا البحث بذرة في مشروع سؤالات الصحابة الكرام لرسول الله د، كخطوة سبَّاقة إذ لم يتم التطرق بشكل متفرد ومخصوص لهذه السؤالات، والاستفادة منها.

6- يصلح أن يتطور البحث ليكون مُسندًا ،احتذاء بطريقة السلف في المسانيد، لكن بشكل مختلف، إذ يتم حصر و جمع أسئلة الصحابي لرسول الله د وتتبع إجابات رسول الله د، وتصنيف هذه التساؤلات حسب الموضوعات المختلفة من فقه وعقيدة وتفسير وفقه وهكذا، وهي طريقة جديدة في ترتيب المسانيد.

7- نشر الوعي الديني من خلال مجموع الأسئلة والإجابات، وإصلاح ما يمكن إصلاحه في المجتمع؛ في ظل انحراف الفكر وتناقضه وازدواجية التحليل في فهم الدين وأصوله، وما يهدده هذا القصور في الفهم من أخطار على الأمة وحاضرها.

8- استيعاب مجموع من الشروح القديمة والمعاصرة لأحاديث رسول الله د، مقرونة بالاستنباطات الفقهية في مواطن ورود تلك الأحاديث، بطريقة تجمع بين الحديث والفقه ، فتعم الفائدة وتزيد القيمة المعرفية.

الفهارس العامة

وتحتوي على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيات	السورة ورقم الآية	الصفحة
النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ	الأحزاب/6	15
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...وَأَنَّ الله رَءُوفٌ رَحِيمٌ	النور/11–20	17، 42
وإذا المَوْؤودَةُ سُئِلتْ* بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ	التكوير/8–9	22
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ	الأنعام/130	22
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	آل عمران/122	28
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ	سبأ/23	34
وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ... وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ	التحريم/11–12	36
إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ... فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ	آل عمران/42–47	36
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ	يوسف/18	41
وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكلَّمَ بهذا	النور/16	42
فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ	النساء/43	43
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ	البقرة/197	45
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ	الزمر/30	46، 47، 67، 155

الآيات	السورة ورقم الآية	الصفحة
قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا		
ولا يَحِلُّ لهُن أنْ يَكْتمْنَ ما خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِن	البقرة/228	128
فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ	البقرة/194	130
والجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ	النساء/36	134
وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ	النور/33	134
وَمِن الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالله واليومِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ الله وصَلواتِ الرَّسُول	التوبة/99	142
إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى	النمل/80	147
وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ	فاطر/22	147
وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى	النجم/39	148
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه	الزلزلة/7-8	148
لتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى	طه/15	148
إِمْسَاكٌ بِمعْروفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ	البقرة/229	149
إنْ تَرَكَ خَيْرًا	البقرة/183	150
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا	البقرة/158	151
وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا	النساء/128	151
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ	النساء/128	151
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ	النصر/2-3	156، 157

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
61	أم المؤمنين عائشة ﵂	اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه
61	عروة بن الزبير	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنْ النَّاسِ انْتِزَاعًا
62	أم المؤمنين عائشة ﵂	على الصِّراط (وهو جواب النبي ﷺ على سؤال عائشة رضي الله عنها عن مكان الناس(يَومَ تُبَدَّلُ الأَرضُ غَيْر الأَرضِ والسَّماوات)
62	أم المؤمنين عائشة ﵂	إنما هو جبريل لم أَرَه على صورته التي خُلِق عليها؛ غير هاتين المَرَّتين
65	أم المؤمنين عائشة ﵂	سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
68	أم المؤمنين عائشة ﵂	إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عمَّا قد عَلِمْتِ من الهِجرة، فإنه لا يَحل لمسلمٍ أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليال
84	أم المؤمنين عائشة ﵂	بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ
91	سهل بن سعد الساعدي	قَدْ أُنْزِلَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَاذْهَبْ فَأْتِ بِهَا، قَالَ سَهْلٌ: فَتَلَاعَنَا
92	سعد بن أبي وقاص	إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ
95	سَعْد بن أبي وقاص	يَا سَعْدُ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّار
100	أم المؤمنين عائشة ﵂	أَقَدْ جَاءك شَيْطَانُكِ
102	أم المؤمنين عائشة ﵂	مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ؛ أَحَبَّ اللهُ لقاءه، ومَنْ كَرِهَ لِقاءَ الله؛ كره الله لقاءه
112	عبد الله بن عباس	اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
123	أم المؤمنين عائشة ﵂	ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أَلَـمْ تَـرَيْ أَنَّ قَوْمَـكِ لَمَّـا بَنَـوْا الْكَعْبَـةَ اقْتَصَـرُوا عَـنْ قَوَاعِـدِ إِبْرَاهِيمَ؟	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	121
تأخذُ إحداكُنَّ ماءَها وسِدْرَتَها فتَطَهَّرُ، فتُحْسِنُ الطُّهُور	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	113
وَإِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ (هذا جواب سؤال: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ؟)	عابس بن ربيعة	198
إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَحَرَّى طُلُوعُ الشَّمْسِ وَغُرُوبُهَا	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	198
أَحَابِسَتُنَا هِيَ...	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	120
إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	170
مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	182
إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	176
وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	151
إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	132
أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	142
إِنْ كُنْتُ أَفْتِلُ قَلَائِدَ الْهَدْيِ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَبْعَثُ بِهَدْيِهِ مُقَلَّدًا وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْمَدِينَةِ ثُمَّ لَا يَجْتَنِبُ شَيْئًا حَتَّى يَنْحَرَ هَدْيَهُ	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	50
أَمَا عَلِمْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ تُصِيبُهُ النَّكْبَةُ أَوْ الشَّوْكَةُ فَيُكَافَأُ بِأَسْوَأِ عَمَلِه	أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها	195

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا	أم المؤمنين عائشة ﵂	127
إِنَاءٌ كَإِنَاءٍ وَطَعَامٌ كَطَعَامٍ	أم المؤمنين عائشة ﵂	128
إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	أم المؤمنين عائشة ﵂	162
أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ	أم المؤمنين عائشة ﵂	165
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ	أم المؤمنين عائشة ﵂	163
إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ	أم المؤمنين عائشة ﵂	181
إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ لأُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ	أم المؤمنين عائشة ﵂	187
أَرْسِلِي إِلَى شَيْبَةَ فَيَفْتَحَ لَكِ الْبَابَ	أم المؤمنين عائشة ﵂	164
أَمَا إِنَّهُ لا يَجْنِي عَلَيْكَ ولا تَجْنِي عليه	أبو رِمْثَةَ التَّمِيمِىّ	148
إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُون عَلَيْهِ الآنَ	أم المؤمنين عائشة ﵂	147
أَعْطِي وَلَا تُوعِي فَيُوعَى عَلَيْكِ	أم المؤمنين عائشة ﵂	145
إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا	أم المؤمنين عائشة ﵂	34
وَقَدْ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ لَهَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ	أم المؤمنين عائشة ﵂	34
بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَائِمٌ إِذْ ضَحِكَ فِي مَنَامِهِ	أم المؤمنين عائشة ﵂	106
تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّال	أم المؤمنين عائشة ﵂	44
" تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ	أم المؤمنين عائشة ﵂	30

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا	أم المؤمنين عائشة ﵂	179، 196

فهرس المصادر والمراجع

-**القرآن الكريم**

فهرس كتب التفاسير

- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لأبي سعيد البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، ت: 685هـ.

تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1418هـ، ويقع في خمسة أجزاء.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: 1270هـ.

تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1415هـ، ويتكون من ستة عشر جزءًا.

- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: 1250هـ.

طبعة دار ابن كثير بدمشق، ودار الكلم الطيب ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1414هـ، ويتكون من ستة أجزاء.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، ت: 538 هـ .

طبعة دار الكتاب العربي ببيروت، لعام 1406هـ، وهي مذيلة بحاشية الإمام أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي.

- **النكت والعيون:** لأبي الحسن الماوردي، علي بن محمد البغدادي، ت: 450هـ.

تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، ويتكون من ستة أجزاء.

فهرس كتب الحديث الشريف وشروحه ومصطلحه

- **مسند السيدة عائشة رضي الله عنها:** لابن أبي داود ، عبد الله بن سليمان السّجستاني، ت: 316هـ.

تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ، لمكتبة الأقصى بالكويت، ويتكون من جزء واحد.ظ

- **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة:** لبدر الدين مُحَمَّد بْن بَهَادر بْن عَبْد اللهِ الزركشي الْمِصْرِيّ الشَّافِعِيّ، ت: 794هـ.

تحقيق: سعيد الأفغاني، وتعليق: د. عصمت الله، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1358هـ- 1939م، وهو جزء واحد.

- **الآحاد والمثاني:** لأبي بكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو الشيباني، ت: 287.

تحقيق: د. باسم الجوابرة، الطبعة الأولى لدار الراية بالرياض، طبعة عام 1411هـ- 1991م، ويقع في ستة أجزاء.

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:** لصاحبه محمد بن حِبَّان التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي، ت: 354هـ.

ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: 739هـ.تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1408هـ- 1988م، يتكون من ثمانية عشر مجلداً، الأخير منها للفهارس.

- **اختلاف الحديث:** لأبي عبد الله، محمد بن إدريس المُطَّلبي القرشي المكي الشافعي، ت: 204هـ.

طبعة دار المعارف ببيروت، لعام 1410هـ- 1990م، وهو جزء واحد (الجزء الثامن من طبعة كتاب الأم للشافعي).

- **الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين:** لعبد الرحمن بن محمد بن عساكر الدِّمشقي الشافعي، ت: 620هـ.

تحقيق: محمد الحافظ، طبعة دار الفكر بدمشق، وهي الطبعة الأولى لعام 1406هـ، وهو مجلد واحد.

- **الاستذكار (الجامع لمذاهب فقهاء الأمْصار وعلماء الأقطار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار): لأبي عمر، يوسف بن عبد** الله بن عبد البر القرطبي، ت: 463هـ.

تحقيق: سالم عطا، ومحمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1421هـ –2000 م، ويقع الكتاب في تسعة أجزاء.

- **إكمال المُعلم شرح صحيح مسلم:** لأبي الفضل عياض اليحْصُبي، ت: 544هـ. تحقيق: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، الطبعة الأولى لدار الوفاء بمصر، لعام: 1419 هـ – 1998 م، ويقع الكتاب في ثمانية أجزاء.

- **الأم:** لأبي عبد الله، محمد بن إدريس المُطَّلبي القرشي المكي الشافعي، ت: 204هـ.

طبعة دار المعرفة ببيروت، لعام 1410هـ– 1990م، ويقع في ثمانية أجزاء.

- **الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف:** لأبي بكر، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ت: 319هـ.

تحقيق: صغير أحمد حنيف، طبعة دار طيبة بالرياض، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ– 1985م، المطبوع منه ستة مجلدات فقط.

- **البعث والنشور:** لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ت: 458هـ.

تحقيق: عامر حيدر، طبعة مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1406هـ– 1986م، وهو مجلد واحد.

- **تأويل مختلف الحديث:** لأبي محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: 276هـ.الطبعة الثانية للمكتب الإسلامي– مؤسسة الإشراق، لعام 1419هـ– 1999م، وهو جزء واحد.

- **التعليق المُمجَّد على موطأ محمد:** لأبي الحسنات، محمد بن عبد الحي الأنصاري اللكنوي الهندي، ت: 1304هـ.

تحقيق: تقي الدين الندوي، طبعة دار القلم بدمشق، وهي الطبعة الرابعة لعام 1426هـ– 2005م، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **تنوير الحوالِك شرح موطأ مالك:** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: 911هـ.

طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، لعام: 1389هـ-1996م، والكتاب يتكون من جزأين.

- **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار:** لأبي جعفر، محمد بن جرير الآملي الطبري، ت: 310 هـ.

تحقيق: محمود شاكر، لمطبعة المدني بالقاهرة، ويقع في جزأين.

- **جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم:** للإمام أبي الفرج؛ عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدِّمشقي، المشتهر بابن رجب، ت:795هـ.

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، و إبراهيم باجس، طبعة عام 1417هـ-1997م، لمؤسسة الرسالة ببيروت، وهو مجلد واحد.

- **الجامع في الحديث:** لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب المصري القرشي، ت: 197هـ.

تحقيق: د. مصطفى أبو الخير، طبعة دار ابن الجوزي بالرياض، وهي الطبعة الأولي لعام 1416هـ- 1995م، وهو مجلد واحد.

- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردِي الخراساني، ت: 458هـ.

طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، لعام 1405هـ، ويتكون من سبعة أجزاء.

- **سُبُل السَّلام شرح بُلوغ المَرام من أدلة الأحكام:** للأمير محمد بن إسماعيل الصَّنعاني، ت: 852.تحقيق: محمد الخولي، طبعة عام 1379هـ، لدار إحياء التراث العربي ببيروت، ويقع في أربعة أجزاء.

- **سنن ابن ماجة:** لأبي عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، ت: 273هـ.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، ويقع في جزأين.

- **سُنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث، أبو داود الأزدي السِّجِسْتاني، ت: 275هـ.

تحقيق: ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، لدار المعارف ببيروت، ويتألف من جزء واحد.

- **سنن الترمذي (الجامع الكبير) :** لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت: 279هـ.

تحقيق: د. بشار عواد معروف، طبعة: دار الجيل . بيروت و دار العرب الإسلامي ببيروت، وهي الطبعة الثانية لعام 1998م، ويقع في ستة أجزاء.

- **السنن الكبرى:** لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ت: 458هـ.

تحقيق: محمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الثالثة لعام 1424هـ-2003م.

- **سُنن النَّسائي الكبرى:** لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الشهير بالنسائي، ت: 303.

تحقيق: حسن شلبي، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، وهي الطبعة الأولي لعام 1421هـ- 2001م، يتكون من عشرة أجزاء، آخر اثنين منها للفهارس.

- **شرح الزّرقاني على موطأ الإمام مالك:** لمحمد بن عبد الباقي الزّرقاني المصري الأزهري، ت:1122.

تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى لمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، لعام 1424هـ-2003 م، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء.

- **شرح المواهب اللَّدنّيّة بالمِنح المحمدية:** لأبي عبد الله، محمد بن عبد الباقي الزّرقاني المالكي، ت: 1122هـ.

الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية، لعام 1417هـ-1996م، يقع في اثني عشر مجلدًا.

- **شرح رياض الصالحين:** لمحمد بن صالح العُثيمين، ت: 1421هـ.

طبعة دار الوطن بالرياض، لعام 1426هـ، ويقع في ستة أجزاء.

- **شرح صحيح البخاري لابن بطَّال:** وهو أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك، ت: 449هـ.

تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية لمكتبة الرشد، بالرياض، طبعة عام 1423هـ-2003م، ويتكون من عشرة أجزاء.

- **شرح علل الترمذي:** لابن رجب الحنبلي، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَلامي البغدادي، ت: 795هـ.
- تحقيق: د. همام سعيد، طبعة مكتبة المنار بالأردن، وهي الطبعة الأولى لعام 1407هـ-1987م.
- **شرح مشكل الآثار:** لأبي جعفر الطَّحاوي، أحمد بن محمد الأزدي المصري، ت: 321هـ.

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، وهي الطبعة الأولى لعام 1415هـ-1994م، ويتكون من ستة عشر مجلدًا، آخرها للفهارس.

- **شرح معاني الآثار:** لأبي جعفر الطَّحاوي، أحمد بن محمد الأزدي المصري، ت: 321هـ.

تحقيق: محمد النجار، و محمد جاد الحق، مراجعة: د. يوسف المرعشلي، وهي الطبعة الأولى لعالم الكتب، لعام 1414هـ- 1994م، يتكون من أربعة أجزاء، والفهارس في الجزء الخامس.

- **شعب الإيمان:** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: 458هـ.

تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بالهند، طبعة مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، وهي الطبعة الأولى لعام 1423 هـ - 2003 م، ويتكون من أربعة عشر مجلدًا، الأخير منها للفهارس.

- **الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى:** للقاضي أبي الفضل، عِياض بن موسى اليَحْصُبي، ت: 544هـ.

تحقيق: عبده كوشك، الطبعة الثانية لعام 2006 م- 1427هـ، لدار الفيحاء ببيروت.

- **صحيح ابن خزيمة:** لأبي بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، ت: 311هـ.

تحقيق: د. محمد الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت، وهي طبعة عام 1390هـ- 1970م، ويتألف من أربعة أجزاء.

- **صحيح البخاري:** لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل الجُعْفيّ البُخاري، ت: 256هـ.

اعتنى به: محمد زهير الناصر، طبعة دار طوق النجاة، ببيروت- لبنان، وهي الطبعة الأولى، لعام: 1422هـ، ويتكون من تسعة أجزاء.

- **صحيح مسلم:** لأبي الحسين، مُسْلم بن الحجَّاج القُشيري النَّيسابوري، ت: 261هـ.

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عام: 1980م- 1400هـ، من إصدارات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالسعودية، ويتكون من خمسة أجزاء.

- **عشرة النساء:** لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الخراساني النّسائي ت: 303هـ.

تحقيق: علي بن نايف الشحود، الطبعة الثالثة لدار المعمور، بهانج ، طبعة عام 1430هـ- 2009 م

- **عُمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لأبي محمد، محمود بن أحمد الغيتابى الحنفي، بدر الدين العيني، ت: 855هـ .

الطبعة الأولى لدار إحياء التراث العربي ببيروت، ويتكون من خمسة وعشرين جزءًا.

- **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** لأبي عبد الرحمن، محمد أشرف بن أمير الصِّدِّيقي العظيم آبادي، ت:1329هـ.

طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الثانية لعام 1415هـ، وتقع في أربعة عشر جزءًا.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقي، ت: 795هـ.

تحقيق: فريق من المحققين، هم: محمود عبد المقصود، مجدي عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد المنقوش، صلاح بن سالم المُصراتي، علاء همّام، صبري عبد الخالق الشافعي.

الطبعة الأولى، لعام 1417هـ- 1996م، لمكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، والحقوق: لمكتب تحقيق دار الحرمين بالقاهرة.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ت: 852هـ.

تصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، بتعليقات: عبد العزيز بن باز، طبعة دار المعرفة ببيروت، لعام 1379هـ، ويقع في ثلاثة عشر مجلدًا.

- **فيض الباري شرح صحيح البخاري:** لمؤلفه محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، ت: 1353هـ.

تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، وهي الطبعة الأولى، لعام 1426 هـ – 2005 م.

- **القضاء والقدر:** لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ت: 458هـ.

تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الطبعة الأولى لمكتبة العبيكان بالرياض، طبعة عام 1421هـ– 2000م ، وهو مجلد واحد.

- **كشف المشكل من حديث الصحيحين:** لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: 597هـ.

تحقيق: علي البواب، طبعة دار الوطن بالرياض، لعام 1418هـ– 1997م، ويتألف من أربعة أجزاء.

- **المتواري على تراجم أبواب البخاري:** لأبي العبّاس، أحمد بن محمد بن منصور القاضي، ابن المُنيِّر الجذامي الإسكندراني، ت: 683هـ.

تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، طبعة مكتبة العلا بالكويت.

- **المجتبى من السنن: (السنن الصغرى للنسائي):** لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب الشهير بالنسائي، ت: 303.

تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية لمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، طبعة عام 1406هـ– 1986م، ويقع في تسعة أجزاء، الأخير منها للفهارس.

- **المستدرك على الصحيحين:** لصاحبه أبو عبد الله، الحاكم محمد بن عبد الله الضبِّي النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت: 405هـ.

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت، لعام 1411هـ- 1990م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **مسند أبو يعلى:** لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي، ت: 307هـ.

تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة دار المأمون للتراث بدمشق، وهي الطبعة الأولى لعام 1404هـ- 1984م، ويتكون من ثلاثة عشر جزءًا.

- **مسند أبي داود الطَّيالسي:** لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، ت: 204هـ.

تحقيق: د. محمد عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى لدار هجر بمصر، لعام 1419هـ- 1999م، ويقع في أربعة مجلدات.

- **مسند أحمد بن حنبل:** لأبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: 241هـ.

تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الطبعة الأولى لعالم الكتب ببيروت، وهي الطبعة الميمنية لعام 1419هـ- 1998م، ويتكون من ستة أجزاء.

- **مسند إسحاق بن راهوية:** لأبي يعقوب، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهوية، ت: 238هـ.

تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، طبعة مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، وهي الطبعة الأولى لعام 1412هـ -1991م، ويتكون من خمسة مجلدات.

- **مسند الحميدي:** لأبي بكر، عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي، ت: 219هـ.

تحقيق: حسن سليم أسد، طبعة دار السقا بدمشق، وهي الطبعة الأولى لعام 1996م، ويقع في مجلدين.

- **مسند الشافعي:** لأبي عبد الله، محمد بن إدريس المُطَّلبي القرشي المكي الشافعي، ت: 204هـ.

ترتيب: الأمير أبي سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي، تحقيق: د. ماهرالفحل، الطبعة الأولي لمكتبة المعارف، لعام 1425هـ-2004م.

- **مسند الشاميين:** لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد الشامي، ت: 360هـ.

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ- 1984م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **المُصنَّف في الأحاديث والآثار:** لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، ت: 235هـ.

تحقيق: كمال الحوت، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد بالرياض، طبعة عام 1409هـ، ويقع في سبعة أجزاء.

- **المصنَّف:** لعبد الرَّزَّاق بن همَّام الصنعاني، ت: 211هـ.

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي بالهند، ومطبوعا المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية لعام 1403هـ، يتألف من أحد عشر جزءًا.

- **معالم السنن:** لصاحبه أبو سليمان، أحمد بن محمد بن الخَطَّاب البُستي، المعروف بالخطَّابي، ت: 388هـ.

الطبعة الأولى، للمطبعة العلمية بحلب، لعام 1351هـ- 1932م.

- **المعجم الأوسط:** لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الشامي الطبراني، ت: 360هـ.تحقيق: طارق محمد، و عبد المحسن الحسيني، طبعة دار الحرمين بالقاهرة، ويقع في عشرة أجزاء.

- **المعجم الكبير:** لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الشامي الطبراني، ت: 360هـ.

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية لمكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ويقع في خمسة وعشرين جزءًا.

- **معرفة السنن والآثار:** لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ت: 458هـ.

تحقيق: عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى لعام 1412هـ- 1991م، ويتكون من خمسة عر مجلدًا.

- **مقدمة ابن الصَّلاح (معرفة أنواع علوم الحديث):** لأبي عمرو، عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصَّلاح، ت: 643هـ.

تحقيق: نور الدين عتر، طبعة دار الفكر بسوريا، لعام 1406هـ- 1986م، وهو جزء واحد.

- **المنار المنيف في الصحيح والضعيف:** لا القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية، ت: 751هـ.

تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى لمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، طبعة عام 1390هـ- 1970م، وهو جزء واحد.

- **المُنْتخَب من مسند عبد بن حميد:** لصاحبه أبو محمد، عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي، ويقال له: الكَشّي بالفتح و الإعجام، ت: 249هـ.

تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد الصعيدي، من مطبوعات مكتبة السنة بالقاهرة، وهي الطبعة الأولى لعام 1408هـ- 1988م، وهو مجلد واحد.

- **المُنتَقى (شرح الموطّأ):** لأبي الوليد، سليمان بن خلف التّجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت: 474هـ.

الطبعة الأولى لعام 1332هـ، لمطبعة السعادة بمصر، ويتكون من سبعة أجزاء.

- **المُنتقى من السّنن المسنَدة:** لصاحبه أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري، ت: 307هـ.

تحقيق: عبد الله البارودي، الطبعة الأولى، لمؤسسة الكتاب الثقافية ببيروت، لعام: 1408هـ-1988م، وهو جزء واحد.

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** لأبي زكريا، يحيى بن شرف النووي، ت: 676هـ.

الطبعة الثانية لدار إحياء الراث العربي، طبعة عام 1392هـ، ويقع في ثمانية عشر مجلدًا.

- **الموطّأ:** لمالك بن أنس الأصبحي المدني، ت: 179هـ.

تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى لمؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان بالإمارات، طبعة عام 1425هـ- 2004م ، ويقع في ثمانية أجزاء؛ الجزء الأول للمقدمة والثلاثة الأخيرة للفهارس.

- **الموقظة في علم مصطلح الحديث:** لأبي عبد الله الذهبي، محمد بن أحمد، ت: 748هـ.

اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، وهي الطبعة الثانية لمكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، طبعة عام 1412هـ، وهو جزء واحد.

- **نبي الرحمة:** من منشورات عبد الرحمن بن عبد الله ، وهو كاتب معاصر.
- **يوم في بيت الرسول:** من منشورات عبد الملك قاسم، وهو كاتب معاصر.

فهرس كتب التراجم و الطبقات وعلم الرجال

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، ت: 463هـ.

تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار الجيل ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1412هـ- 1992م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** لأبي الحسن، علي بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت: 630هـ.

تحقيق: علي عوض، و عادل عبد الموجود، طبعة دار الكتب العلمية، وهي الطبعة الأولى لعام 1415هـ- 1994م، ويقع في ثمانية أجزاء؛ الجزء الأخير للفهارس.

- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى:** لابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر أبو نصر، ت: 475هـ.

الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت، طبعة عام 1411هـ- 1990م، ويتكون من سبعة أجزاء.

- **تاريخ ابن معين برواية أبي الفضل عبَّاس بن محمد الدّوري:** لأبي زكريا يحيى بن معين البغدادي، ت: 233هـ.

تحقيق: د. أحمد سيف، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، وهي الطبعة الأولى لعام 1399هـ- 1979م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **تاريخ الثقات:** للعِجلي أبو الحسن، أحمد بن عبد الله الكوفي، ت: 261هـ.

طبعة دار الباز للنشر، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ- 1984م، وهو مجلد واحد.

- **التاريخ الصغير:** لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: 256هـ.

تحقيق: محمود ابراهيم زايد، فهرس أحاديثه: يوسف المرعشي، طبعة دار المعرفة بيروت – لبنان، ويقع في مجلدين.

- **التاريخ الكبير:** لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: 256هـ.

طبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد– الدكن، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ووضع الحواشي: محمود خليل، مكونًا من ثمانية أجزاء.

تحقيق: نور الدين عتر، طبعة دار إحياء التراث العربي بقطر، وهي طبعة عام 1987م، ويتكون من مجلدين.

- **تذكرة الحُفاظ:** لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الذهبي، ت: 748هـ.

طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1419هـ– 1998م، ويتألف من أربعة أجزاء.

- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** للذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، ت: 748هـ.

تحقيق: علي البجاوي، الطبعة الأولى لدار المعرفة ببيروت، طبعة عام 1382هـ– 1963م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **الإصابة في تميز الصحابة:** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ت: 852هـ.

تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد عوض، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1415هـ، ويتكون من ثمانية أجزاء.

- **تقريب التهذيب:** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ت: 852هـ.

تحقيق: محمد عوامة، طبعة دار الرشيد بسوريا، وهي الطبعة الأولى لعام 1406هـ– 1986م، وهو جزء واحد.

- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:** لابن نقطة، محمد بن عبد الغني أبو بكر الحنبلي البغدادي، ت: 629هـ.

تحقيق: كمال الحوت، طبعة دار الكتب العلمية، وهي الطبعة الأولى لعام 1408هـ– 1988م، وهو جزء واحد.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** ليوسف بن الزكي عبدالرحمن، أبو الحجاج المزّي، ت: 742هـ.

تحقيق: د. بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، وهي الطبعة الأولى، لعام1400هـ – 1980م، ويقع في خمس وثلاثين مجلداً.

- **الثقات:** لصاحبه محمد بن حِبَّان التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي، ت: 354هـ.

طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، بإشراف: د. محمد عبد المعيد خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد- الدكن، وهي الطبعة الأولى لعام 1393هـ- 1973م، ويقع في تسعة أجزاء.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: 430هـ.

طبعة دار الكتاب العربي ببيروت، وهي الطبعة الرابعة لعام 1405هـ، ويتألف من عشرة مجلدات.

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لابن فرحون، إبراهيم بن علي المالكي، ت: 799هـ.

تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنّان، طبعة : دار الكتب العلمية ببيروت، وهي طبعة عام 1417هـ- 1986م، ويتكون من مجلدين.

- **ذكر أسماء من تُكلِّم فيه وهو موثق:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: 784هـ.

تحقيق: محمد شكور الميادين، الطبعة الأولى لمكتبة المنار بالزرقاء، لعام 1406هـ- 1986م، وهو مجلد واحد.

- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي:** لعبد الملك بن حسين العصامي المالكي، ت:1111هـ.

تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت، لعام 1419هـ- 1998م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **سير أعلام النبلاء:** للذهبي أحمد بن محمد، أبو عبد الله، ت: 784هـ.

تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة لعام 1405هـ- 1985م، ويتألف من خمسة وعشرين مجلداً، آخر اثنين منها فهارس.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** لابن العماد، عبد الحي بن أحمد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت: 1089هـ.

تحقيق: محمود الأرناؤوط، وتخريج: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى لدار ابن كثير بدمشق، لعام 1406هـ- 1986م، وييتكون من أحد عشر مجلدًا.

- **الضعفاء والمتروكون:** لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت: 303هـ.

تحقيق: محمود زايد، طبعة دار الوعي بحلب، وهي الطبعة الأولى لعام 1396هـ، وهو جزء واحد.

- **الطبقات الكبرى:** لابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد الهاشمي بالولاء البغدادي، ت: 230هـ.

تحقيق: محمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1410هـ- 1990م، ويتكون من ثمانية أجزاء.

- **الطبقات:** لأبي عمرو خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري، ت: 240هـ.

رواية: أبي عمران موسى بن زكريا التستري، ت: قبل 3هـ، و محمد بن أحمد الأزدي، ت: قبل 3هـ.

تحقيق: د. سهل زكار، طبعة دار الفكر، لعام 1414هـ- 1993م، وهو جزء واحد.

- **الكامل في ضعفاء الرجال:** لابن عدي، عبد الله بن عدي بن القطَّان الجرجاني، أبو أحمد، ت: 365هـ.

تحقيق: عادل عبد الموجود، و علي عوض، وشاركهم عبد الفتاح أبو سنة، الطبعة الأولى لعام 1418هـ- 1997م، من مطبوعات دار الكتب العلمية ببيروت، ويتكون من تسعة أجزاء.

- **الكُنى والأسماء:** للدولابي، أبو بِشر محمد بن أحمد الأنصاري الرازي، ت: 310هـ.

تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، طبعة دار ابن حزم ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1421هـ- 2000م ، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **الكواكب النَّيِّرات في معرفة من رُمي بالاختلاط من الرواة الثقات:** لابن الكيَّال، بركات بن أحمد بن محمد الخطيب، ت: 929هـ.

تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة دار المأمون ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1981م، ويألف من مجلدين.

- **لسان الميزان:** لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ت: 852هـ.

تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت، وهي الطبعة الثانية لعام 1390هـ- 1971م، ويتألف من سبعة أجزاء.

واستعنت أيضاً باللسان بتحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى لمكتب المطبوعات الإسلامية، طبعة عام: 1423 – 2002، والمتكون من عشرة أجزاء.

- **المتفق والمفترق:** للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ت: 463هـ.

تحقيق: د. محمد صادق آيدن الحامدي، الطبعة الأولى لدار القادري بدمشق، طبعة عام 1417هـ- 1997م، ويتكون من سبعة أجزاء.

- **معجم الشيوخ الكبير:** للذهبي أحمد بن محمد، أبو عبد الله، ت: 784هـ.

تحقيق: د. محمد الهيلة، الطبعة الأولى لمكتبة الصِّديق بالطائف، طبعة عام 1408هـ- 1988م، ويتألف من مجلدين.

- **معرفة الرجال عن يحيى بن معين برواية أحمد بن محمد بن محرز:** لأبي زكريا يحيى بن معين البغدادي، ت: 233هـ.

تحقيق: محمد القصار، من طبعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولى لعام 1405هـ- 1985م، ويقع في مجلدين.

- **معرفة الصحابة:** لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: 430هـ.

تحقيق: عادل العزازي، طبعة دار الوطن بالرياض، وهي الطبعة الأولى لعام 1419هـ- 1998م، ويتكون من سبعة أجزاء؛ الجزء الأخير للفهارس.

- **المُغني في الضعفاء:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: 784هـ.

- **المُقتنَى في سرد الكنى:** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: 784هـ.

تحقيق: محمد صالح المراد، الطبعة الأولى للمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة عام 1408هـ، ويتألف من مجلدين.

فهرس كتب العلل والسؤالات

- **سؤالات ابن الجُنيد لأبي زكريا يحيى بن معين:** أجاب عليها أبو زكريا، يحيى بن معين البغدادي، ت: 233هـ.

تحقيق: أحمد نور سيف، طبعة مكتبة الدار بالمدينة المنورة، وهي الطبعة الأولى لعام 1408هـ- 1988م، وهو جزء واحد.

- **سؤالات أبي داود للإمام أحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم:** أجاب عليها أبو عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، ت: 241هـ.

تحقيق: د. زياد منصور، طبعة مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى لعام 1414هـ، وهو جزء واحد.

- **سؤالات أبي عبيد الآجُرّي أبا داود السّجستاني في الجرح والتعديل:** أجاب عنها: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجستاني، ت: 275هـ.

تحقيق: محمد علي العمري، طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي الطبعة الأولى لعام 1403هـ- 1983م، وهو جزء واحد.

- **سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي، ومعه كتاب أسامي الضعفاء:** لأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، ت: 264هـ.

تحقيق: محمد علي الأزهري، طبعة دار الفاروق الحديثة، وهي الطبعة الأولى لعام 2009م، وهو مجلد واحد.

- **سؤالات البرقاني للدارقطني:** لأحمد بن محمد، أبو بكر البرقاني، ت: 425.

تحقيق: عبد الرحيم القشقري، الطبعة الأولى لعام 1404هـ، كتب خانه جميلي- لاهور بباكستان، وهو جزء واحد.

- **سؤالات السلمي للدارقطني:** لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين النيسابوري، ت: 412هـ.

تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف: د. سعد بن عبد الله الحميد، و د. خالد الجريسي، وهي الطبعة الأولى لعام 1427هـ، ويتكون من جزء واحد.

- **الضعفاء الكبير:** لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي، ت: 322هـ.

تحقيق: عبد المعطي قلعجي، طبعة دار المكتبة العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1404هـ- 1984م، ويتكون من أربعة أجزاء.

- **علل الحديث:** لابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، ت: 327هـ.

تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف د. سعد الحميد، و د. خالد الجريسي، الطبعة الأولى لمطابع الحميضي، وهي طبعة عام 1427هـ- 2006م، و يقع في سبعة أجزاء؛ الأخير للفهارس.

- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية:** لأبي الحسن، علي بن عمر البغدادي الدارقطني، ت: 385.

تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، من المجلد الأول حتى الحادي عشر، طبعة دار طيبة بالرياض، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ- 1985م.

أما المجلدات من الثاني عشر حتى الخامس عشر فهي بتحقيق: محمد صالح الدباسي، طبعة دار ابن الجوزي بالدمام، وهي الطبعة الأولى لعام 1427هـ، وقام بكتابة الحواشي: محمود خليل.

- **العلل ومعرفة الرجال:** لأبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، ت: 241هـ.

برواية ابنه عبد الله، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، طبعة دار الخاني بالرياض، وهي الطبعة الثانية لعام 1422هـ- 2001م، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **المراسيل:** لابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، ت: 327هـ.تحقيق: شكر الله نعمة قوجاني، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ببيروت، لعام 1397هـ، وهو جزء واحد.

فهرس كتب اللغة

- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضي الزَّبيدي، ت: 1205هـ.

تحقيق: عبد السَّتَّار فراج، مصطفى حجازي، وعبد العليم الطحاوي، طبعة دار الهداية بالكويت، وهي الطبعة الأولى، لعام: 1965م- 1385هـ، ويقع في سبعة وعشرين مجلداً.

أمَّا المجلد الثامن الذي اعتمدتُه فكان من طبعة دار مكتبة الحياة ببيروت/ لبنان، وهي الطبعة الأولى لعام 1306هـ.

- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور، محمد بن أحمد الازهري الهروي، ت: 370هـ.

تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة الدار المصرية بمصر الجديدة لعام 1384هـ – 1964م، ويتكون من سبعة عشر مجلدًا، آخر مجلدين أحدهما مستدرك والآخر فهرس.

- **جمهرة الأمثال:** لأبي هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، ت: 395هـ.

طبعة دار ابن حزم ببيروت، وهي الطبعة الأولى، لعام: 2008م- 1429هـ، وهو مجلد واحد.

- **جمهرة اللغة:** لابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي، ت: 321هـ.

تحقيق: رمزي منير بعلبكي، طبعة دار العلم للملايين ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1987م، ويقع في ثلاثة أجزاء.

- **الصِّحاح" تاج اللغة وصِحاح العربية":** لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري، أبو نصر، ت: 393هـ.

تحقيق: أحمد عطَّار، وهي الطبعة الثانية لعام: 1977م- 1397هـ ببيروت، ويتكون من ستة أجزاء.

- **لسان العرب:** لأبي الفضل، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المصري، ت: 711هـ.
- تحقيق: عامر بدر، ومراجعة: عبد المنعم إبراهيم ، وهي الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ببيروت/لبنان، لعام: 2003م- 1424هـ، ويقع في خمسة عشر جزءًا.
- **المحكم والمحيط الأعظم:** لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ت: 458هـ.

تحقيق: عبد الحميد هنداوي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1421هـ- 2000م، ويقع في أحد عشر مجلدًا، الأخير منها للفهارس.

- **المخصص:** لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ت: 458هـ.

تحقيق: خليل إبراهيم، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى لعام 1417هـ- 1996م، ويتكون من خمسة أجزاء.

- **المُستطرف في كل فن مستظرف:** لأبي الفتح، محمد بن أحمد الأبشيهي، ت: 852هـ.

طبعة عالم الكتب ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1419هـ، ويتألف من جزء واحد.

- **المُستقصى في أمثال العرب:** لأبي القاسم، محمود بن عمر الزَّمَخْشري، ت: 538هـ.

الطبعة الثانية، لعام 1977م- 1397هـ، بيروت/ لبنان، ويتكون من مجلدين.

- **معجم الأدباء، المسمى:** "**إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**": لياقوت الحَمَوي، ت: 626هـ.

تحقيق: إحسان عبَّاس، وهو الطبعة الأولى لعام 1993م، من إصدار دار الغرب الإسلامي، ببيروت/ لبنان، ويقع في سبعة أجزاء.

- **مقاييس اللغة:** لأبي الحسين، أحمد بن فارس، ت: 395هـ.

تحقيق: عبد السلام هارون، وهي الطبعة الأولى لدار الجيل ببيروت، لعام: 1991م- 1411هـ، ويتكون من ستة أجزاء.

فهرس كتب غريب الحديث

- **غريب الحديث:** لأبي إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ت: 285هـ.

تحقيق: د. سليمان العايد، الطبعة الأولى لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، طبعة عام 1405هـ، ويكون من ثلاثة أجزاء.

- **غريب الحديث:** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: 597هـ.

تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1405هـ- 1985م، ويتكون من مجلدين.

- **غريب الحديث:** لأبي سليمان، أحمد بن محمد البستي المشتهر بالخطَّابي، ت: 388هـ.

تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة دار الفكر لعام 1402هـ- 1982م، ويتألف من ثلاثة أجزاء.

- **غريب الحديث:** لأبي عُبيد، القاسم بن سلّام الهروي البغدادي، ت:224هـ.

تحقيق: د. محمد خان، الطبعة الأولى لمطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد- الدكن، طبعة عام 1384هـ- 1964م، ويقع في أربعة مجلدات.

- **غريب الحديث:** لأبي محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: 276هـ.

تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني ببغداد، الطبعة الأولى لعام 1397، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **الفائق في غريب الحديث والأثر:** لأبي القاسم، محمود بن عمر الزَّمخشري، ت: 538هـ.

تحقيق: علي محمد البجاوي، و محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية لدار المعرفة بلبنان، ويتألف من أربعة أجزاء.

- **النهاية في غريب الحديث و الأثر:** لابن الأثير الجَزْري، وهو المبارك بن محمد الشيباني، ت: 606هـ.تنقيح: محمد عاشور، الطبعة الأولى لدار إحياء التراث العربي، ببيروت، لعام: 2001م- 1422هـ.

فهرس الأنساب

- **أنساب الأشراف:** للبَلاذُري أحمد بن يحيى، ت: 279هـ.

تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، طبعة دار الفكر ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1417هـ- 1996م، ويتكون من ثلاثة عشر مجلدًا.

- **الأنساب:** لأبي سعد، عبد الكريم بن محمد السَّمعاني، ت: 562هـ.

تعليق: عبد الله البارودي، الطبعة الأولى لدار الجنان ببيروت، لعام: 1988م- 1408هـ، ويتكون من خمسة أجزاء.

- **جمهرة أنساب العرب:** لابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، ت: 1063هـ.

الطبعة الثالثة، لدار الكتب العلمية ببيروت، طبعة عام 1424 هـ - 2003 م، ويتكون من مجلدين.

- **الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة:** للبُرِّي، محمد بن أبي بكر بن عبد الله التلمساني، ت: 645هـ.

تحقيق: د. محمد التونجي، طبعة دار الرفاعي بالرياض، وهي الطبعة الأولى لعام 1403هـ- 1983م، ويتألف من مجلدين.

- **اللباب في تهذيب الأنساب:** لابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، ت: 630هـ.

طبعة دار صادر ببيروت، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **نسب قريش:** لأبي عبد الله، مصعب بن عبد الله الزبيري، ت: 236هـ.تحقيق : ليفي بروفسالدار، طبعة دار المعارف بالقاهرة، وهي الطبعة الثالثة، يتكون من جزء واحد.

فهرس البلدان

- **معجم البلدان:** لياقوت بن عبد الله الحموي، ت: 626هـ.

تحقيق: فريد الجندي، وهي الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية، ببيروت/لبنان، لعام: 1990م- 1410هـ، ويتكون من سبعة أجزاء.

- **رحلة ابن بطوطة المسمى ب: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار):** لمحمد بن عبد الله اللواتي، أبو عبد الله الطنجي ابن بطوطة، ت: 779هـ.

تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، طبعة مؤسسة الرسالة، طبعة عام 1405هـ، ويتكون من مجلدين.

فهرس كتب السِّيَر و كتب أخرى

- **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية):** لنور الدين الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم، ت: 1044هـ.

طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وهي الطبعة الثانية لعام 1427هـ، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **البداية والنهاية:** لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير؛ أبو الفداء القرشي، ت: 774هـ.

تحقيق: علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى لعام 1408هـ- 1988م، ويتكون من أربعة عشر جزءًا.

- **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم:** لابن جَماعة، محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الكناني، ت: 733هـ.

تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، الطبعة الثالثة لدار البشائر الإسلامية، وهو جزء واحد.

- **الدرر في اختصار المغازي والسير:** لابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت: 463هـ.

تحقيق: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بالقاهرة، وهي الطبعة الثانية لعام 1403هـ، وهو جزء واحد.

- **السير والمغازي المشتهر بسيرة ابن إسحاق:** لمحمد بن إسحاق بن يسار، ت: 151هـ.

تحقيق: سهيل زكار، وهي الطبعة الأولى لدار الفكر ببيروت، طبعة عام 1398هـ-1978م، وهو جزء واحد.

- **السيرة النبوية:** لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن يعقوب الحميري المعافري، أبو محمد، ت: 213هـ.

تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية لمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وهي طبعة عام 1375هـ- 1955م، ويتكون من جزأين.

- **الطب النبوي:** لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية، ت: 751هـ.

تحقيق: السيد الجميلي، طبعة دار الكتاب العربي ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1410هـ- 1990م، وهو جزء واحد.

- **الطب النبوي:** لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: 430هـ.

تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، طبعة دار ابن حزم، وهي الطبعة الأولى لعام 2006م، ويتألف من مجلدين.

- **المغازي:** للواقدي، محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله السهمي، ت: 207هـ.

تحقيق: مارسدن جونس، طبعة دار الأعلمي ببيروت، وهي الطبعة الثالثة لعام 1409هـ-1989م، ويتكون من ثلاثة أجزاء.

- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار:** لأبي الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: 806هـ.

طبعة دار ابن حزم ببيروت، وهي الطبعة الأولى لعام 1426هـ- 2005م، وهو جزء واحد (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين).

فهرس الموضوعات